

# الأداب

AL ADAB 2001

العدد ١٢-١١ تشرين الثاني (نوفمبر) - كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠١

Al-Adab vol. 49 #11-12/2001

البدايات العربية في مواجهة العولمة - السيّاب ونقّاده - أسئلة الفرنكوفونية - هل انتهت حرب لبنان؟



أميركا ضد "أميركا"



# الأداب

مجلة ثقافية عربية

AL ADAB 2001

صاحبها: سهيل إدريس وسماح إدريس

العدد ١١/١٢ تشرين ٢ (نوفمبر) - ١ (ديسمبر) ٢٠٠١ - السنة ١٩  
Al - Adab vol. 49 # 11/12 - 2001

Editor: Samah Idriss

Subscription manager: Kirsten Scheid Idriss

Owners: Souheil Idriss & Samah Idriss

لا تنشر المجلة أي مادة سبق نشرها، ولا تتكافئ مالياً إلا مَنْ كُفِّ بإعداد مادته ما. الأراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير. لا تعاد المواد إلى أصحابها. تحتفظ المجلة بحق حذف كل طرح شخصي أو إطالة تُكتب الجواد بخط واضح، أو تُطبع، التوثيق (يذكر اسم المؤلف وكتابه وتاريخ النشر ومكانه) ضروري. يرجى إرسال خلاص الكتاب المقروء أو صورة شخصية عن الكاتب موضوع البحث أو من الباحث نفسه.

## الاشتراك السنوي لعام ٢٠٠١

لبنان: ٣٠ دولاراً أمريكياً (للأفراد) و ٦٠ دولاراً (للمؤسسات). البلدان العربية (باستثناء دول المغرب العربي): ٤٥ دولاراً (للأفراد) و ٨٠ دولاراً (للمؤسسات). أوروبا وإفريقيا وبلدان المغرب العربي: ٥٠ دولاراً (للأفراد) و ٨٥ دولاراً (للمؤسسات). بقية الدول: ٦٠ دولاراً (للأفراد) و ٩٥ دولاراً (للمؤسسات).

تُرسل اشتراكات المؤسسات بالبريد، والضمون لا شيء. وأما اشتراكات الأفراد فبالبريد العادي (وتضاف عليها ١٥ دولاراً عند الرغبة في البريد المضمون).

تُطبع الاشتراكات مقدماً: (١) إما بشك لأمر مجلة الأرباب مسحوب على أحد المصارف العربية، وإما (ب) بتحويل مائي لحساب دار الأرباب رقم ١ - ٨١٠٠ - ٧٩٠٠٩ - ٣٣٨٠. والدولار البانك العربي.

ملاحظة: هذه التسعير صالحة للبيع للأفراد فقط، وعلى المؤسسات العلمية اللبنانية والعربية الرغبة في اقتنائه الاشتراك السنوي المباشر من دار الأرباب، الأرباح ائداء مخصصة للأفراد وفي البلدان العربية وحدها، وبعد زمن عرضها في الأكشاك. ولا يحق إلا أدار الأرباب بيع هذا العدد بعد سحبه من الأسواق العربية، وبالسعر الذي تتركبه.

## Subscription Rates 2001

Lebanon: 30 USD (ind.), 60 USD (inst.). Arab Countries (except Morocco, Libya, Algeria & Tunis): 45 USD (ind.) & 80 USD (inst.). Europe & Africa (including Morocco, Libya...): 50 USD (ind.) & 85 USD (inst.). All Other Countries: 60 USD (ind.) & 95 USD (inst.)

Note: All institutional subscriptions include registered air mail fees. All individual ones include regular mail fees; please add 15 USD to get your ind. subscription through registered mail.

Payment can be made by money order, check made out to Dar al-Adab, credit card, or bank transfer (Arab Bank, Verdun Branch, Beirut, Lebanon, #338 - 756059 - 810 - 1).

Note: Institutions may subscribe to *al-Adab* only through Dar al-Adab or an authorized dealer (Otto Harrassowitz, Swets, Blackwell's, Paxon, or Ebsco). The prices listed below are discounted prices valid only for individuals in listed Arab countries, and at the time of stand display. This copy may not be sold as a back issue by any seller but Dar al-Adab. After display time expires, price is subject to change without notice.

ثمن النسخة من هذا العدد (الأسعار صالحة لسنة ٢٠٠١ فقط)

لبنان ٣٠٠٠ ل.ل. - سوريا ١٠٠٠ ل.ل. - مصر ٧٠٠ جنيهات - المغرب ٣٠٠ درهم - تونس ٣٠٠٠ مليم - الأردن ٢٥٠٠ ش.ل. - البحرين ٣٠٠٠ ش.ل. - السعودية ٢٠٠ ريال - الكويت ١٥٠٠ ش.ل.

رئيس التحرير  
سماح إدريس

المراسلون  
محمد جمال باروت (سوريا)  
عبد الحق لبيض (المغرب)  
ماجد السامرائي (العراق)

مديرة الاشتراكات  
كيرستن شايد

المدير المسؤول  
عايدة مطر جي إدريس

مصمم الغلافين الخارجيين  
علي شري

مصممة الغلاف الداخلي الأول  
نجاح طاهر

مصممة الغلاف الداخلي الثاني  
ريم الجندي

تنضيد  
ميشلين خوري

إخراج  
ميشلين خوري  
حاتم الإمام

الطباعة  
المجموعة الطباعية

العنوان: ص.ب ٤١٢٣، بيروت، لبنان.  
تلفون/فاكس: ٨٦١٦٣٣ (١) (٠٠٩٦١)  
٧٩٥١٣٥ (١)

Address: P.O.Box: 4123, Beirut, Lebanon.

Tel: 00961 - 1 - 795 135

Fax: 00961 - 1 - 861 633

e-mail: kidriss@cyberia.net.lb, or d\_aladab@cyberia.net.lb

# الضعفاء والغطرسية الأميركية

اخترع الإرهابي وأبلس

فيصل دراج \*

## أميركا والعرب

والذاكرة العربية التي تُلْقَى إلى علاقات أميركا بالعالم العربي لن تجد في ثناياها، حتى لو كانت «إبرالية»، ومن دعا «حوار الحضارات»، أو «الأمن» اعتداءات أميركية لا ينتهي. كان العلاقة العربية - الأميركية لا تُستَوى إلا في علاقات السيطرة والإخضاع، أو في إطار التحدي والمواجهة والهزيمة. ولذلك لا يُشَدُّ العالم العربي، من وجهة نظر الولايات المتحدة، سلباً ومقبولاً وفاضلاً إلا إذا ارتضى المعايير الأميركية؛ فإن رُفِضَ حُلَّتْ عليه صفات الديكتاتورية والإرهاب، وسقطَ عليه القنابل في زمن، أو ذرعه مشاة البحرية الأميركية في زمن آخر.

ففي الخامس عشر من تموز عام ١٩٥٨، أُنْزِلَت الولايات المتحدة خمسة عشر ألفاً من مشاة البحرية الأميركية على شواطئ بيروت، بحجة الدفاع عن «التعاضد الطائفي في لبنان»؛ وهو ما كشفت رُفْقَهُ الباحثة الأميركية إيرين جندزير (لوموند ديبلوماتيك، تموز ١٩٩٨) في دراسة طويلة لها تبيّن أن الإنزال هُيَأَ وخطط له الأميركيون للدفاع عن مصالحهم. ومهما تكن الاجتهادات الخاصة بحرب حزيران عام ١٩٦٧، فإن نتائجها ما كان لها أن

متوالت، فإنه يعلن على الأقل رفضه لأحاديث الرجوع والقرار في السياسة الدولية. فالولايات المتحدة تطالب بـ «تصالح دولي» دون أن تُرجِعَ إلى الدول المعنية، كما لو كان العالم كله مجرد ولايات أخرى تابعة للولايات الأميركية.

وعلى الرغم من صحة المطبّين الغربيين وعدّتهما، يبقى أمر ثالث قد يقول به الأفراد ولا تقول به الدول اعتبارات كثيرة. وهو يدور حول الإرهاب الأميركي في العالم، منذ أن اغتيل ساندينو في نيكارغوا، في بداية ثلاثينيات القرن الماضي، إلى أحداث البوسنة التي لاتزال تتوالد حتى اليوم. وإذا تركنا العالم في أحواله وأحوال الإرهاب الأميركي فيه، يظل أمامنا مباحرة العالم العربي الذي عانى ويعاني سياسة أميركية هي مزيج من غطرسة القوة والزرعة الصليبية القديمة وروح «اكتشافية مؤمنة» تساوي، ضمناً، بين الفلسطينيين والهنود الحمر الراقيين في مقابر لا تُحصى. ولم يكن إدوارد سعيد مخطئاً، في دراسة له في كتاب جماعي عنوانه لَوْمُ الضحايا، حين فحش الهوى الأميركي لإسرائيل بذاكرة جماعية أميركية قديمة ترى في الصهيوني في فلسطين استعداءً لا بدّ من القضاء عليه الأميركي القديم.

## تعريف الإرهاب

دول عربية كثيرة تطالب بتحديد معنى الإرهاب قبل أن تُخْطَفَ في أي عمل دولي غشّي، وقبل أن تُطْرَقَ بعين الرضا إلى المسعى الأميركي الذي يحدّد الدول جميعاً على «تصالح دولي» مناهض للإرهاب. وما تقصده الدول العربية واضح، وإلّا ما تمّ التمييز بين «الإرهاب» و«المقاومة الوطنية» - وهو ما يُجِبُّ نعت «الإرهاب» عن المركبات الوطنية والإسلامية في فلسطين، ويسوّغ ممارسات حزب الله في لبنان. وهذا التمييز ينطوي على الفصل بين الإرهاب بحق الدفاع عن النفس، ذلك أن الإنسان المضطّذ والمُحاصر والمُغتصب أَرْضُهُ لا يكون إنساناً سبيحاً إن لم يدافع عن كرامته وحقوقه الإنسانية المشروعة.

تُعْطِلُ الدول العربية الطالب بشعريف «الإرهاب» على مطلبها الأول مطلباً آخر لا تُلْغِيهِ الشرعية والحكمة، قوائم الرجوع إلى الأمم المتحدة، من حيث هي إرادة عالمية، ولو شككت، من أجل تحديد الوسائل العملية لحصار ما تريد أن تحاربه الولايات المتحدة الأميركية. وإذا كان هذا الطلب لا يشير صراحة إلى غطرسة القوة، وهي صفة أميركية

\* - من كبار الكُتّاب الفلسطينيين، من كتبه: بؤس الثقافة في المؤسسة الفلسطينية، ودلالات العلاقة الروائية. له عشرات المقالات في الأرباب والطريق والكرمل والهدف والوسط والنهج وغيرها.

تكون على ما كانت عليه دون ذلك التحالف العربي بين إسرائيل والولايات المتحدة. ومع أن حروب ذلك الزمن كانت ترتبط بـ «المصالح الميوية» والتوازن العالمي، فإن تحول ذلك الزمن كما رحيله كلياً لم يغيّر في المنظور الأميركي شيئاً: فقد بقي دائماً في العالم العربي ما «يستحق» الردغ والعقاب.

عام ١٩٨٦ شنت الطائرات الأميركية هجوماً على ليبيا وقصفت صواريخها العاصمة الليبية، بغية «تدبير» النظام الذي رأى فيه رونالد ريغن نظاماً إرهابياً يهدّد سلامة الولايات المتحدة ويهدّد حياة الرئيس الأميركي شخصياً. ومع أن تشومسكي وضع دراسة طويلة عن اختراع الإعلام الأميركي لمصورة الزعيم الليبي، فإن الرئيس ريغن تمسك بتعريفه للإرهاب، وتمسك أكثر بضرورة عقاب «الإرهابيين». وواقع الأمر أن الإرادة الأميركية، وقد أخذت صفات الخالق وبوره، تعطي للعنق الذي تنشأ الصورة والملاحم التي تنشأ، كي تزدور، في نهاية المطاف، تلك العقاب الموافق الذي تشأه ايضاً.

انطلاقاً من المبنية الأميركية التي بُنيت من لا يُقبل بها بـ «الإرهابي»، أقدمت الولايات المتحدة عشية العشرين من آب عام ١٩٩٨ على إطلاق أكثر من عشرين صاروخاً من طراز كروز على الخرطوم. ولم تكن الولايات المتحدة بحاجة إلى

اختراع عذر: ذلك أن العذر المطلوب قائم وجاهز وحاضر وعنوانه «الإرهاب». ومع أن المنطق السليم يُخفي بالأحزاب الرديئة بالرديلة، وألا يواجه الإرهاب الوهمي بإرهاب حقيقي، فإن الولايات المتحدة تُخترع الإرهاب وتعاقبه بشكل إرهابي، تاركةً الإرهاب الحقيقي مطمئناً في مكانه، كل تترك شارون - ومن سببه - يُستكون بالشعب الفلسطيني بكل الأسلحة. ولأن أصحاب الفضائل المخترعة للتشابهة يتكاثرون، فقد أرسل نتنياهو إلى كلينتون، حين قُصِفَ السودان، تحيةً كبيرةً جاء فيها: «نحن الآن نؤيد تلقائياً الولايات المتحدة حين تردّ على الإرهاب... إن ذلك لا يكون في خطوة واحدة، إنه يستلزم جهداً متواصلاً...»

يُفكّ الطرفان الأميركي والإسرائيلي، إن في تعريف «الإرهاب» ويتحالفان في الردّ على هذا «الإرهاب». والنتيجة الواضحة هي أن الطرفين يموقران إسرائيل - ذلك أن الديموقراطية تنقيش الإرهاب - وأن العرب الإيهابيين بالضرورة، غير أن الوقائع أثبتت، غير مرة، أن الاختراع لا يساري الحقيقة، وأن الإرهابي للزعوم يمارس غير ما يُنسب إليه. ولذلك لن يكون الهدف الإرهابي الذي طالته الصواريخ الأميركية في السودان إلا مخبراً كيميائياً يُنتج أدوية للأمراض، أي مصنفاً سلبياً يرذ بعض الأمراض عن شعب يُنكّه به أمراض كثيرة. ولن يكون

الإرهابي الفلسطيني المُستعرض إلا ذلك المضطرب المعذب للظهور الذي يجعله الطريق الانتفاضة الإسرائيلية يُطلع في أربع ساعات مسالةً كان يقطعها، في بدايات «التفاق» أوصلو، في نصف ساعة لا أكثر. وإن يكون الفلسطيني، كما نُصِّبُ السوداني، إلا صورةً أخرى عن بذية العامرية في بغداد التي لم تلتق فيها الصواريخ الأميركية، التي تطارد «الإرهاب»، إلا جماعةً كبيرةً من الأطفال والنساء والعجزة الذين انتزعوا من بوش الأب أسبلاً بعد أن حوّلهم نيران الغضب الأميركي كتلاً مقلّعة.

### وجه الإرهاب الأميركي

وواقع الأمر أن للاختراع الأميركي للإرهاب البتة خاصة به متعددة المراتب، تنكّر على سلطة واسعة متعددة الوجوه. وأول هذه الوجوه السلطة الإعلامية، التي تبدأ بـ «أفلسة» الإرهابي المُستعرض، بلغة تشومسكي، أي تجعل منه إلبساً يُفكّ الصحيح (الرأي العام الأميركي) أولاً على ضرورة إلحاق أشدّ العقاب به. وهكذا يتم الاختراع بشكل يُلقي العقاب الصالح القادم ويوافق. وهذا ما أنجزه الرئيس ريغن وهو «ويليس» الرئيس القاذي تهمةً لضربه؛ وأنجزه بوش الأب والابن، كي يؤبّد تعذيب الشعب العراقي، مبرهنين للمرة الآلاف تلك القاعدة الطالمة التي تعاقب شعباً بملكه من أجل فرد واحد. وكان من الضروري، بعد



قصف ملجأ العارضية في العراق، ومطارات الإبنائي المغيرة على فلسطين، صنع في أميركا

التي يسوقها ضعيفة وغير مقنعة. قال كينسينجر مرة: «يستطيع القوي أن يكتب دين أن يكتبه أحد» معلناً أن القوة هي الحقيقة الوحيدة. لهذا يكون الإرهاب ما اصططلت السلطة الأميركية على أنه إرهاب، تاركاً المستضعفين يربون ضعفاً مضافاً إلى ضعفهم، واستجداءً متواتراً لن يقيم قرابة أبداً بين الضعف والحقيقة. وواقع الأمر أن الإسلام، من حيث هو دين، لا علاقة له بالإرهاب أبداً، وأن لا جسور البتة بين الإرهاب والمقاومة الوطنية للاحتلال، وأن الجوهر العربي غريب عن الشرّ الجوهري بل إن الشرّ يتسم أولاً في هذا العالم المحكوم بالفوضى والعنف وإيديولوجيا القوة والسديم، حيث على الضعفاء أن يبقوا ضعفاء مُنعت عنهم، وبكثرت من قرار عالمي، الديمقراطية وحقوق المواطنة والسلطات السياسية التي تُدرك معنى الدستور والقانون، وحيث على الفلسطينيين وعلى غيرهم أن يُخدعوا إنسانيتهم وروضوا بروجو بيولوجي بانس يؤمن استقرار الاحتلال الإسرائيلي ويشيد بفشائل الصهيونية.

لقد قال حكيم يوناني قديم: «في بعض الأزمنة المريضة يصبح الخراب سيئاً»، وربما كان في ما نعيشه اليوم أشياء كثيرة من هذا القول البصير.

دمشق

هذا البقاء الغريب، على الطريقة الأميركية، هو ما يجعل الولايات المتحدة تُقتصب الإرادة الدوائية وتُكتب بالأمم المتحدة، وهو ما يجعل بعض المسؤولين العرب يذكرون بفكرة النظام والقانون، أي بفسرورية الرجوع إلى الأمم المتحدة من أجل معالجة موضوع «الإرهاب» بعيداً عن الخلق الزائف والاختراع. ولعل إيديولوجيا الانتصار، وهي عبء بالقيم الإنسانية الفاضلة كلها، هي ما أطلق على اسنان موظفين في وزارة الخارجية الأميركية تعابير غريبة مثل: «نهاية التساريخ» وتُفني نهاية الإرادات الإنسانية أمام الإرادة الأميركية، وصدام الحضارات، الذي يُفني تدمير الهويات القومية والدينية المستضعفة باندوات الردع والدمار الصادرة عن الثورة التفتيشية المتجذدة. ولذلك لن يكون غريباً أن «تُسرب» الولايات للتحفة جرنومة السيدا (مرض) نقص المناعة إلى إفريقيا الوسطى والغربية كي يتم التخلص من أربعين بالمائة من سكان هذه المنطقة في عشر سنوات، كما جاء في تقرير نُشر مؤخراً.

#### إيديولوجيا الاستضعاف

في مقابل غطرسة القوة، التي تخلق الظواهر عن طريق الأسماء والتسمية، تفت إيديولوجيا الاستضعاف، ذلك أن المستضعف، وهو غير الضعيف، يتلقى الضربات المذرة ويستك، لأنّ «الحجج»

إن صغعت المقاومة الفلسطينية شارون أكثر من مرة، أن تتم إبادة الشعب الفلسطيني، كي يدير له الرئيس بوش الآن ظهره بحجة الإرهاب الفلسطيني المستطير الذي يحاصر الشعب الإسرائيلي، كما قالت مادلين أولبرايت ذات مرة.

ومع أن إبادة المسلمين ليست جديدة – فالفتريون الأميركيون وما يشابهه يختارون صورة معينة من المجتمعات العربية – فإن ما حصل في مركز التجارة العالمي في نيويورك مؤخراً الذي للمسلمين كالفرد ووضعت مكانهم الدين الإسلامي كله بنية عقاب الإسلام والمسلمين معاً، ويدهاً فإن السلطة الإعلامية الأميركية، وهي مترامية، تسلم ما تُخرجه إلى السلطة السياسية، وهي مرجعها على أية حال، كي تتقدم لاحقاً، وبالضرورة، السلطة العربية، التي تدرج القنابل على بفسداد والخسروم وطرابلس الغرب، وفي الصورة كلها يتجلى ذلك العنوان الواسع والمعروف والقديم وهو «غطرسة القوة» التي تُخلق الجلاذ والضحايا في مطلق منطرس يُفشل الجلاذ ضحيته والضحية جلاذاً. كأن القوى، وقد تحرّرت من الروادع الأخلاقية والإنسانية والدينية، يرذ بللا: «البقاء للأقوى».

غير أن هذا البقاء الغريب، بهذا الموروث الإنساني كله، ذلك أن الإنسانية انتجته فيما انتجته، مناهي النظام والقانون والدستور والمعرف الإنساني العام. ولعلّ

# حروبهم ضدنا: الآتي أعظم!

انطباعات عربية من داخل الولايات المتحدة

• أسعد أبو خليل •

جبل جماعات أصولية تؤمن بمسالة السيطرة اليهودية للعالمية، غير عالمي بواقع العرب والمسلمين العاملين في البنزين، أو بواقع العمال الباعة المبتئين وهم يتخذون الأوصاف متاجر بسبب فقرهم.

وهلُ الحدث حقيقي، بصرف النظر عن مشاعر العداء الحقيقي الذي يَكهُ جُلُ العرب للولايات المتحدة، لا لشعبها - فالأميركيون أفراداً يُؤمنون بضيافة الدول العربية حتى في فلسطين - ذلك لأنَّ العداء العربي للولايات المتحدة سياسي العنصر. والعرب أن نظريات المؤامرة المنتشرة لا تزال تُثَمِّم بمسمن الضيافة في قلب الكثير من العرب وعقولهم. فكم من العرب صدّقوا فعلاً أنَّ اللساد كانت وراء التفجيرات وأنها انفجرت بسرّها قبل يوم واحد أربعة آلاف من اليهود، وكسائر وكسالات الاستخبارات مُتطع فعلاً أن تُلغسي بمكوناتها إلى الألقا، لكنَّ الظن هذا قائم على عبق التقدير العربي للموساد، وأنها وحجاً قادرة على تنفيذ عملية بهارة فائقة لم تُرتب في الانهان بأعمال العرب العسكرية (للساد أجهرتنا العسكرية واستخباراتها ولاستخدامها لأغراض القمع لا لأغراض التحرير الملعة مخرجاً).

عنون دياكتيك التنوير، وفيه إدانة لتعظيم عصر التنوير. فقد أظهرت تجربة ألمانيا النازية طريقة استخدام العلم ضدَّ العلم، أو استخدام التقدم للتراجع، وفي هذا تناقض الأضداد الديالكتيكي، كما أن في تفجيرات أميركا دلائل على العلم ضدَّ الدنية والتقدم، ودلائل على تحويل التكنولوجيا سلاحاً ضدَّ الدنية والبشرية - فهي ضحايا تفجيرات نيويورك مواطنين ومواطنات من ٨٧ دولة. ومحمد عطا (وهو زعيم المجموعة المقترض، وإن كان من اليساريين الشك في ما يُدعى في وسائل الإعلام الغربية وعلى السنة مسؤولي حكومات أميركا وبريطانيا لأنها تُعتمد على السياسة لا على القرائن والدلائل) نتاج لنظام التطعيم الغربي العلمي المحض، واختصاصاته منسية - معمارية، ولم يكن اختيار طوابق التفجير في ناطقته مركز التجارة العالمي عشوائياً أبداً؛ فالاختيار اعتمد على تخطيط منسي أراد تقويض البنين على من فيهما، وفي هذا محاولة (ناجحة) لإكمال ما لم ينه في تفجير عام ١٩٩٣. ولم يكن اختيار الأهداف صعباً التوقع؛ فمركز التجارة العالمي يبدو مرغوباً من

خلف الوطء ما انظر أديم الـ أرض إلا من منه الأجساد  
أبو العلاء المعري

## التفجيرات

لم تكن تفجيرات ١١ أيلول عادية، لا من حيث التخطيط، ولا من حيث التنفيذ، ولا من حيث المضاعفات - وهي لم تنته بعد. واعتمد التفجيرات على خيال لم نره من قبل إلا في قصص الخيال العلمي، حتى إن وزارة الدفاع الأميركية دعت إلى اجتماعات مغلفة بعضاً من أشهر كتاب السيناريو الأميركيين لمساعدة القوات المسلحة على تولع خيال العدو الجامع. ويُجمع خبراء الإرهاب (وهم على درجات متفاوتة من الفناء والانهاء والجهل وإن كانوا متوحدين - كلهم ذكور - في عدائهم للعرب وفي إصجابهم بشخص بنيامين نتانياهو الذي يؤمن أن ينصوبه علينا خبيراً في شؤون الإرهاب) على فشل الاختصاصيين الحكوميين في قراءة خيال العدو.

وللتفجيرات، من الناحية التقنية لا الأخلاقية، متقنة إلى درجة الاختصاص العلمي الفذ. وفي هذا تذكير بالكتابت الهام لدراسة فرانكفورت الفلسفية تمت

• - أستاذ العلوم السياسية في جامعة ولاية كاليفورنيا - ستانساس وبحث في مركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة كاليفورنيا في بيركلي، وهو مؤلف كتاب *بين لائن ومطالبان: حرب أميركا الجديدة ضد الإرهاب* الصادر حديثاً عن دار نشر سطن كورنرز.



إبداع الخيل العلمي

العرب والمسلمين). بل إن تلميذاً عراقياً في أحد صفوف تعرض للتحقيقات من قبل FBI لأنه يُشرف قيادة الطائرات، وتلميذ سابق آخر لم يتعرض للتحقيقات لأنه لم يتسرع عن شراء كتب عن الطائرات لتسقيفه، وهو طيار في شركة الطيران الليمنية. وهناك طالب سعودي تعرض للتحقيقات لأن جيرانه قدّموا مشجبوها تبين بعد تضرر وتقص أنه «أركيلة» [ترجيعة]. وإيّاكم من الأركيلة يا عرب، فهي تثير الرعب في قلوب الأمن والأمان من سكان العالم الراقي.

أما منظمات العرب والمسلمين في هذه البلاد فتعاملت مع الأحداث بكل وضوح لم يُؤد إلا في ترسيخ الشبهات بهم. فهذه المنظمات الواحدة تلو الأخرى، تتنافس في تقديم الولاء والطاعة وفي تقديم بيانات الإدانة والاستنكار كلما دعت ساعة «بيع بن» و«طيطا»، احتراضاً على هذه الإدانات لا يُتبع من مسبقاً رفض الإدانة لعمل يُمكن وصفه بـ «الإرهاب الضاف» لأنه استخدم مندوبين لقتل مندوبين، بل لأن أية محاولة لفرض بيانات إدانة خاصة واستثنائية من قبل العرب والمسلمين هي العنصرية نفسها. ليجب أن تكون إنسانيتي العرب والمسلمين في هذه البلاد محسومة. لا موضوعاً على الحق. وليس هناك ما يجب على العرب

وكان للعرب والمسلمين نصيب الأسد، فاعتقل أكثر من ١٧٠٠ عربيّ ومسلم لايزال معظمهم في السجون، ولم يتمّ أنهام أكثرهم بمخالفة ستر واحدة، وقمّ المليون للمحاكمة لمخالفات ضريبية وأخرى متعلّقة بقوانين الهجرة. أمّا عن صلة المعتقلين بالإرهاب وبين لادن ويتنظيم القاعدة فهي حتى الآن غير موجودة. وتقول مصادر الحكومة نفسها إنها تظنّ (أيطرن) كما قالت نجاة الصغيرة يوماً أن نحو عشرة أفراد فقط من الألف والمئتين قد تكون لهم صلة بحركات إرهابية. ولا تُعتقد الحكومة أن أيّاً منهم كان على علم بالتفجيرات. وقد حوكم شخص أردنيّ (وبلّغت له وسائل الإعلام وزرّت كائنه كارلوس آخر) وهو اليوم سجين يُقضي سنوات من عقوبته. أمّا جريمته فهي غير ما قد تتصور (أو تتصورين): فقد دُعر المسكين عند اعتقاله من الاعتراف بأنه كان على صلة عابرة بواحد من الخاطفين، فحوكم بتهمة الكذب (والكذب مسموح للرئيس وكبار الشخصيات وكل من لا يشعر أجعل له). وهناك باكستانيّ آخر في الستين من عمره (رفيق بوت) قضى في زنازته بسكتة قلبية نتيجة الخوف. أمّا تهمة فكانت من جرّاء إخباريّة قسّيس راه يتخل عرية «فان» كبيرة (ودخل عريات كبيرة وشاحنات وقاطرات ممنوع على

ومن الضروريّ في هذا المجال التّباع شيء من الشك في الأخذ بالروايات العربية عن التفجير، على منوال رواية اليهود الأربعة آلاف المزعومين. ولا بدّ من الشك أيضاً في رواية الغرب الذي يصرّ من دون تقديم براهين، على إدانة بن لادن وعلى تحميله مسؤولية إتمام ما بعد الحرب العالمية الثانية وويلاتها، وليس هذا من قبيل تبرئة ذمة بن لادن وأتباعه - وهم يؤمنون بإقامة إمارة إسلاميّة تُطبق فيها تفسيرات مخيفة ومروعة للمذهب القويّ. وما جرى تحت حكم الطالبان لا يبشر بالخير، خصوصاً إذا كان المرء يُختلف معهم في الرأي وفي التفسير وفي الجنس.

## تدمير الدستور الأميركيّ والاميركيون العرب

لم تنقضي ساعات على حدوث عملية التفجيرات حتى تسارعت الاقتال المطالبات بإعادة النظر في الحريات على حدّ قول أشهر المنهجين، أو اللجوء إلى التحصن بـ «الكذبة» على حدّ قول وزير الدفاع الأميركيّ مستشهداً بقول شهير لونسون تشرشل. وسارع وزير العدل الأميركيّ، وهو أصوليّ مسيحيّ على طريقة طالبان الإسلاميّة، إلى إجراء حركة اعتقالات متسارعة، ضارباً عرض الحائط بأصول الاعتقالات والمحاكمات.



والمسلمين (نكروا وإنثأ) الاعتذار عنه،  
اللهم إلا إذا أردنا من كل يهودي ومن كل  
مسيحي تقديم اعتذارات وإذاعات عن  
جرائم كل يهودي وكل مسيحي في أي  
مكان في العالم

نحن مثهمون (ومثهمات) بأننا لسنا  
صارمين في موقفنا من الإرهاب لأننا  
نقبل بالعنف الصادر عن بعض العرب  
والمسلمين، وكأن مثهمينا غير مهلكين  
ومهللات لعنفهم هم وعنف دولة إسرائيل.  
فقد اعترضوا، يا للخيث والفاحة، على  
بعض مشاهد التهليل لتفجيرات ١١ أيلول  
من قبل بعض الصبئية العرب، في حين أن  
هذه البلاد اليوم تغطي أعمال الحرب  
ضد أفغانستان وأهلها (لا ضد الإرهاب  
للعزوم) بصورة احتفالية مبهرجانية.

وكيف يلومونا إذا كنا غير قابلين  
لصديقة دور الولايات المتحدة في الحرب  
ضد الإرهاب، في الوقت الذي تبارك فيه  
الإدارة الأميركية إرهاب إسرائيل في  
أوائل شهر ديسمبر (كانون الأول) ضد  
أهل فلسطين المرء؟

ويستخدم الحكومة الأميركية حالة الرعب  
والذعر في أوساط الشعب لتدوس  
وباستمرار على دستور يظلم الغيابة  
والرساء منذ أيلول. فسهلك نصف  
الأميركيين والأميريكيات يقبلون (ويقبلان)  
بفرض هويات خاصة على المواطنين

والمواطنين من أصل عربي. وهناك نحو  
٦٣ بالمائة من الشعب يقبلون (ويقبلان)  
بالانتفاص من الحقوق المدنية من أجل  
مصارمة الإرهاب. وكما المفارقة بالغة  
عندما نرى شبيها فظيحا بين شعار «من  
أجل مصارمة الإرهاب» الأميركي وشعار  
حكوماتنا الممجوج «من أجل تصدير  
فلسطين». ألم تتمرّض للمهانة والذل  
والتعذيب والقمع تحت شعار «مصارمة  
الكيان الصهيوني»؟ واليوم يتعرض  
العرب والمسلمون وكل من يعارض  
الحرب الوحشية ضد أفغانستان في  
الولايات المتحدة لمحاولة الانتفاص من  
الحقوق المدنية. ومن الإنصاف والضرورة  
التذكير بتلك الاقلية الأميركية التي  
تعارض بجرأة وشجاعة مسلك الحكومة  
داخليا وخارجيا.

**ظاهرة من لادن والحرب ضد  
«الإرهاب»**

إن ظاهرة بن لادن فريدة في تخويفها  
للغرب وفي تقسيمها للإسلام، كذلك  
«الخطر» الذي وصل إلى أبواب مدينة  
فيينا مرتين أثناء العهد العثماني. قيل أن  
يُذخَل (ويُذخَل معه) في سميات عميق  
لأننا لم نلقِ منه بعد.

وين لادن عدو وجب وجوبه أميركيا. فهو  
يقتصر الاحكام، ولحيثه مطلق، ويصّر  
على ارتداء الزي العربي وإن كان يرتدي

بزة عسكرية. وفي هذا صورة صالحة  
تماما للمصنات المطلوبين. وهناك سهولة  
فائقة في استخدام صورته المتكررة  
لتخويف أهل البلاد المذعورين  
والمذعورات.

وهو في فلسفته في السياسة الخارجية لا  
يخطف عن جورج بوش الذي يصّر «أنك  
معنا أو مع الإرهاب»، وكأن الخيار الثالث  
(بمعارضة بوش والحرب الأميركية  
بالإضافة إلى معارضة الإرهاب) ليس  
خيارا متوقفا أخلاقيا. حين لادن يقول إن  
الأحداث قد قُسمت العالم إلى فسطاطين،  
على طريقة دار الإسلام ودار الكفر، وهما  
لا يلتقيان البتة.

وطبقا، الأميركيون يعلمون عن بن لادن  
الكثير لأنه صنيعتهم قبل أن يكون  
صنيعنا. ألم يكن ربيهم هم أثناء الحرب  
الوحشية ضد الحكم الشيوعي في  
أفغانستان؟ ألم تكن العائلة السعودية  
الملك وراء الصلة الإسلامية لإطلاق  
الجهاد في أفغانستان، الأمر الذي أطلق  
العنان لأكثر الحركات الإسلامية تطرفا  
وتزيفا وأصولية؟ ألم يكن الأمير تركي  
(الذي شغل حتى أسابيع معدودة منصب  
مدير الاستخبارات في السعودية) رائد  
تشكيل الفضائل الإسلامية - العربية  
التي جنّدها أداة في يد الاستخبارات  
الأميركية؟



محمد عطا: اختصاصاته هندسية - معمارية

الشيخ الضريع عمر عبد الرحمن الذي يخفي عقوبة السجن في الولايات المتحدة، وطرق الأصوليات الإسلامية نتاج منطقي، بمعنى من المعاني، لممارسات الأنظمة العربية ووحشيتها. والجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر هي، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، نتاج طبيعي عن حكم الجنرالات وعن إلغاء المسيرة الديمقراطية في البلاد. فالأفغان العرب هم هؤلاء الذين لا مأوى ولا ملجأ لهم، وهذا ما يفسر وصفهم بالمقاتلين الأشداء.

إن التعاطف الذي يبديه بعض العرب والمسلمين لـبن لادن هو تمسك للولايات المتحدة وتعجبها، أكثر مما هو تأييد للفكر الذي يمثله بن لادن والذي يقلم عنه الغزr الغليل معظم العرب.

وكان يمكن الولايات المتحدة أن تستفيد من مواقف الاستنكار التي توالى من معظم أنحاء دول العالم الإسلامي إثر التفجيرات. لكن الحكومة الأميركية أثرت أن تتخذ أكثر المواقف الاستفزازية والانفعالية، معتقدة أن زيارة بن بوش إلى مسجد في واشنطن أو أن الهبات المتناثرة فوق رؤوس الناس من الأرض والفاصولياء في أفغانستان من شأنها أن تغير من اتجاهات الراي العام العربي والإسلامي.

المعلنين الأميركيين اليوم (المحافظين والليبراليين) يتعاون جهاراً إلى تغيير مناهج التعليم في المدارس الدينية الإسلامية. حتى إن السناتور جو بايدن (وهو رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الأميركي) ألقى ببلوه في هذا الموضوع بالذات. لكن لا نسمع أحداً منهم أبداً يتدخل في مناهج التعليم في المدارس اليهودية في داخل الولايات المتحدة الأميركية - واليهودية والمسيحية على حد سواء لديهما من نماذج عبد العزيز بن باز ما لبيهما.

نحن لا نعرف الكثير عن بن لادن وعن عقيدته الدينية، وإن كانت أحاديته الصحافية تنم عن عقلية متزنتة ومتحجرة، حتى إنه لم يتورع عن تسويق قتل الأبرياء في حوادث تفجير وإن طالت الأبرياء من المسلمين والمسلمات، على طريقة الأزارقة الخوارج. وعلاقة بن لادن بأيمن الظواهري علاقة الضرورة لأن بن لادن نجح في إنشاء مآوى للمطرويين والمبشرين من الأصولية الإسلامية - وهي ظاهرة تتحمل مسؤوليتها الأنظمة العربية نفسها التي عززت من تصرفات منظمات الأصولية عبر ممارساتها القمعية وانتشار التعذيب والتمثيل في سجون القمع العربية. وأيمن الظواهري نفسه تعرض لتعذيب مبرح. وكان حراس السجن ينتابون على التجويل فوق رأس

وقد ذكرت مجلة الإيكونوميست، وفقاً لمصادر الاستخبارات البريطانية، أن اتصالات كانت قد جرت بين بن لادن نفسه وبين المخابرات الأميركية. وإن كانت الأخيرة قد نكت الخبر من أساسه (جملة وتفصيلاً كما نقول نحن). ومن كان وراء ظاهرة الأفغان العرب؟ وابن كان من يترافق مع التسامح اليوم على وضع نساء الأفغان بينما - ولنعترف بصراحة - كان النظام الشيوعي في أفغانستان مسؤولاً عن إقامة حكم ذهبي لنساء البلاد وإن كان الحكم بولاجسياً وقمياً؟

والأصولية التي نصب عليها بن لادن لها جذور سعودية وقابلية، وهو في توجهه الإسلامي لا يختلف إلا من حيث دخول القوات الأميركية «أرض صحمدة» أثناء حرب الخليج الثانية وبعدها. وقد تتلمذ بن لادن على يد مدرسي النهج الوهابي، الذي أقام بنيات الصبغة ذلك الفقيه الغلامي عبد العزيز بن باز الذي كان يستطيط غيظاً من هؤلاء الذين يزعمون أن الأرض كسروية، أو من أولئك الذين يزعمون أن انساناً قد هبط على أرض القمر.

طبعاً، الاعتراض الأميركي السائد اليوم على الوهابية وعلى سدادس الدين الباكستانية مرفوض قطعاً. والوقاحة أن

## عن الإعلام الأميركي

والإعلام في هذه البلاد مصاب بالهذيان. وهو مهووس بقناة الجزيرة التلفزيونية، وبالأميركي - العربي اليميني فؤاد عجمي (ولهذا الرجل صداقات مع قيادات حركة «أمل» اليمينية)، ويمن يحاول تقليده مثل المصري مأمون فندي (اليساري السابق، اليميني الحالي) الذي يسعى إلى إقناع الإدارة الأميركية بمقاطعة قناة الجزيرة لأنها بحسب زعمه في مقال طويل في مجلة النيويورك تايمز موالية لبن لادن. والواقع أنّ قناة الجزيرة تسوق من حيث أصول مهنة الصحافة ونواميس الإعلام ما يجري في شاشات الإعلام الأميركي التي نذكرنا بنشرات أخبار أنظمة الإذلال العربية وبثها لفتوحات جيوشها المقدامة.

والإعلام هنا تمت سيطرة غير مهذبة من الحكومة، التي أمرته بعدم بث مسودات خطابات قادة القاعدة حتى لا يثيروا في عقول الناشئة ولكي لا يتسنى لهم بث خطابات بالمشيرة إلى عناصركم، وكأثر لشاهد نفسها غير متوفرة على الإنترنت! والضحايا المذنبون والمذنبات بالمشاة واخبارهم في الصحافة الأميركية غير موجودة، خلافاً للصحافة الأوروبية، وهي تفوق في نوعيتها الصحافة الأميركية لنانطة باسم الحكومة في أيام الحرب

## والآتي أعظم

والحرب ضدّ الإرهاب جارية، وهي لا مندوحة ستتسع وستطالنا نحن. ومحاولة التطمين من قبل رفيق الحريري وغيره من الحكومات العربية ضاربة جداً لأنها تنتهي بخداع الجماهير وبعدم تبينة الرأي العام للآتي، وهو أعظم. وفسرب العراق بات من للمستلمات، ومن المرجح أن تتولى الحكومة الإسرائيلية بعض فصول المعركة الأميركية ضدّ الإرهاب، حيث تُشدّ إلى ضرب مواقع في سوريا ولبنان، وإلى بدء برنامج اغتيالات قد يعينها فيه أعرانها وعلاؤها في لبنان.

والحرب ضدّ أفغانستان لن تنتهي بانتهاز ضرب كلّ المواقع على الضرائط التي هي في حوزة القوات الأميركية. فالحكومة الأميركية، ونحن في عهد تجمّد الاستعمار، ستشكّل الحكومة الأفغانية الجديدة، وهي تتعامل مع البلد الجريح بالصف الذي تعاملت به الحكومة السوفييتية أثناء احتلالها. وما هو تحالف الشمال نصّب نفسه مسؤولاً عن شؤون البلاد، مع أنّه من حيث التوزع العرقي والديني والشمعي لا يمثل من أهل البلاد أكثر ممّا يمثله حكم الأقليات في مناطقنا. والتحالف الشمالي مسؤول عن ارتكاب فظائع وجرائم تُفكرها له الحكومة الأميركية، وهي الامرة والناهية في عالم

اليوم. وهكذا، وبصورة بشعة، يتّرع الأخضر الإبراهيمي - الذي لا واسب للوجل أو الإباء له - إلى المانيسا في محاولة لتجميع صورة الحرب الأميركية لتجميع قاذورات حرب الولايات المتحدة. وهل الأمم المتحدة اليوم إلا عامل نفايات لدى الإمبراطورية الأميركية؟

والحرب في أفغانستان بشعة، والبلد في بناء التعتيّة يتعرض للقمير. ويقايا القنابل العنقوبية (أسلوا أهل جنوب لبنان عنها) ستلاحق أطفال أفغانستان لسنوات. ونساء أفغانستان سيتعرّضن لحكم مجموعات لا تفلّ في تعصّبها الذكوري عن الطالبيان لكن هذه المجموعات أميركية الهوى؛ وهذا يتّسع في هذه الأيام بدخول الجثة من أوسع أبوابها!

أما حكومتنا فهي تشتتجدي الرأفة والرحمة من الولايات المتحدة، والعتالة المالكة في السعودية، وهي تعتت بنجاحها لقمعها عبر العقود، تتعرّض اليوم لانتقادات وبهموم لا سابق له. وانفقت سفارتها في واشنطن الملايين لشراء الصفحات في الصحف (بالإضافة إلى شراء الصفحات - أقرارا الأتلام اللاهجة بحياة الملك الفهد في صحف السعودية). ويحاول حكماً إقناعاً بأنهم يحاولون شيء عزم أميركا عن ضرب العراق، لكنهم



جورج و. بوش يزور مسجدًا في أميركا: على من يُكتب؟

الإرهاب. وحدها قناة الجزيرة تغطي الحدث بما يستحق من الاهتمام، ووحدها تحمسي ضحايا المجازر المستمرة في فلسطين.

ويتسألون دومًا هنا عن سبب كراهيتنا لهم. لعلهم اليوم يتكلمون، ولعلهم يزدانون كرهًا لنا لكن كراهيتهم لنا مقبولة؛ فلم وحدهم حق الكراهية والبغضاء والتعصب والتزئذ والتحق. أمّا نحن، فما لنا إلا انتهاج الابتسام وتقديم التحية لجلادينا. ويجب علينا اليوم إلغاء التحية يومئذٍ على كل من يدوس على رؤوسنا باقتدامهم ومن الممكن أن يُسمح لنا يومًا بتقبيل اكتاف قاطعينا... هذا إذا سُمح لنا الاقتراب من حضراتهم.

#### كاليفورنيا

منظمة خيرية إسلامية في الولايات المتحدة تحت عنوان قطع دابر الإرهاب العربي والإسلامي.

والإمبراطورية الأميركية ماضية في غيها، والحكومات العربية ماضية في خنوعها وفي ذلك في تصاميلها مع واشنطن. والقيادات العربية تجول في الدول الغربية كأنهم رُجُل.

ولبنان هدف لا بد من أن يتجلى أمام طائراتهم ويواجههم. لكن رئيس الحكومة اللبنانية مطنش: لعلّ منتظر الربيع الآخر، ذلك الربيع الذي طلب من اللبنانيين انتظاره منذ سنوات. وهزئ الله هو عنوان فقط للعملية الأميركية ضد لبنان ولبنان في تعامله اللفظي والوحشي مع الخصيمات الفلسطينية يحاول أن يبيّض صفحة مع الغرب ومع قوى «إقليمية» كما يقولون في تعليقات الصحف اللبنانية.

والغضب العربي موجّل. وعازف فرقة البيتلز جورج هاريسون حظي بمساحة واسعة من التغطية في صحف العرب والعالم. والضحايا المدنيون (والمدنيات) في أفغانستان وفلسطين مجرّد أرقام، لا يخصصها إلا للمواظب، وتلفزيون رئيس الحكومة مشغول بـ «ميشو مشو» والإعلام اللبناني يغطي الحرب ضد أفغانستان وكلّها موضوعيًا حرب ضدّ

في الحقيقة لا يشتجون إلا السماح لهم بالبقاء في عروشهم.

ويمكن تفاضلًا أن ننظر إلى ما يحدث حولنا كمؤشّر لأفول نجم الإمبراطورية الأميركية؛ فالحكومة الأميركية اليوم، على غرار نابليون، لا تنفك عن محاولة السيطرة على كل ما يقع تحت الشمس. وهذا إنهاك للدرات أيّ بلد، بما في ذلك أميركا. وهي تستدّر اللواري والقوى العالمية لصالحها هي. ويُمكن العرب أن يدافعوا عن حقوقهم الاقتصادية (حتى لا نقول عن كرامتهم وهي مطلوبة تحت براميل من النفط وتحت أفضية جنود البصرة الأميركية المنتشرين في بلادنا) عبر سحب ودائعهم من البنوك الأميركية التي أصبحت عرضة لسياسات مفاجئة ولحريهم ضدّ الإرهاب.

#### خلاصة

يقولون إنّها حرب ضدّ الإرهاب. وكنا قد ظننا أنّ حريهم ضدّ الإرهاب بدأت منذ سنوات بل عقود. فهم قصّصوا علينا وقرّنا وعواصفتنا من أجل مصاربة «الإرهاب». وهم ناصروا ويحماس شديد حرب إسرائيل ضمتنا تحت شعار مجاربة الإرهاب. وهما هي حكومة جورج بوش تشارك، إن لم تكن تحت، الصرب الإسرائيلية ضدّ فلسطين تحت شعار مجاربة الإرهاب. وقد تمّ حظر أكبر

# قوانين مكافحة الإرهاب الأميركية

إجراءات موقوتة أم انقلاب على الدستور؟

إبراهيم عنوش \*

عام ١٩٤٩ والموقعة من قبل الولايات المتحدة تحدت شروطاً صارمة وواضحة للمحاكمات العسكرية. بل إن عدم مراعاة هذه الشروط والقواعد يمثل حسب هذه الاتفاقيات الدولية نفسها جرائم حرب يعاقبها القانون الدولي مرتكبها.<sup>(١)</sup>

ولكن الأمر الذي يثير الدكتور بويل وتلك من القانونيين الأميركيين أكثر من انتهاك القوانين الدولية على ما يبدو هو أن بوش اعطى نفسه صلاحية محاكمة الأجناب المتهمين بالإرهاب على أرض الولايات المتحدة نفسها في المحاكم العسكرية التي يقصدها هو وزير الدفاع في حكومته دونالد رامسفيلد، متجاوزاً بذلك الجهاز القضائي الأميركي كله. أي أن الرئيس بوش، حسب أولئك السادة القانونيين، لم يتجاوز القوانين الدولية فحسب، بل شطب بجرعة قلم الصلاحيات الدستورية للسلطة القضائية برمتها. وهذا هو الأمر الذي جعل هؤلاء يتحذرون، علناً وبالعنف، للآن، عن انقلاب تقوم به السلطة التنفيذية على الدستور، وعلى مايتي عام من التطور الديمقراطي، تحت غطاء «الحرب على الإرهاب». صمغ أن

عليها مجالس عسكرية Court-martials<sup>(٢)</sup>

المحاكم المقترحة، إذن، تُشبه كثيراً المحاكم الصورية التي طُلّا دانتها وسائل الإعلام والأفلام الأميركية، خاصة في سياق تبرير التدخلات العسكرية والسياسية الأميركية في العالم الثالث بصح «إنسانيّة». وهذه هي المرة الأولى التي تلجأ فيها حكومة الولايات المتحدة إلى مثل هذه المحاكم منذ الحرب العالمية الثانية، وإن كانت قد أخذت آنذاك طابع المجالس العسكرية Court-martials الأتال انتهاكاً لحقوق المتهمين. قرار بوش الرئاسي الجديد يقتضي فعلياً منح الإدارة الأميركية حق إعدام أي شخص غير أميركي حول العالم، أو اعتقاله إلى أجل غير مسمى، بتهمة الإرهاب بعد محاكمته صورياً. ويقول البروفيسور فرانسيس بويل Boyle المتخصص في قانون حقوق الإنسان الدولي في هذا الصدد إن المحاكمات في زمن الحرب خاضعة لاتفاقيات جنيف الثالثة في حالة المدنيين، واتفاقيات جنيف الرابعة في حالة العسكريين: إذ إن هذه الاتفاقيات للمبرمة

وقع الرئيس جورج دبليو بوش في أواسط شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠١ قراراً يخوله إجراء محاكمات عسكرية Military Tribunals للأجناب المتهمين بالإرهاب على أرض الولايات المتحدة الأميركية أو خارجها. هذه المحاكم ليس ضرورياً أن تكون علنية، ويحدد الرئيس فيها - بناءً على تقديره الذاتي - هوية المتهم والقضاة وقواعد المحاكمة (مثلاً: الحد الأدنى الكافي من الأدلة لإدانة المتهم الذي وقع الاختيار عليه). وقد سنّ الرئيس بوش هذا القرار بصفتة الدستورية كقائمه عام للقوات المسلحة. دون استشارة مجلسي الشيوخ والفرق أو المحكمة العليا: أي أن السلطة التنفيذية أخذت على عاتقها هنا صلاحية إصدار القوانين وتنفيذها دون أي غطاء تشريعي أو قضائي. وإذا تُعتبر قرارات هذه المحاكم، التي تصل إلى حد الإعدام، فورية للتنفيذ وغير قابلة للاستئناف، فإن بعض الخبراء في القانون العسكري صرحوا للصحف بأن المحاكمات المقترحة تعطي للمتهم حقوقاً أقل بكثير من المحاكمات العسكرية العادية التي تُشرف

\* استاذ اقتصاد في جامعة البغداد في عراك، ومعضر رابطة الكتاب الأردنيين.

١ - نيويورك تايمز، ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠١.

٢ - من مقابلة إذاعية أجرتها محطة في ولاية كاليفورنيا الأميركية مع البروفيسور بويل، وورّع نفسها على الإنترنت الدكتور بويل نفسه يوم ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠١.



وزير العدل جون أشكروفت: قرارات بالتنسيق مع بوش تخالف الدستور

كسفرار وزارة العدل التقنصت على الحادثات بين المعتقلين وحاميتهم - وهو قرار يخالف الدستور مخالفةً صريحةً وإثر هذا القرار أرسل رئيس اللجنة القضائية في مجلس الشيوخ باتريك ليهي Patrick Leahy رسالةً مفتوحةً إلى الوزير أشكروفت يحتج عليه فيها ويقول له إنه يذهب أبعد من قوانين مكافحة الإرهاب نفسها دون أي غطاء قانوني على الإطلاق. وقد نشرته وسائل الإعلام الرسالة يوم ٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠٠١، وأظهرت أن ليهي كان قد وجّه ست رسائل سابقة إلى أشكروفت يسأله فيها عن عدد المعتقلين بعد أحداث ١١ سبتمبر وأسمائهم وأماكن اعتقالهم والتهمة الموجهة إليهم، ولكنه لم يتلقَ أيّة إجابة على الإطلاق. وقد زاد من غضب ليهي وبعض زملائه أنهم وجّهوا دعوات عدة للوزير أشكروفت للمثول أمام مجلس الشيوخ بالإدلاء بشهادته، غير أنه لم يكلف نفسه عناء الردّ على هذه الدعوات وإنّ بالرغرض، وكان مثل هذا السلوك يعيّن الاحتمال قبل سنّ قوانين مكافحة الإرهاب. وقد أدّى ذلك إلى انفجار الخلاف علناً في النهاية، وذلك في جلسة لمجلس الشيوخ يوم ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠١ إذ صرخ ليهي في وجه نائب وزير العدل الذي حضّنَ عوضاً عن الوزير أشكروفت، وهو المستدعى أصلاً،

منذمة في باكستان في أواخر شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠٠١ قائلاً إنّ هذه الاستطلاعات تصمّم بطريقة مدروسة لإظهار التأييد الشعبي للحكومة. وقد تكون ملاحظة تشيخ-مسكي عن استطلاعات الرأي في محلّها بشكل عام، غير أنّ الذي يصل الإترنت مثلاً، وهي النبدان المفتوح، من الأصوات الأميركية المعارضة لانتهاك الدستور بصحّة مكافحة الإرهاب ما برح محدوداً.

المؤكّد هو أنّ بعض النواب والشيوخ والقانونيين الذين كانوا قد أدلوا بحماس قولنّ مكافحة الإرهاب في البداية، مثلّ قانون مكافحة الإرهاب المعروف باسم Combating Terrorism Act السني صابقت عليه السلطة التشريعيّة بعد تعديرات ١١ سبتمبر بلّام، ومثلّ قانون USA Patriot Act الأكثر شمولاً الذي صابقت عليه السلطة التشريعيّة ثم وقّعه بوش يوم ٢٦ أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠٠١، صادوا إلى معارضة إدارة بوش علناً عندما لاحظوا أنّ السلطة التنفيذية أخذت التوجّه العامّ لهذه القوانين نريضة لإبرام مراسيم مخالفةً للدستور دون العودة إلى السلطة التشريعيّة أو القضائية. ومن ذلك مجموعة من القرارات المؤخذة من قبل وزير العدل جون أشكروفت بالتنسيق مع الرئيس بوش، وأثارت حفيظة بعض النواب والشيوخ بشدّة

الذين يتحدّون مثل البروفيسور بويل عن انقلاب السلطة التنفيذية على الدستور مايزالون قلائل، ولعلّ ذلك يعود إلى أنّ المستهدف أساساً من القوانين والإجراءات المشدّدة أمثلاً هو الأجانب، ولاسيّما العرب والمسلمون، ولكنّ الأصوات المؤخّرة من تفوّل السلطة التنفيذية في تزايد. ويراهن المعارضون على تغيير موقف الشعب من لمراسيم الرئاسيّة التي تزداد يوماً بعد يوم عندما يُخضع له إنّ السماح بتحمي الجهاز التنفيذي على الدستور والقانون في حالة الأجانب بصحّة مكافحة الإرهاب سوف يتّبعه بالضرورة انتهاك السلطة التنفيذية لحقوق الأميركيين بالحجّة نفسها أو بحجج أخرى، وذلك لأنّ الذي يحدّث في الولايات المتحدة اليوم يملّ تغييراً في بنية النظام السياسيّ لصحّة السلطة التنفيذية على حساب السلطتين التشريعيّة والقضائيّة، حسب رأي الخبراء القانونيين المعارضين ومعهم بعض جمعيات الحقوق المدنيّة وبعض المنظمات العربيّة والإسلاميّة الأميركيّة.

الشعب الأميركيّ ما فتى يؤيّد حكومته وإجراءاتها الأمنيّة وسياسيّتها الخارجيّة، حسب ما تُظهره استطلاعات الرأي ووسائل الإعلام، على الرّفم من أنّ المفكّر اليساريّ المعروف نوم تشومسكي عارض هذا القول في محاضرة القاها في قاعة

قائلاً: «إن إدارة بوش استغلّت قوانين مكافحة الإرهاب لتتجاوزها بإجراءات فردية من لدنها، مثل المحاكمات العسكرية وغيرها. وهذه الإدارة فشلت في احترام الضوابط والتوازنات التي تشكل الإطار القانوني لنظامنا. وقد تصاوناً مع هذه الإدارة في إبرام قوانين مكافحة الإرهاب التي أرادتھا عادةً جهات ١١ سبتمبر. فلماذا تُرفض مجرّة استشارتنا في ما يتعلّق بإجراءاتها الجديدة؟»

وكأنّ هذا الاستهتار بالسلطة التشريعية لم يكن كافياً، فقد طلبت وزارة العدل بعد رسالة ليهي المفتوحة في ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) بأنّام من الأجهزة الأمنية المختصة أن تستدعي للتحقيق خمسة آلاف شخص من العرب والمسلمين الذين دخلوا الولايات المتحدة بصسرة مشروعة، بناءً على تأشيرات دخول سياحية أو طلابية أو تجارية. وكان الهدف من ذلك الاستدعاء هو الحصول على معلومات يُمكن استخدامها في إدانة المُتهمين في المحاكمات العسكرية غير المخوِّلة من قبل السلطات التشريعية والقضائية، والتي يُزعم الرئيس بوش إجراؤها بحسب المذكور أعلاه. الاستفزاز المزيج هنا يجيئ أيضاً من إعلان وزارة العدل أنّ الآلاف الخمسة للمستدعين

للتحقيق غير مُتهمين بشيء، سوى أنّ التحقيق معهم يمكن أن يبيد في الحصول على معلومات أمنية؛ وهذا الأمر ما كان من الممكن أن يُحصل قبل قوانين مكافحة الإرهاب، فحسباً عن كونه يتجاوز هذه القوانين نفسها، لأنّ المستدعين للتحقيق لا تُحرم حركتهم أيّة شبهة حسب اعتراف الذين يستدعونهم للتحقيق.

عند هذه النقطة، ارتفع أيضاً صووتُ مجموعة ليبرالية هي «الاتحاد الأميركي للحريات المدنية» (ACLU). وكان هذا الصوت قد خلّت عند التصديق على قانون مكافحة الإرهاب الأول بعد أحداث ١١ سبتمبر مباشرةً، أيّ قانون Combating Terrorism Act، وقالت هذه المجموعة الآن إنّ قرار استدعاء الآلاف للغمسة من العرب والمسلمين تقوض منه رائسة العنصرية. ومع أنّ القابلات يُعرض أن تكون «طوعية» فإنّ عملية اختيار المستدعين تمت هي نفسها على أساس الانتقاء القومي والطائفي - وهذا أمر مدان في حدّ ذاته. وقد أشار العديد من المنظمات والشخصيات العربية والإسلامية الأميركية إلى البعد العنصري للإجراءات الجديدة بأنشراها، ونكّر أحد الكتّاب العرب الأميركيين أنّ هذه الإجراءات تُشجبه

حملات الاضطهاد ضدّ الأميركيين من أصل ياباني في الحرب العالمية الثانية<sup>(١)</sup> وتُشجّر الإشارة في هذا السياق إلى أنّ وسائل الإعلام الغربية باتت تُبحث جدياً في مشروعية استخدام التعذيب ضدّ المعتقلين في قضايا مكافحة الإرهاب مباشرةً أو من خلال إعادتهم للتحقيق معهم في الدول التي قُدموا منها أصلاً<sup>(٢)</sup>. والإدارة الأميركية ما زالت تُلمي أنّ هناك توجّهاً رسمياً من هذا النوع، غير أنّ مجرد بحث مسألة مشروعية استخدام التعذيب في مجتمعات تُسمّى نفسها بالديمقراطية وتُزعم بحقوق الإنسان يُشعّر على بداية تحوّل خطير في نظام القيم والمبادئ الذي تقوم عليه. وعلى كل حال، قالت كارين بانيفتوتن، محامية المراهل الأمريكي غسان دحدولي الذي أُلغس إلى الزين يوم ٢٧ - ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠١ بعد اعتقاله في الولايات المتحدة غداة أحداث ١١ سبتمبر، وبين أن توجه إلية تهمّة أو يُقرّف تاريخ إبعاده حتى من قبل محاميه الأميركيين، إذ اعتُقل عند وصوله إلى مطار عشان الدولي، إنّها تتصوّف من أن يكون إبعاده قد جاء بهدف ممارسة التعذيب عليه<sup>(٣)</sup>.

١ - يُراجِع موقع اللامحة العربية الأميركية Arab-American List على الإنترنت يوم ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠١.

٢ - كما هو حال القانونيين اللندنيين راجِع المصدر السابق.

٣ - واشنطن پوسٲ، ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠١.



حي يصبح إعلان الحقوق عنة يدعي بالوقفا

وقد وقعت الولايات المتحدة على هذه المعاهدة، كما وقعت عليها مصر وسوريا والسعودية والباكستان، ومن ثم لا يحق للولايات المتحدة أن تشتغل مواطني هذه الدول دون إبلاغ دولهم بذلك وبأسباب الاعتقال وما شابه ولكن كريستوفر بولن يقول في مقالته إنه بحث لدى وزارة العدل فوجد أنها شتمت على لائحة مختصرة لدول الواقعة على المعاهدة المذكورة، لا تضم من الدول العربية والإسلامية إلا الكويت!

ويظهر تعاون السلطة التشريعية مع إدارة بوش في مجال تجنيد برنامج «المعاونين المسؤولين» أيضاً أن السلطة التشريعية لا تقف عائقاً سياسياً في طريق الحملة ضد ما يسمى الإرهاب، ولكن السلطة التنفيذية هي التي تصر على التأكيد في ممارساتها على توسيع صلاحياتها دون الحاجة إلى الصعود إلى السلطين التشريعية والقضائية، يحدوها في ذلك روح وضموئ التوجه الأساسي لقوانين مكافحة الإرهاب، فالمشكلة ليست سياسية هنا، لأن القوانين التي سنّها السلطة التشريعية تحذ من الإشراف القضائي على السلطة التنفيذية وسلوكياتها، وتسمح بانتهاك الحقوق المستورية للمعتقلين، وتتخذ من مبادئ المحاكمة العادلة، وتشرع الاعتقال إلى أجل

الولايات المتحدة وخارجها تحت برنامج المتعاونين المسؤولين Cooperators Program الذي يُخفى في الواقع بغطاء من السلطة التشريعية. ويظهر تاريخ إعادة الإعلان عن البرنامج، الذي تولته السلطة التشريعية قبل سبع سنوات ففقد مفعوله قبل أن يُعاد تجديده، فشل كل الإجراءات الأمنية في الحصول على معلومات مهمة تتعلق بهجمات ١١ سبتمبر، رغم اختفاء اللثام من العرب والمسلمين الذين اصررت الأجهزة الأمنية على عدم كشف أسمائهم وأماكن اعتقالهم وألقهم الموجهة إليهم. ويقول كريستوفر بولن Christopher Bolln في مقالة وزّعها البروفيسور بويل على الإنترنت يوم ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠١ إن قيام الولايات المتحدة باعتقال المواطنين الأجانب على أراضيها، فضلاً عن بؤسها العنصري لأنه موجّه ضد العرب والمسلمين أساساً، إنما يخالف معاهدة فيينا للعلاقات القنصلية Vienna Convention on Consular Relations التي أبرمت عام ١٩٦٣ والتي تُجبر الدول على إبلاغ بعضها بعضاً في حال اعتقال مواطني الدول الواقعة على المعاهدة، وتُجبرها أيضاً على اتباع مجموعة من الإجراءات القانونية الأخرى.

وقد وصل عدد المعتقلين حسب قوانين مكافحة الإرهاب إلى أكثر من ١٢٠٠ شخص<sup>(١)</sup> المساواة الأعظم منهم من العرب والمسلمين. ووافقت وزارة العدل أخيراً على كشف عدد التتبعين لديها من هؤلاء، وهو ٦٤١ معتقلاً، ووافقت على الكشف عن أسماء ٩٣ منهم ولكنها رفضت الكشف عن ٥٤٨. والطريف أن نيويورك تايمز التي ذكرت هذا الخبر تزكّد نقلاً عن وزارة العدل أن معظم هؤلاء المعتقلين تبين أن لا علاقة لهم بالهبة بما يسمى الإرهاب ولا بتنظيم القاعدة، باستثناء ١٠ معتقلين أو ١١ معتقلاً تدور حولهم شبهات غير مؤكدة، وكان خبر لوكالة رويترز يوم ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠١ قد أشار إلى أن المتحدث باسم البيت الأبيض أعلن أن معظم المعتقلين قد تم إخلاء سبيلهم على الأرجح لتهمته الخواطر، فرددت وزارة العدل في مؤتمر صحفي أن معظم للمعتقلين مازالوا موقوفين وأن عهدهم وصل إلى حوالي ١١٨٢ حتى ذلك التاريخ. ويسبب عجز وزارة العدل عن بناء أية قضية ضد أي شخص لا علاقة بهجمات ١١ سبتمبر، أعلنت أنها سوف تسهل الحصول على الجنسية الأميركية لكل من يتعاون أميناً من الأجانب داخل

١ - نيويورك تايمز، ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠١.



غير مسعىً دون إبداء الأسباب الموجبة، وتتيح القيامَ بعمليات تفتيش بشكل سرّي، وتبثّر المصادرة والمراقبة والتفتّص على مستويات غير مسبوبة، وتعاقب في حال وقوع الشبهة لا بعد الإثباتات والبراهين. فمن الطبيعي بعد كل ذلك أن يطغى الجهازُ التنفيذي على السلطتين التشريعية والقضائية.

وفيما يلي محاولة لتلخيص البنود الأساسية في قانون توميد اميركا وتعزيزها وتعويق الإرهاب واعتراضه، وهو القانون المعروف باسم USA PATRIOT Act الذي اعتزّن عليه في مجلس الشيوخ واحدٌ من أصل مائة شيوخ، واعترض عليه في مجلس النواب ٦٦ من أصل ٥٣٨ نائلاً. وقد وقّعه الرئيس بوش يوم ٢٦ تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠١. فأصبح بذلك قانوناً. وهو قانونٌ شاملٌ يمسّ العديد من جوانب الحياة السياسية والمالية والشخصية، ويهدّل الكثير من القوانين الأخرى للمعمل بها في الولايات المتحدة حتى تاريخه، ويشكّل الأساس الذي انطلقت منه إدارة بوش في تجاوزته، ومن رحمته انطلقت اليه سعياتها المجتمّع سنواً طويلة على الأراج. وبالتخييص التالي يعتمد على موقع الإنترنت التابع لأُكساد الصرّيات اللندنية الأميركية ACLU، وعلى التحليل القانوني الذي قام به المحامي آلن غراف Alan Graf

وهو أحد قيادتي نقابة المحامين في ولاية أوريغون الأميركية:

(١) القانون الجديد (الجزء ٤١١) يُسّمع باعتقال وإبعاد للقيمين في الولايات المتحدة من غير الأميركيين الذين يقدّمون أي نوع من المساعدة، حتى لو كانت ذات طابع قانوني، لأيّ مجموعة يقرّر وزير الخارجية أنّها مجموعة إرهابية، دون الحاجة إلى قيام الحكومة مسبقاً بتحديد أيّ المنظمات تُعتبرها إرهابية. ويُمكن تطبيق القانون بأثر رجعي، أيّ ضدّ أشخاص قُتلوا قبل عشر سنوات تيسّعات أو مساوى لأشخاص أصبحت الحكومة تعتبرهم اليوم إرهابيين؛ وعلى الدّعى عليه أن يثبت أنّه لم يُعرف أنّ المجموعة التي ساعدها هي مجموعة إرهابية - وفي ذلك ظلّ مستوى خطير، إذ إنّ الأصل هو أن يُثبت للدّعى أنّك لا أن يُثبت للدّعى عليه البراءة. ويهدّل القانون الجديد قانون الهجرة والجنسية بحيث يُسّمع بمنع ختم البطاقة الخضراء من العودة إلى الولايات المتحدة إذا اعتبرت وزارة الخارجية أنّ أراء هذا المهاجر تدعّق مكافئة للإرهاب. ويوسّع الجزء ٤١١ تعريف الإرهاب بحيث يُشمل تدمير المستلكتات وإنّ لم يُلحق أيّ اذى بالأشخاص. ويقول آلن غراف في هذا السياق إنّ تعويق السّيرور خلال مظاهرة يمكن أن تصبح إرهاباً إذا مُسّر هذا النص بشكل متعمّد؛ أمّا التأثير السياسي لهذا

القانون فهو محاولةٌ شلّ العمل السياسي والإعلامي للعرب الأميركيين.

(٢) القانون الجديد (الجزء ٤١٢) يُسّمع باعتقال للقيم الأجانب في الولايات المتحدة، ومنهم ختم البطاقة الخضراء إلى أجل غير مسمى دون اتهامه بأيّ جريمة. وهنا يجب على وزارة العدل أن توجه تهمه جنائية أو تتعلّق بمخالفة قوانين الإقامة خلال سبعة أيّام من تاريخ الاعتقال. أمّا إذا اكتفت بالقول إنّه يشكل خطراً على الأمن القومي للولايات المتحدة، فإنّ اعتقاله يمكن أن يستمرّ أيضاً إلى أجل غير مسمى على أن يعاد النظر بملفه مرّة كلّ ستة أشهر. ولا يُشترط القانون الجديد أن يحاكم المعتقل خلال هذه المدة أو في نهايتها، أو أيّاً من الشروط القضائية الأخرى المعمول بها عادةً في مجال الأدلة والبراهين والإثباتات. ويمكن أن يستمرّ الاعتقال إلى ما لا نهاية على أساس اتهامات غامضة وغير محدّدة حول الخطر على الأمن القومي. الضابط الوحيد هنا هو حقّ تقديم التماس إلى المحكمة العليا أو محاكم استئناف محدّدة ذات صلاحية. رغماً عن ذلك، نلاحظ إمكانية ابتزاز المعتقل في ظلّ هذه الظروف لإجباره على الشهادة ضدّ آخرين، وللتمساع مع الأجيّة. ويُمكن أن يستمرّ الاعتقال إلى أجل غير مسمى في حال مخالفة قوانين الهجرة، بعد صدور قرار الإبعاد، إذا



بوش يوقع قوانين مكافحة الإرهاب: من المجتمع المفتوح إلى الدولة البوليسية

وبإعطائنا للـ CIA. كل المطلوب لكي يُسمح ذلك قانونياً هو أن تصكف هذه المعلومات «معلومات أمنية خارجية». وفي الجزء ٢٠٢ من القانون الجديد تعرف المعلومات الأمنية الخارجية على أنها أية معلومات تتعلق بشخص أمريكي أو غير أمريكي وتُحصل بقرّة اجنبية أو أراض اجنبية وتربط بالدفاع الوطني عن أمن الولايات المتحدة أو بإدارة الشؤون الأجنبية في الولايات المتحدة. وفي السلسلة التي تصكف فيها أية معلومات «أمنية خارجية» فإنّ ذلك يُعطي قوى الأمن فوراً صلاحيات غير محدودة للحصول عليها تحت غطاء قانوني كامل، ويُسمح بتبادلها على جميع المستويات الأمنية.

٥) القانون الجديد (الجزء ٢١٣) يُسمح بالتفتيش دون إبلاغ الشخص المعنيّ. كلّ المطلوب هنا هو إلقاء الأجهزة الأمنية أن إبلاغ الشخص المعنيّ أن منزله أو مكان عمله أو سيارته أو جهاز حاسوبه تعرض أو سيتعرض للتفتيش سوف يؤثّر على سير التحقيق، حتى لو لم يكن الأمر متعلّقاً بقضية إرهابية. التفتيش، إذن، يمكن أن يجري خلسةً. وكان القانون السابق في التفتيش يُلزم على الأجهزة الأمنية أن تُبلغ المعنيّ لكي يتصكّن من تحديّ المذكرات قضائياً أو لكي يكون موجوداً للثأل. من أنّ التفتيش لم يتجاوز حدود المذكرات (إسلاً منكرّة التفتيش عن اثاث مسروق في منزل لا

المعنيّ بالمعنى، أيّ دون الحاجة إلى تصريح جديد ويُطبق كلّ ما سَيَق في المكالمات الهاتفية أيضاً. ويستطيع أيّ قاضٍ في أية محكمة مهما كان مستواها أن يُتّح تصريعات المراقبة هذه التي تصعّ في كل الولايات المتحدة، أيّ أن قاضياً في مدينة في أقصى الغرب يستطيع أن يُتّح تصريحاً لمراقبة اتصالات شخص في مدينة في أقصى شرق الولايات المتحدة

٤) لقانون الجديد (الجزء ٢٠٢) يعطي وكالة المخابرات المركزية الأميركية CIA صلاحيّة للحصول على معلومات مباشرة من الشرطة المحلية في المناطق ومن مكتب المباحث الفدرالية FBI. وقد كان عمل الـ CIA قبل هذا القانون يُخصر خارج الولايات المتحدة، إلّا في حدود ضيقة، حتى جاء هذا القانون. فالجزء ٢٠٢ يُسمح للشرطة المحلية والـ FBI أن تُغطي الـ CIA أية معلومات أمنية أو استخباراتية خارجية تقع عليها خلال التحقيق بفضية لا تُصَل بذلك. وقد يَتّو هذا الأمر طبعياً للوهلة الأولى للقارئ العربيّ، سوى أنّ الأميركيّين يتحسّسون بشدة من قيام الـ CIA بالتجسس عليهم، ويشتّبون ذلك من الكيان في مخالفة القانون. ولكنّ القانون الجديد يُسمح بجمع كمّيات هائلة من المعلومات من السجلات الرسمية أو المالية أو الهاتفية أو القانونية أو الطبية أو غيرها للذين يُحطون الجنسية الأميركية.

وقدّ بلّد المعتقل الأصليّ استقباله، أو إذا لم يوجد بلّد يُقبل استقباله.

(لاحظ أيّها القارئ الكريم، أنّ الأجزاء اللاحقة يمكن أن تمسّ للمواطنين الأميركيّين أيضاً حتّى لو لم يكونوا من أصل عربيّ).

٣) القانون الجديد (الجزء ٢١٦) يحدّ من الإشراف القضائيّ على مراقبة الهاتف والإنترنت، ويُسمح للأجهزة الأمنية أن تُحصل على كلّ عناوين البريد الإلكترونيّ التي تُراسل مع الشخص المعنيّ ويُتّح مكتب المباحث الفدرالية FBI حسب القانون الجديد أن لا يُنظر إلى محتويات الرسالة، بل إلى العنوان فقط : وهذا لا يوجد أيّ نوع من الضوابط لضمانه. والأهمّ أنّ القانون الجديد يُعزّز على القضاة فرضاً أن يعطوا عناصر الـ FBI تصريحاً بالصّور على هذه العناوين بمجرد أن اتّصاتهم أنّ هذه المعلومات تُصَل بتحقيق جنائيّ» دون إيضاح المزيد، وبدون أن يكون هذا التحقيق مُصلاً ضرورياً بالإرهاب. وليس للقاضي خيارٌ في هذا الأمر حسب الجزء ٢١٦. إذ عليه أن يُتّح تصريحاً للمصوّل على المعلومات المطلوبة. ويعطي القانون الجديد في هذا الجزء أيضاً للأجهزة الأمنية حقّ معرفة كلّ المواقع التي يزورها الشخص المعنيّ على الإنترنت. وتُحصل هذا التصريح حقّ مراقبة البريد الإلكترونيّ للأشخاص الذين يتراسلون مع الشخص

تُسَمَّع بتفتيش فائزاة الهاتف أو الملفات في درج مكتب). الآن لم يعد كل ذلك ضرورياً.

٦) القانون الجديد (الجزء ٢١٥) يُسَمِّح بإجراء عمليات تنصّت وتفتيش على أي مواطن أميركي أو غير أميركي من أجل الحصول على معلومات أمنية خارجية،

دون الحاجة إلى إثبات أن هناك ما يربط المعنى بجريمة أمام المحكمة المختصة التي تُعطي مذكرات أو تصريحاً بالتنصّت وللتفتيش في هذه الحالة، وهي محكمة

قانون المعلومات الأمنية الخارجية. كل المطلوب هنا هو اتّباع الأجهزة الأمنية أنها تحتاج إلى المذكرّة أو التصريح للحصول

على معلومات أمنية خارجية. ومع أن هذا الجزء يقول إن المراقبة يجب ألا تُفَعِّل من ممارسة المعنى لحقه في التعبير عن رأيه،

فإنّها لا تُلْزِم المراقِبَ بإبراز أي دليل للحصول على صلاحيات المراقبة والتفتيش. وهذا يعطي الـ FBI صلاحيات لم تُحصل

عليها في تاريخ الولايات المتحدة. وبالمناصفة، لا يُنَكِّد القاضي صلاحيّة رفض إعطاء المذكرّة هنا؛ فالأمر أصبح بذلك شكلياً ليس إلا. ويمكن الحصول

على كل سجلات المعنى للدرسيّة أو الماليّة أو الهاتفية أو القانونية أو الطبيّة أو غيرها، تحت هذا البند أيضاً، وبدون علمه.

٧) القانون الجديد (الجزء ٣٥١) يُخَرِّص على المؤسسات المالية أن تراقب كل

النشاطات المالية وأن تُبلِّغ عن أيّة نشاطات «مريبة»، دون إمكانية ملاحقتها قضائياً ودون إبلاغ للشخص المعنى. هذا الجزء مثلاً يعطي الأجهزة الأمنية صلاحيّة الحصول على سجلات المشتريات على بطاقات الائتمان Credit Cards.

بناءً على ما سبق، يقول المحامي آلن غراف إن القانون الجديد يتضمن قرارات غير دستورية تُسَمِّح بالحقّق المدنيّة. كما أنه يعدّ ميزان للقوى بين المؤسسات الحكومية

لمصلحة الأجهزة الأمنية وضدّ الحاكم ويشير المحامي غراف في النهاية إلى أن الحاكم تميل إلى الحدّ من الحقوق المدنية

في زمن الحرب في الولايات المتحدة، عادةً، ولكنّه لا يُنَكِّر ذلك في سياق تبرير القانون الجديد بالطبع، لأنّ الفرق كبير بين أن تقرّر الحاكم الحدّ من الحقوق المدنية في ظروف استثنائية وبين الحدّ من صلاحيات الحاكم نفسها من قبل السلطة التنفيذية.

أمّا البروفيسور فرنسيس بويل فيقول إن القانون الجديد يمثل انتهاكاً للميثاق الدولي للحقوق السياسية والمدنيّة The International Covenant on Civil

and Political Rights، وتعلّق - من ثمّ - ممارسات إخفاء الناس في معتقلات غير معروفة لأجل غير مسمى وبدون محاكمة أو إبداء الأسباب القانونيّة الموجهة جرائم ضدّ الإنسانية. وبالمناصفة، كان

بوش قد قال في حملته الانتخابيّة إنه يمارض استخدام الدلائل السريّة في الاعتقالات المرتبطة بمضامفات قانون الهجرة. حرصاً على أصوات الأميركيين من أصل عربيّ آنذاك! ويضيف البروفيسور بويل أن المقيمين في الولايات المتحدة يُخَرِّص حقوقهم الدستوريّة، ومن ثمّ يمثل انتهاك هذه الحقوق انتهاكاً للدستور.

وقد قامت أسبوعيّة ذي نيشن The Nation اليساريّة الأميركيّة في عددها الصادر يوم ٢٦ أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠٠١ بمعرض ملصّح لهذا القانون

بطريقه يُبَيِّن كلّ انتهاكاته للدستور. إذ إنّ القانون الجديد:

- يُسَمِّح باعتقال وسجن غير المواطنين، ويمنع حقّ البطالة الخضراء من العودة إلى الولايات المتحدة، بسبب أرائهم المعارضة.

- يخفّض من القيود القضائية على إجراءات مراقبة الهواتف والإنترنت، حتّى في القضايا غير المتعلّقة بما يسمّى «الإرهاب».

- يوسّع من صلاحيات الأجهزة الأمنية في القيام بعمليات تنصّت دون مذكرّة رسمية، وبدون معرفة صاحب الملائقة.

- يُعطي المَنصَّح العامّ ووزيّ الخارجية صلاحيّة تصنيف أيّ مجموعة في الولايات المتحدة كمجموعة إرهابيّة، ليتمّ التعامل معها على هذا الأساس، ومنع أيّ أجنبيّ



طبعاً؛ فالوكالة تُقرّر أن مثل هذه  
الانغلاقات يحرّمها القانون، وهي لا تريد  
أن تصبح كبريفاء فداء حين تُتّصّل الحاجةُ  
إلى هذه الانغلاقات ويصعب التّطوُّبُ؛ إعادة  
الفتح الديموقراطي إلى وجه النظام. على  
كل حال، تقول الصحيفة المذكورة إنّ أوامر  
الرئيس بوش تُشجّع باختيار أهداف خارج  
أفغانستان أو منظمة القاعدة، وإنّ لوائح  
قد تمّ إعدادها باسماء المزعّم استهدافهم،  
ولأنّها تضمّ اسماء أشخاص لا يمارسون  
القتال، فإنّهم بالضرورة لن يكونوا سفوف.  
وأضافت الصحيفة أنّ التّوجّه لتجوير  
اغتيال الرّعاة الأجانب قانونيٌّ بدأ في  
البيت الأبيض منذ عام ١٩٩٨، ولكنّ بوش  
الابن يبدو أنّه اعتبَر أنّه أخذ الصّوّة  
الأخضر في قانون مكافحة الإرهاب الذي  
سُيّم يوم ١١ سبتمبر؛ والليل والليل حول  
الرئيس صلاحية استخدام القوّة للأزمة  
ضدّ الأشخاص الذين لهم أيّ علاقة  
بميجرات ١١ سبتمبر. ومرة أخرى، وكما  
في حالة التعذيب ضدّ المعتقلين في أميركا  
نوي لير غير أميركا، كما جاء أعلاه، الرّعاة  
الصحيفة إنّ CIA قد لا تُنفذ عمليات  
لاغتيالهم مباشرة، بل «تستطيع أن  
تستعمل ارديئين وسودانيين ومصريين  
على استخدام أن يقوموا بهذا من أجلها»  
والنّسطن بوست، ٢٨ أكتوبر ٢٠٠١).

في سبّتمبر الحالى من إرهاب الـ CIA  
عُمان

رئاسياً يُشجع بإبقاء وثائق الرئيس ونائب الرئيس سرية حتى بعد تدخيمهما عن الحكم، ولو رأى الرئيس اللاحق غير ذلك، مشروط القانون الجديد ببعض ميسر وبعض وثائق إدارات القانون وبعض الأبواب وراءها ربحان عن المجهز. وكان القانون السابق المعمول به حتى الآن يُجمل السجلات الرئاسية ملكاً للحكومة لا للرؤساء السابقين، وقد صدر ذلك القانون بعد فضيحة ووترغيت ومحاولة الرئيس نيكسون أنذاك أن يُعفي بعض الوثائق، ولكن بعض الأنجل ثالث مرات حتى الآن كُشف ٦٨ ألف صفحة من عهد الرئيس الأسبق ريفان الذي انتهى عام ١٩٨٨ والذي كان أبوه فيه نائباً للرئيس بيد أن بوش الابن ذاب ما حول التسرُّب على شيء ما في ماضي أبوه فإنه ما كان يُعتبر أن يُعطل ذلك بمسألة القانون حتى الماضي القريب. والقضية ليست قضية تحوّل بنوي في النظام فحسب، بل قد ترتبط بالمرشد خطورة بكثير.

وهذا الأمر قد يُضلل ما ذكرته صحيفة واشنطن بوست يوم ٢٨ أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠٠١ حين أوردت تقريراً مطوّلاً قالت فيه إن وكالة المخابرات المركزية الأميركية CIA تُنظر في أمر القيام بأبحاثات فرعية حول العالم ضمن تفويض رسمي من الرئيس، ولكن الوكالة لا تُضيق اختيارات الأهداف بضعها، بل تريد أن يختارهم الرئيس لها. والسبب واضح

يُنْتَمِي إليها - حتى من حُصْلَة البطاقة الخضراء - من دخول الولايات المتحدة.

- يُجْعَل دفع رسوم العضوية للمنظمات السياسية المُخضوبة عليها دليلاً إجرائياً عاقِب عليه القانون بالإهمال من أميركا (سبب قُبْح البنية الأخرى بالتصديق ضمن سياق الحقبة الصهيونية ضدّ الجمعيّات العربيّة والإسلاميّة التي تُجْمَع التّبرعات في الولايات المتحدة).

- يُنْتَعَل FBI صلاحيّات الحصول على السجّلات الماليّة أو الطبيّة أو التّعليميّة لأيّ شخص دون أمر من الحاكم. بل دون أيّ دليل وإسناد.

- يُسْمَع بإجراء عمليّات مراقبة واسعة النطاق لأغراض استخباراتيّة دون إبراز دلائل اشتباه في الحاكم.

- يُعيد لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة CIA صلاحيّة تحديق أهدافه المُشكّسة داخل الولايات المتحدة، مع أنّ القانون يُلْزم هذه الوكالة العمل خارج الولايات المتحدة.

- يوسّع تعريف «الإرهاب المحلي» بِشكْل يُثْكَن أن يَضُم أعمال الاحتجاج السياسيّ السلمي.

وضمن سياق التحوّل من المجتمع المفتوح إلى الدولة التّسلطيّة، قالَت يُمَيّة النّخبويّة دافن في ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠٠١ إنّ يوشا ألين أصدر قراراً

# أميركا ضد «أميركا»

ملف من أعداد: سماح ادريس وكيرستن شايد

لم يكن قسمة في التاريخ حريات مدنيّة اعطتها أي حكومة لأي شعب على طبق من ذهب. إن هذه الصّريّات لا تأتي إلا بناءً لحظ شعبيّ، وبفضل تضمينات هائلة. إن «إعلان الحقوق» على نحو ما لاحظ جيمس مايسون عام 1791، لا يقفم إلا «عواطف وراقيّة» أمام انتهاكات الحقوق المدنيّة المخلّة، وأما العواطف المدنيّة فيجب أن تأتي من المدنيّن أنفسهم.

تقسّم الآداب هذا الملف على أن تحسّق عدد من الأدهاف المراقبة. أولاً: نوّد أن نُكشف الخداع الأميركيّ: بهدف إزالة الأوهام عن المخدوعين (أميركيّين وغير أميركيّين) الذين يتخلّفون أن أميركا في مبدأ ذاتها أفضل من باقي الأمم. تتكرّوا هنا عبارة جورج و. بوش إلى الأبد بعد تفجيرات 11 سبتمبر حيث أكلن - فيما هو يُعدّ الشعب للحرب - «أننا أفضل منهم». ويعدّ ذلك تتوالى الأشياء تبعاً: بدءاً من الحرب على أولئك «الغراب» الذين لا يستحقّون أن يحاكموا بالعدل، إلى الحرب على الدستور الذي يُظنّ لكلّ من يعيش داخل أميركا محاكمةً عالية، وهلمجرّاً. ثانياً: نوّد أن نشارك في الفضائل التي يخوضه بعض الشرفاء داخل الولايات المتحدة، أولئك الذين لا يُتّجسون ضمن لفظ «person» الذي يُضفي عليه «إعلان الحقوق» حقولاً مدنيّة، ويخوضه أيضاً شرفاء خارج الولايات المتحدة يعيشون في ظلّ دكتاتوريات مدعومة من الولايات المتحدة بالذات. والحقّ أن شراكة الدكتاتوريات والولايات المتحدة قد تجلّت بأسرع صورها هذه الأيام في تفكير وزير الدفاع رامسفيلد في إرسال المشتبه بهم الذين لم يُكرّوا بصلوهم في أحداث 11 أيلول إلى بلدانهم التي تُقتلهم «وسائل الفضل» لإجبارهم على الكلام - وهي البلدان عيّنوا التي لا تكتف وزايرة الخارجية الأميركية عن انتقاد اسماجها الوحشيّة في الحكم. وثالثاً أيضاً أن أكثر من مئة شخص أُلقي القبض عليهم في الشرق الأوسط بعد 11 أيلول ويمار من المخابرات المركزيّة الأميركيّة CIA، وهم يتخلّفون بين لحظة ولحظة حكم العدالة والولايات المتحدة «بالإملاء».

وهكذا، بدلاً من أن نطلع على النموذج الأميركيّ بوصفه نديّة لزيد الدول العربيّة من قمعها، علينا جميعاً أن نكافح لتحقيق الحريات المدنيّة عبر حركات منطّعة في ما يبنيها على صعيد الكوكب.

أخيراً، نريد أن نشير، عبر أراجيزنا مقالات تحليليّة ومواءٍ إخباريّة في هذا الملف، إلى أن هناك بعض الأميركيّين الذين يتّبعون قضية العدالة الكونيّة، ولم يصطفوا وراء شهوة بوش العنصريّة إلى الهيمنة على الكون.

ويبقى أن السير على طريق الحقوق المدنيّة الحقيقيّة في أميركا يحتاج اليوم بالذات إلى نشاط أكثر الجاليات المكتومة الآن، ونعني الأميركيّين من أصل عربيّ، إليهم، وإلى الناشطين الأميركيّين من إثنيّات مختلفة، نهدي هذا الملف.

لك ش.

غالباً ما يُطلب مني، أنا التي أعيش في بيروت واتحدت العربيّة بلهجة أميركيّة، أن ألقار بين العيش في أميركا والعيش في العالم العربيّ. وحسب أن ترتبّت في الإجابة فإنّ البقاليّن وسائقي التاكسي كثير ما يبدؤون في الحديث عن خطتهم للهجرة إلى تلك «البلاد العظيمة» حيث الحرية في عمل أيّ شيء دون خوف من السلطة، «أميركا» إن مثل هذه الأحدث تُخرّجني، فرغم إعجابي بشجاعة المقاتلين في حركة الحقوق المدنيّة الأميركيّة، كنت أعي أن الحكومات الأميركيّة كانت وما تزال تُلمع المناضلين غير الأميركيّين في أصناف أخرى من العالم، غير أن البقاء في التناكسبات أو في الصفوف أمام البقاليّن لا يستمرّ طويلاً لكي نتحقّق في التاريخ الأميركيّ. ومعظم الناس أصلاً لا يريدون ذلك، وإذا يُقنّل البقاليّن أو السائقي طريقه، وربما وصل إلى أميركا، بل ربّما ينفق إلى يابه في هذه الأيام أحد عملاء مكتب التحقيق الفدراليّ FBI.

إن أميركا تحسّق الآن إلى يلمّ شبيهه بذلك الذي هرب منه السائق أو البقاليّن فكل من يُقنّل بطاقة خضراء الآن قد يُمنع من العودة إلى أميركا إذا كانت أراءه السياسيّة معارضة لما تُعتبره السلطات حرباً على الإرهاب، وفي 20 سبتمبر أُجبر ثلاثة رجال عرب على سفارة طائرة نورث وست لأنّ شتلكهم أزعج القبطان والمسافرين غير العرب. ولكنّ العرب ليسوا وحدهم المشبوهين: ففي 10 أكتوبر مُنّع شاب في العشرين من عمره، ابنيّ البشرية كبيراً، أربع مرات متتالية من ركوب يونايكد إيرلاينز لأنّ الكتاب الذي كان سيقراه على الطائرة، وهو عن ناشط بيئي راديكاليّ، أزعج موظفي الطائرة.

ولكنّ النقطة المهمّة ليست أن أميركا تُخرف عن جادة الصواب فجأة، بل إنّ التناز غير الديموقراطيّ قد كان ومايزال قويّاً جداً هناك. فلا جورج واشنطن، ولا توماس جيفرسون، ولا جون ادامز، ولا غيرهم من «الآباء المؤسسين» أمّنوا بإمكانية السماح بالمعارضة الجديّة في مسائل وشيئة هامّة. وكان الأميركيّون المعارضون يواجهون، مرّة بعد مرّة، عواطف متحدّة - كما هو حالّ إلاّ الملتزمين من أجل الحقوق المدنيّة الذين شربوا بوحشيّة وسجنوا وأُشردوا. ومرّة بعد مرّة كانت السلطات الحاكمة تجد طريقة لتحصّر تلك الحريات المكتسبة في قلة مضارة. وهكذا، بعد قرن من إلزار حقّ الإفارقة الأميركيّين في التصويت، مازالت نراه مستبعدين في الانتخابات الرئاسيّة الأخيرة في فلوريدا من عملية التسجيل قبل التصويت. أو حدّ مثلاً أحدث، وهو أن الحكومة الأميركيّة لم تمنع الإعلام الخاص من النقاط صور فضائيّة عن آثار الحرب على أفغانستان، بل «أكفّت» بأن اشترت مسبقاً كلّ الصور التي يُحتفل أن تدين أعمالها هناك، ويمنع بيلغ للثنيّ ثمن الطعام الملقي فوق رؤوس الأفغان المعدمين.

ينصّ التعديل الأول من إعلان الحقوق على التالي:

لن يسنّ الكونغرس أي قانون يصدد مؤسسة دينية، أو يمنعها من الممارسة الحرة لذلك الدين، أو يحد من حرية التعبير، أو حرية الصحافة، أو حقّ الناس في التجمع السلمي، أو الطلب من الحكومة الإنصاف من المظالم.

## لماذا تحجب بن لادن؟

روبرت هـ. غيلز<sup>٤</sup>

الإعلام الأميركي الذي طالما تجاهى بموضوعيته يغمع صوتاً الخصب، هنا مسألة تدافع عن حرية الإعلام والتعبير حرصاً على الذات الأميركية أولاً وأخراً، وحرصاً على الإيديولوجيا الليبرالية المنتهكة من دعائها.



لم يستطع الأميركيون أن ينظفوا على المضمون الكامل لتصريح السيد بن لادن

منتقداً السيد بن لادن ونافيا اتهاماته، وهكذا تلقى الناس في العالم العربي صورةً من الشبهة والردّ أكثر من تلك التي تلقاها أي واحد تقريباً في الولايات المتحدة، معقل الصحافة الحرة والتعبير الحر. لقد خسر المواطنون الأميركيون معلومات هامة عن الشخص الذي تخوض حكومتنا الحرب ضده، فمثلاً وسّع السيد بن لادن كثيراً في تصريحه المذكور مجال ملاحظاته السابقة عن الصّلات بين جهوده والمشاكل أو الأزمات الواقعة في أماكن أخرى من العالم ماغنياً وحاضراً. ففي عام ١٩٩٦ كان قد ركّز بشكل ضيق إلى حد ما على تموضع للقوات الأميركية في السعودية نتيجة لحرب الخليج، غير أنّه في تصريحه المسجل على الفيديو في ٧ تشرين الأول (أكتوبر) - وهو التصريح الذي نكّح البيت الأبيض إلى الأنصال بدماء المحطات التلفزيونية - عادّ فوضّع رسائله لتشمل القضية الفلسطينية وأثار العقوبات التي تفرضها الأمم المتحدة على العراق. وتحدّث عدّة كبير من التعليقات عمّا إذا كان ينبغي السيد بن لادن للقضية الفلسطينية عملاً انتهازياً محضاً. وبغف التصريح نبيل شعث، وزير التخطيط في السلطة الفلسطينية. إلى القول عن بن لادن فقد تنكّر فلسطين منذ يومين فقط

لماذا لا نستطيع أن نشاهد بن لادن على التلفزيون الأميركي؟ لقد أنهل مسؤولون من البيت الأبيض بدماء الشبكات التلفزيونية الأميركية الظهر الماضي بعد أن أذيع على نحر واسع تصريح مسجل على شريط فيديو للسيد بن لادن في ٧ تشرين الأول (أكتوبر). وألقت الإدارة الأميركية تلك الشبكات بأن الرقابة الذاتية ضرورية لمواجهة الحرب، وأحيى بأنّ شرائط السيد بن لادن محض دعاية (بروباغندا)، ويلاه - صلاوة على ذلك - قد يستخفم هذه الشرائط ليست رسائل خفية إلى الإرهابيين، مع أنّ ندولاً واحداً لم يقدّم دمج هذا الزعم. وقد وافق مسؤولو الشبكات التلفزيونية على أن يتعاملوا مع التشنّات بدمره في المستقبل.

لم يظهر قائد تنظيم القاعدة، العمى على الإدراك، في التلفزيونات الغربية بعد ذلك. إلى أن حلّ يوم السبت الماضي، حين بثّت قناة الجزيرة القطريّة شريطاً على الفيديو للسيد بن لادن مدته عشرين دقيقة. في تلك اللحظة اكتشفنا معنى الإجراء المسمى «التعامل بحذر»، فقد بثّت مقاطع موجزة على محطات «فوكس نيوز» و«سي إن أن» وقام اللذين بثلا مقبسات من كلام بن لادن أو روايات أعادوا صياغتها بمصمراً ما حكم الدراء بلغتهم الإخبارية. وهكذا لم يستطع الأميركيون أن ينظفوا على المضمون الكامل لتصريح السيد بن لادن؛ وإلى الآن مازالت الوسيلة الأسهل للحصول على نصّ هذا التصريح هي شبكة الانترنت بدلاً من المصادر الإخبارية المعتادة. قاعة الجزيرة هي الشبكة الإخبارية العالمية الأساسية لتوفير تغطية جديدة من داخل أفغانستان. وفي خطوط جديدة وبفضل ما في الصحافة الأميركية من تقاليد، دعت «الجزيرة» مسؤولاً أميركياً إلى الردّ على السيد بن لادن، وهو كريستوفر روس، السفير الأميركي السابق لدى سوريا والجزائر. وقد تحدثت روس ١٥ دقيقة بحرية مألوفة.

٤ - أمين مؤسسة نيمان للصحافة في جامعة هارفرد، والمحرر والناشر السابق لـ «ديترويت نيوز». والمقال كُسر في نيويورك تايمز بتاريخ ٢٠٠١/١/١١.

أمام المشاهدين الأميركيين. وخلال ٤٠ عاماً من الحرب الباردة مثَّعُ الخداع الذي مارسه سلسلته من الإدارات الأميركية عن الجمهور الأميركي معلومات أساسية.

وقد تمَّ تمثيل آخر من الاستراتيجيات الأميركية المثبِّعة لإدارة نشرات الأخبار في قرار حرمات الأسوشيات برس من مرافقة وزير الدفاع نونالد راسمفلد في رحلة للتشاور مع قادة التحالف الداعم لأميركا. إنَّ هذا القرار يتكس سياسة إعلامية تصمُّ إذانها عن النبوات المتعدِّدة - فتتجاهل حقيقة أنَّ الأسوشيات برس هي مصدر الأخبار العلمية الأوحَّد لمنات الجرائد والإذاعات - أو تُجهد مأكراً لغرض حذو بر على المعلومات عن رحلة راسمفلد. وعلى الرغم من المناشطات التي قامت بها الأسوشيات برس والجمعية الأميركية لمحربي الجرائد، فقد رفضت الحكومة الأميركية إعادة النظر في قرارها.

منذ ١١ أيلول (سبتمبر) وأصل عمل الصحفيين الواسع للتعليق والمُقدِّم إطلاع الجمهور على ما يُحدث، صافياً - في الوقت نفسه - على التوازن الصعب زمن الحرب بين السريَّة وتقارير الانفتاح الفكري. لكنَّ طبيعة المصادر المتفرَّقة للصحافة دفعت إلى حدٍّ كبير بالصحفيين إلى سرد الأخبار من منظور المصلحة الأميركية الذاتية. وعلى هذه الخلفية فإنَّ تمكين الولايات المتحدة من مضاهدة تصاريح بن لادن وسماها أمَّ هيَّ.

لقد قالت رسالة إخبارية لوكالة الأسوشيات برس من القاهرة في وصف شريط قناة الجزيرة المسجل على فيديو السبت للناشي إنَّ السيد بن لادن تحدَّث بدهوء، ولكنَّه - على ما وأصل تقرير الوكالة - كان ينتفض بجهد. وقد قُطِعَ حديثه لأخذ حسونين من قفله.

أكان يملُّ؟ أكانت الضربات قُتل فيه قهلاً؟ أكان يُلغى في حرب البروياغندا؟

على المشاهدين الأميركيين أن يمثَّلوا حرباً أن يقرروا الإجابة بأنفسهم عن هذه الأسئلة!

وفي ذلك التصريح أيضاً ومنع السيد بن لادن لاحقاً ما أسماه الصراعات الإسلامية - المسيحية يُثَمِّل للشيشان (مع بعض التعليلات الموجهة إلى فلاديمير بوتين والدبِّ الروسي) وجنوب السودان والصومال وكشمير والبوسنة وتيمور الشرقية والفلبين. ففي حين ركَّزت تصريحاته السابقة بشكل ضيق على الولايات المتحدة، وعلى إدارة بوش بعد اعتداءات ١١ أيلول في أميركا، شهِدَ تصريحه الأخير لنزاعاً دراماتيكيّاً من الولايات المتحدة بأنَّحاء الغرب المسيحيِّ عامّاً والأمم المتحدة أيضاً.

إذا كان هذا دعاية، فهي دعاية ذات أهمية إخبارية وتُقلِّها إلى الجمهور الأميركي قد يربح الأعداء بعض الشيء، ولكنَّ هذا ليس جليّاً أبداً! ذلك أنَّ اللائحة الموسعة من الصراعات قد تُؤخِّد دليلاً على ياس بن لادن التناهي. وقد يُشير هجومه على الأمم المتحدة وعلى أمنها العام كوفي أنان إلى مدى خوف تنظيم القاعدة من جهود عالمية واسعة [حاربة الإرهاب] بدلاً من إقصاها على الجهد الأميركي وحده.

لقد سنَّت إدارة بوش نفسها إلى تصوير الصراع الدائر الآن صراعاً كونياً لا أميركياً فقط، وإلى أن تُظهر السيد بن لادن معنواً على العالم بأسره. والحقُّ أنَّ تصريح بن لادن الأخير هذا يُعطى دعماً كبيراً لولف الإدارة الأميركية، وهو ما يُشعل رغبة هذه الإدارة في حربه عن الجمهور الأميركي غريباً بشكل خاص.

على الانفتاح الفكري ألا يكون ضحية من ضحايا الحرب. فعلى امتداد أجيال من الصراع الفعلي والإيديولوجي مكَّنت الصحافة المواطنين الأميركيين من التعرف إلى صور أعدائنا ورسائلهم. فلم تكن حالة أسامة بن لادن مختلفة إلى حدِّ الفصل على نشرات الأخبار الأميركية المتنافسة لسجبه عن الأنظار؟

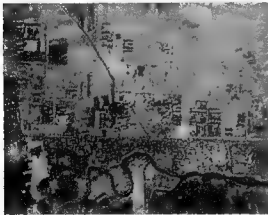
إنَّ الدعاية (البروياغندا) أداة حرب، وتُستعملها كلُّ الحكومات. ومحاولات الولايات المتحدة حصرُ التغطية الإخبارية هي شكل من أشكال البروياغندا يؤدي إلى صورة مشوَّهة عن الحقيقة تُخرس

## الولايات المتحدة تشتري كلَّ صور الحرب المبتوثة على الفضائيات

ذئكان كامبل\*

انتهاك حرية الصحافة، أي نصف التعديل الأول من إعلان الحقوق، قد يأتي عبر شراء المعلومات بهدف حبسها. المال سلاح قهفي؛ أيصعب فهم هذا هي الوطن العربي تحديداً؟

صَرَّفَ البنتاغون ملايين الدولارات ليُمنَّع الإعلام الغربي من رؤية صور بالغة الدقَّة، ملقَّحة عبر الأقمار الفضائية التي تخصُّ شركات غربي حكوميَّة. عن آثار قصف أفغانستان، على نحو ما تُكشف البارحة.



كابل قبل القصف الأميركي تصوير «ايوغيوس» الذي نشر في... ليستكت.

\* منشور في الغارديان البريطانية، ١٧ تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠١. وكامبل هو كاتب مختصُّ في قضايا الاستخبارات.

غير أنَّ القوات العسكرية الأميركية لا تحتاج إلى الصور لأهداف خاصة بها، فالحال أنَّ هذه القوات تُشكك سعة أقمار فضائية، يُضاف إليها قمر سابع أطلق في الأسبوع الأول من أكتوبر. وهناك أربعة أقمار اسمها كيهولز Keyholes، تقوم بتقاطيع صور فوتوغرافية تُقدَّر بأنها أفضل بسدَّ إلى عشر مرات من الصور التي يُلتقطها أيكونوس.

أثار قرار استخدام الپنتاغون السلطات التجارية بدلاً من القانونيَّة من أجل منع توفر الصور الفضائية الخاصة انتقاداً حاداً من أخصائيِّي الاستخبارات الأميركية ليلة ١٦ أكتوبر فلما كانت صور القواعد الأفغانية المصنوعة لا تُظهر مواقع القوات الأميركية أو تهدد أمن القوات العسكرية الأميركية، فإنَّ ذلك المنع كان يُمكن أن يهاجم في وسائل الإعلام الإخبارية بوصفه انتهاكاً للتعديل الأول من إعلان الحقوق الذي يُفهم حرية الصحافة. ولو أنَّهم قرعوا تحكُّماً بالكاميرا لكان ممكناً جداً أن تُقاضي الهيئات الإخبارية الحكومة بمجة فرض هذه الأخيرة رقابة مسبقة، قال جون بايك من موقع انترنت أميركي أسف «الامن القومي» Globalsecurity، وهو موقع يُنشر صوراً عبر الأقمار الاصطناعية لتسهيلات عسكرية ورهاية مزعومة حول العالم.

الخيار البديل الوحيد للصور الفضائية الدقيقة سيكون جهازاً كوزموس الروسي، ولكنَّ روسيا لم تُقرِّر إلى الآن الدخول في الفراغ المعلوماتي الذي خلَّقه صنف الپنتاغون مع شركة أفغانستان أولمبيس إيميجينغ

فالحال أنَّ الصور التي يُلتقطها «ايكونوس»، وهو قمر اصطناعي خاضع منظر أُطلق عام ١٩٩٩، أفضل من الصور التي تُلتقطها القمر التجسسي الاصطناعي وتوفر للجيش أثناء أكثر فترات الصرب الباردة. وتفتش التفاصيل الدبشة للصور للمخونة بواسطة «ايكونوس» وتُلا من الإرهائين التسريبي يمشون بين معسكرات التدريب في جلال اباد. وبالوضوح نفسه تُمكن رؤية جثث ملقاة على الأرض بعد عمليات القصف التي جرَّت الأسبوع الماضي.

بموجب القانون الأميركي تُشكك وزارة الدفاع الأميركية السلطة القانونية لفرض «تحكم بمصراع الكاميرا» Shutter control حيال الأتجار الفضائية الخاصة المرسلة من الولايات المتحدة، وذلك من أجل منع «الاعداء» من استخدام الصور أثناء خوض أميركا الحرب. غير أنَّ امرأ لم يُصدَّر بعد ذلك التحكم، حتى بعد أن بدأت غارات القصف قبل أيام.

هذا وقد أخذ قرار الدخول دون حصول الآخرين على صور الأقمار الفضائية الخاصة يوم الخميس في ١١ تشرين الأول (أكتوبر)، عقب ورود تقارير عن وقوع ضحايا مدنية كبيرة جراء الاصطدام خلال الليل على معسكرات التدريب قرب دارونتا، شمال غرب جلال اباد. وبدلاً من أن يُستحضر الپنتاغون امتيازاته القانونية اشتدَّى الحقن المصيرية لكل صور «ايكونوس» الفضائية من الشركة التي تديره (وهي شركة أفغانستان أولمبيس إيميجينغ). ويعدُّ الاتفاق بين الطرفين مع مفعول رجعي يُشمل الصور الملتقطة في بداية غارات القصف.

## المعارضون يعتبرون الجامعات أقلّ تحملاً للاختلاف بعد اعتداءات ١١ أيلول

مايكل فلتشر

اعتداءات ١١ أيلول جعلت الجامعات الأميركية، وهي المكان الذي يتوقع أن يجد المرء فيه أقلّ قدر من الرقابة، مقللاً ولأشدَّ حالات الرقابة وضوحاً، ويأتي انتهاك التعديل الأول هنا من الجو الامتثالي الضافح؛ إذ يُستخدم بعض الناس أحداث ١١ أيلول لقمع أي رأي مخالف.

كانت الطائرات المخطوفة قد حُرِّثت في قلب مركز التجارة العالمي وبنى الپنتاغون حين قدم الدكتور ريتشارد أ. برنارد من جامعة نيو مكسيكو لتلاميذه في صف التاريخ لسنة «الفرشمان» ما يسميه اليوم مشروع نكتة غير مؤلمة. فقد لخبر برنارد، البالغ من العمر ٥٥ عاماً، تلاميذه أنَّ «أي واحد يفتخر الپنتاغون سينال



د. روبرت جنسن، نمتة رئيس جامعهته بالصحافة لملوه إنَّ ١١ أيلول ليست أكثر جدارة بالاحترار من إرهاب أميركا في العراق

صوتي». ويعد ثلاث ساعات، ومع تحول مركز التجارة العالمي انفجاراً، ومع كفاح رجال الإطفاء لإخماد حريق الپنتاغون، أعاد برنولد عبارته الشهيرة أمام صف آخر. ولكنَّ بدلاً من أن يثير تخطيطه الضمحة، أثار رد فعل غاضباً في مجمله ما يزال يتردَّد صداه برغم اعتذاراته المتكررة لفسد قام آلاف من الأساتذة



برسالة يقول فيها إن الأستاذ الصريح قد غدا «منبهاً للصفاة المكثفة في أمور السياسة العامة». أمّا جنسن، وهو ناشط كما يصف نفسه وله منصب نائب في الجامعة، فقد قال إن التوبيخ العلني لا يؤثر فيه إلا قليلاً. وأضاف غيور أن السؤال هو كيف يرد الطلاب والأساتذة في المناصب ما من العليا على مثل هذه الإهانة العلنية.

وقالت روث فلاير، مديرة السياسة العامة في الجمعية الأميركية لأساتذة الجامعات، «إذا كان جو العلق من جراء الاعتداءات الإرهابية يعني أنه لا يمكن أن يكون هناك نقاش في الجامعات فذلك أمر مخوف صعب أبداً». وقالت «بعض الأمور هنا ترجع إلى العقبة المكارثية. ولكن الحالة الآن مختلفة لأن الحكومة ليست من من يُخبر الجمهور ما يستطيع وما لا يستطيع أن يقول، بل إن المسألة الآن أقرب إلى أن تكون صفة مشاعر عامة تريد أن تملأ [على المرء] كيفية التصرد». لقد كثرت اعتداءات ١١ أيلول، بعد الحادثة المتواصلة على الإرهاب، الرأي العام الأميركي كما لم نعلمه إلا بعض أحداث في التاريخ الحديث. وكشفت الاستفتاءات عن دعم شعبي كاسح للضريات العسكرية الأميركية على أفغانستان. ويقول بعض دعاة حرية التعبير إن الأجواء الحالية تشجع الاعتراض. فثمة هد من الكتب «الذين انتقدوا قيادة الرئيس بوش أو السياسة الخارجية الأميركية قد انتقدوا هم بدمهم من عذ جروانب، بل قدوا وظانهم. وبعض المثمن والمسات التلفزيونية داخل كل ولاية تخلت عن بث برنامج محطة ABC «غير سليم سياسياً» بعد أن تصف مقدم البرنامج بيل ماير بعض الأعمال الأميركية الحربية بـ «الجبانة».

يُلقى أساتذة الجامعات الآن أن الامتلاية الجديدة تُشكل الرأ الكال في الجامعات، حالاً بعد مكانة هذه الجامعات تاريخياً من حيث هي معقل السجل والعارضة. فخلال حرب فيتنام كانت الجامعات في قلب الحركة المناهضة للحرب. وأما الآن، كما يقول دعاة حرية التعبير، فقد غدت الجامعات أقل سمحاً بالخلاف. يقول هنري أ. سيلفرغلايت، مؤلف جامعة الظل، ومو كتاب يحكي الانتهاكات التي تطول حرية التعبير في الجامعات، إنه «من الواضح أن الوضع الحالي يَجَلُّ الناس في حالة صعبة جداً. ولكن يبدو الآن أن المكان الذي نُقَرُّ فيه على أشد حالات الرقابة وضوحاً إنما هو الجامعات. وفي تحديد المكان الذي كنت تتوقع أن تجد فيه أقل قدر من الرقابة» في مسعى لترويج التنوع على حرم الجامعات قام هذا الكتاب والجامعات الأميركية بتبني قواعد للتعبير مُتَّع، بشكل عام، استخدام اللغة التي تُجرِّس مشاعر الناس على أساس عرقي أو إثني أو جنسي. لكن ثبت أن تطبيق هذه القواعد أمر صعب بسبب تعارضها المصممي مع «التعديل الأول» من إعلان الحقوق.

وما هو دور الجامعات؟ أهو ممارسة العلاج النفسي؟ سأل هالفورسن، وهي مؤسسات علاجية. أم أماكن يُتَمَتع فيها الطلاب وينشيطون الأراء، وتدم، يُعَيَّنون بعضهم بعضاً، ثم يتصلحون في النهاية؟ ومع ذلك يقول عدد كبير من المدرس والطلاب إن ثمة ضرورة لحدود في التعبير، وذلك من أجل ضمان بقاء الجامعات أماكن تحب بكل الطلاب وتغلبهم ثقافياً. وصلاً على ذلك، كما يقول

والخروجين وغيرهم. ويصعبهم كان على معرفة بتفاصيل قضا في اعتداءات ١١ أيلول – بالشكوى إلى مدرس الجامعة وتنادي الطلاب لطرد، وطالب مشرّمون وقادة رجال أعمال بطرده هم أيضاً. كما تلقى برنولد تهديدات بالقتل الأمر الذي دفعه إلى العكوف عن الجي، إلى الجامعة أسبوعاً كاملاً.

في هذه الأثناء باشرت الجامعة تحقيقاً يُرجح أن ينتهي بعمل تائيمي بحق الدكتور برنولد. وقال برايان فوسترو، وهو موظف إداري كبير (بروفيسور)، هناك أمور كثيرة لا نستطيع أن نقولها بصفحة كاملة، وإن في حرم الجامعة نفسه.

والحال أن برنولد هو من بين عدد متزايد من الأساتذة والموظفين في جامعات أخرى يواجهون هم أيضاً التوبيخ لإخلاقهم تطيقات مثيرة للجدل، أو لاختلافهم مواقف رمزية بارزة في الأسابيع التي تلت الاعتداءات الإرهابية. وقد واجه مؤيدو سياسة الولايات المتحدة ومعارضوها معاً تائيمات قاسية وسط ذلك الجو الحساس الذي ساد منذ ذلك الوقت.

يقول مسؤولو الجامعات إن التكتيات مسوغة، نظراً إلى حالة البلاد النفسية وإلى المسؤولية الخاصة الملقاة على عاتق أساتذة الجامعات ولكن المتدين بحرية التعبير يقولون إن التوبيخات العلنية تسلط الآن جو من الخطية والبرود على الساحة الخشن أحياناً الذي ملّ على امتداد التاريخ الجامعات الأميركية بطابعه. مع تركيز الأمة انتباهها على موضوع واحد كما هو حالها اليوم، نستطيع أن نرى أن الجامعات ليست صديقة لحرية التعبير، قال نور. هالفورسن، وهو المدير التنفيذي لـ «مؤسسة الحقوق الفردية في التعليم» وهي مؤسسة كبرى لصحة التعليم الحر في الجامعات، قبل أن يُضيف «إن جامعاتنا قد استولى عليها طغيان القلق على مشاعر الآخرين» في جامعة «الصليب المقدس» في ويست في ولاية ماساتشوستس، طلب رئيس إحدى النواثر من إحدى السكرتيرات أن تُثَرِّل علماً كانت قد علّته في مكتبها إجلالاً لمصدق لها مات في إحدى الطائرات المخطوفة في ١١ أيلول. فقد اعتبر رئيس تلك الدائرة أن عرض العلم لم يكن أمراً مناسباً. ولكن بعد أن بلغ هذا النبأ إحدى الجرائد المحلية، مثيرة رد فعل شعبي غاضباً، سُمح للسكرتيرة بأن تُضع علماً آخر على مكتبها أيضاً.

ودان رئيس جامعة مدينة نيويورك (CUNY) ماثيو غولنستين بعض الأساتذة الذين شاركوا في ندوة مطلع هذا الشهر، حيث ألقى للتحكيون مسؤولي الاعتداءات في ١١ أيلول على عاتق السياسة الخارجية الأميركية. وقال غولنستين إن هؤلاء المتحدثين يقدمون للإرهابيين «أعذاراً واهية».

وتعرض روبرت جنسن، وهو أستاذ صحافة في جامعة تكساس في أوستن، لتوبيخ علني من طرف رئيس الجامعة لاري ف. فولكنر لنشره مقالة في صفحة الرأي في إحدى الجرائد يقول فيها إن اعتداءات ١١ أيلول ليست أكثر جدارة بالاحتقار من أعمال الإرهاب الهائلة التي ارتكبتها الولايات المتحدة في العراق وفي أماكن أخرى. ومع أن فولكنر أقر بحرية جنسن في التعبير عن رأيه، فقد رَد عليه

هيرلسون. وقالت صالحة عبد اللطيف، وهي من مواليد كاليفورنيا وتحتدر من أبوين من الشرق الأوسط، إنه منحاز جداً ضد الطلاب المسلمين ويظهر بذلك كثيراً. وتضيف قائلة: «في الأسبوع التالي، وبعد انتهاء الصف، أحاط بنا الطلاب وأراحوا يصرخون علينا. بعضهم كان يقول «ارجعوا إلى بلادكم». شعرتُ بعواطف جيّاشة. وبدأتُ أبكي».

بعد أن تقدّم الطلاب بالشكر على هيرلسون مكالمة هاتفية من رئيس الجامعة التي أخبره بأنه تقرّر أن يُترك هيرلسون الجامعة مؤقتاً، مع بقاء معاشه سارياً إلى حين انتهاء الجامعة من التحقيق في الحادث.

«لا إجراءات مرعيتُ. لا شيء»، قال هيرلسون البالغ من العمر ٥٧ عاماً، وكان قد علّم في الجامعة ١٨ عاماً. ولم يؤزّ النقاش في تلك الجامعة أحدًا أبداً، بحسب علمي. على الطلاب أن يسمّعوا في الصف أموراً قد لا يسمعونها مرة ثانية في حياتهم قط. إن لم نوافقنا الرأي فيمقدرون أن تفلّ وتُهرّن ذلك، ما دمنا لم نرتكب أيّ عنف».

ولكنّ مسؤولي الجامعة في أورانج كوست يعارضون ذلك. فقد قالوا إنّ الاعتداءات الإرهابية خلقت جيّاً خاصاً ينبغي التزائم داخل الصفوف نفسها. «المسألة ليست مسألة حرّيات أكاديمية. إنها مسألة سلوكيات في الصف وكيف يعامل [برثولد] التلاميذ»، قال جيم كارتوت وهو ناطق باسم الجامعة، متابعاً: «ما حدّث يتخطى حدود الحريّات الأكاديمية. ونظرًا إلى ما يحدث خارج حدود الحرم الجامعي، فإنت لا تستطيع أن تتجاهل ذلك».

المسؤولون، فإنّ على الأستاذة مسؤوليةً الحدّ على النقاش وعلى أن يكونوا مرّين مسؤولين

حين ألقى برثولد بتعليقاته أمام صفوفه الصباحية في جامعة نيو مكسيكو كان الطلاب «ما يزلّون يتساؤلون إنّ كانت البركوكري [في نيو مكسيكو] ستكون في هدف [الإرهاب] بحسب ما ذكرَ فريست وهي مسؤول كبير في الجامعة، مضيقاً «كان ثمة قدرٌ هائل من الخوف والارتباك في هذا الشأن». هذا وقد تطلّعت الجامعة في رسالة أوجزت فيها نتائج تحقيقاتها، تعليقا برثولد بأنّها ليست مسألة حرّية تعبير بل هي انتهاك أخلاقي. وقالت الجامعة إنّ هذا الأستاذ فشل في أن يلتزم بدوره ككاتب نقاشي».

بعد أسبوع على الاعتداءات الإرهابية بدأ كُثر هيرلسون تدريجاً الفرشمن في مادة السياسة الأميركية في جامعة أورانج كوست كوليديج في كوستا ميسا (كاليفورنيا) بالنسائل بصوت عالٍ كيف يُمكن للعالم الإسلامي أن يدين الاعتداءات الإرهابية في نيويورك ولا يدين التفجيرات الانتحارية التي تحدث بشكل منتظم في إسرائيل. ويقول هيرلسون إنه كان يهدف إلى إشغال نقاش حيوي بين الطلاب المتأثّين في صفّه. غير أنّ النقاش ما لبث أن انحرّف إلى مجالٍ هام بين هذا الأستاذ وأربعة طلبة مسلمين رفضوا مساهمة الأعمال للتمليّة بالإرهاب

في اليوم التالي شكّا الطلاب إلى مدرّاه الجامعة من أنّ هيرلسون خسّمهم بالقول إنّهم «إرهابيون» و«نازيين» - وهي تهمة ينفيها

## برنامج بيل ماهر يواجه المنع

بيل ماهر، مقدّم برنامج Politically Incorrect (غير سليم سياسياً)، كاد أن يتسبّب في منع برنامج على محطة ABC حين وصف السياسة العسكرية الأميركية بأنّها «جبانة» لقصفا من عل. فكان أن وُلّغ في مشاكل مع شركتي «سبيرز» و«فدرال إكسپرس» و«فا من رعاة المحلّة»، وبعث عدداً من شركاء ABC آفي بعض الولايات المتحدة إلى التوقّف مؤقتاً عن بثّ برنامجيه. وقد سارع ماهر إلى إنقاذ برنامجيه بالقول علناً إنّّه يقصد إدانة كليتين (!) لاعتماد المهرط على القابيل الذكيّة بدلاً من القاطنين على الأرض.



## دفاعاً عن الحرية الأكاديمية في الولايات المتحدة

في الأزمة الناجمة عن أحداث ١١ أيلول الرهيبة، شارك أكاديميون على امتداد الولايات المتحدة في حلقات دراسيّة، ومؤتمرات، وتظاهرات، وفي نشاطات أخرى تُؤدّى إلى تسمية فهم نقديّ ما طُرح لا يحدّد ولأسباب حدوده. ولما كانت الولايات المتحدة اليوم تخوض حرباً في أفغانستان، فإنّ مثل هذه النشاطات تتواصل. ولكنّ للأسف تُقرّض بعض المشاركين فيها للتجديد، و«موجوا الجُهر» برائهم. ويؤدّ أماناً جامعة «مدينة نيويورك» شهيداً رسمياً لأستاذة في الجامعة انتقدوا

وقّع عددٌ من المثقّفين والأستاذة الأميركيّين والعرب بياناً دهاصاً عن الحرية الأكاديمية في أميركا، وهي الحرية التي ضمّنها التصديق الأول. ومن الموقعين إدوارد سعيد (أستاذ الأدب الإنكليزي والقارن في جامعة كولومبيا)، وأناتول انتونوف (أستاذة الفلسفة في جامعة ولاية سان فرانسيسكو)، وريتشارد غيبسون (أستاذ مشارك للدراسات الاجتماعية في جامعة ولاية سان دييغو). وهذا نصّه:

شكّوا في سياسة إدارة بوش الحرية الحالية أو عارضوها مع تطورات مشؤومة أخرى. فمئة كليات وجامعات تَضَعُط عليها وكالات الحكومة الفدرالية لتسليمها معلومات خاصة من ملفات طلابها. وهناك تركّبات في الكونغرس للحدّ من إعطاء تأشيرات دخول للطلاب الأجانب. إنّنا ندعو أعضاء المجتمع الأكاديمي كاتّة إلى الجهر بقوة دفاعاً عن الحرية الأكاديمية والحرّيات المدنيّة. لا كمبدأ مجرد فحسب بل كضرورة عمليّة أيضاً. ففي لحظة كهذه علينا أن نُسَمِعَ أن نُسَمِعَ كلّ الأصوات المثقّلة، ولأصليها الأصوات النقيّة والمعارضة

سياسة الولايات المتحدة الخارجيّة في نوبة عُتَدَتْ أثناء الأسبوع الأول من تشرين الأول (أكتوبر). وقد حدثت مساع ممانعة لإسكات النقد والمعارضة في جامعة تكساس في أوستن، وفي معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وفي جامعة كارولينا الشماليّة في شابلن، وفي جامعة ماساتشوستس في أمهرست، وفي غيرها. وأخبرت روث فلاور، وهي مديرة السياسة العامّة في «الجمعية الأميركيّة لاساتنة الجامعات»، جريدة بوسطن غلوب في ٦ تشرين الأول (أكتوبر) «إنّنا نراقب هذه التطوّرات بالكثير من القلق». وتزامنت الاعتداءات على الاساتذة الذين

## ... والرسوم الهزليّة غير مستحبة أحياناً

جايامسون بليزر\*



هيوّي يُضَلُّ بعكس التحقيق الفدراليّ لإعطاء معلومات عن الإرهابيّين. ... أعرف بعض الأميركيّين الذين ساعدوا ووفّوا اسماءه بن لادن. الأول اسمه ريفان». ولكنه يجد لفظاً مقلّداً

الاستخبارات المركزيّة الأميركيّة CIA أيام حكم رونالد ريفان. دُرِيتْ أسماء بن لادن وفُكِّرَتْ أفعالاً لقتال الأعداء السوفيّاتيّة. وتلّمع سلسلة الرسوم بعد ذلك إلى أنّ إدارة بوش الحاليّة قد أعطت في الأخرى حكومة طالبان دعمًا ماليًّا.

إثر ذلك قامت جريدة نيويورك تايمز، في لونغ آيلاند، بمنع نشر السلسلة الهزليّة المصوّرة مدّة أسبوع. ووافقت ذا دايلي نيوز، في نيويورك، سلسلة «الأرض الثانيّة» في ٤ تشرين الأول (أكتوبر) ولم تُنشر منها إلّا حلقة واحدة منذ ذلك الحين، وقرّرت أن تنشرها بناءً على مضمونها يومًا بيوم. وبعثت جريدة ذا دالاس مورنينغ نيوز إلى نشر هذه السلسلة في صفحة بعيدة عن السلاسل الهزليّة المصوّرة الأخرى.<sup>(١)</sup> غير أنّ للسيد ماكفريور، وهو محرّر سلسلة «الأرض الثانيّة» وكتبها ورأسها البالغ من العمر ٢٧ عامًا، لم يتراجع. فبيّز للأرباء المناهضيّين سلسلته المصوّرة الجرائد التي لم تُنشر رسميّة. فعملت

كانت أحداث الأسابيع السبعة الأخيرة تحديًا بالنسبة إلى صانعي سلاسل الرسوم الهزليّة على صفحات الجرائد. البعض تعامل مع الأمر بأن اكتفى بتجنب الإشارة إلى الإرهاب وإلى الصحافة القومية. ولكن آخرين، أمثال آرون ماكفريور، تصنّفوا لحل هذه الموضوعات وجهًا لوجه.

ففي ٤ تشرين الأول (أكتوبر) مثلاً صوّرت سلسلة رسوم السيد ماكفريور الهزليّة وعنوانها «الأرض الثانيّة» إحدى شخصيّاتها الرئيسيّة، هيوّي، وهو يُضَلُّ بالرّم الذي خصّصه مكتب التحقيق الفدراليّ للإبلاغ عن المشتبه بهم الإرهابيّين في أفغانستان. محسّنًا، لِرَّء، قال هيوّي على التلفون، «الأول هو ريفان». وكتب هذا: ر، ي، غ...»

في سلسلة رسوم ماكفريور الهزليّة في اليوم التالي، حاول هيو أن يُضَلُّ مكتب التحقيق الفدراليّ بذلك، فاشّار إلى أنّ وكالة

\* عن جريدة نيويورك تايمز، ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠١.

١ - تُنشر السلاسل الهزليّة المصوّرة والمقالات في كثير من الأحيان في عمّة جرائد أميركيّة في الوقت نفسه. (م)

[رمزيّ الشعور القوميّ الأميركيّ زمنّ الحرب]، وكانت الصورة الأخيرة من السلسلة المصورة إعلاناً لميثاق الإعلام والشروط كُتب عليها بـ ١٩٩٥ \$ فقط، تُصّاف إليها ٩٥ \$ كلفة الشحن.



لوي أرمسترونغ، لماذا «يقترح» عدم بث أشهر أغنية له

Simon and Garfunkel, "Bridge over Troubled Water"  
John Lennon, "Imagine"  
Frank Sinatra, "New York, New York"  
Bruce Springsteen, "I'm on Fire"  
Phil Collins, "In the Air Tonight"  
Cat Stevens, "Peace Train"

#### ما أروع هذا العالم

أرى شجرةً أخضرّةً، ووروداً حمراء أيضاً،  
أراها تُزيّنُ لي ولقد،  
واقول في سرّي: «ما أروع هذا العالم».

أرى سمواً زرقاءً وغيوماً بيضاء،  
نهاراً متوهّجاً مباركاً، وإيلاداً دافئاً مقدّساً،  
واقول في سرّي: «ما أروع هذا العالم».

الوان قوس قزح، البهارات الجمال في السماء،  
تُرسّم أيضاً على وجوه المارة.

أرى أصدقاءً يتصافحون، ويقولون: «كيف حالكم؟»  
وهم في الحقيقة يقولون: «أحبكم».

اسمّع أطفالاً يبتكون، أراهم يتكبرون  
سينتظّمون أكثر بكثير مما ساعرفه أبداً.

واقول في سرّي: «ما أروع هذا العالم».

واقول في سرّي: «ما أروع هذا العالم».

أه، نعم!

لوي أرمسترونغ

الصورة الأولى من السلسلة ملاحظة رغم أنها صادرة عن محرّر الجريدة يقول فيها «نظراً إلى مضمين هذه الصور السياسيّ غير المناسب في الأسابيع الأخيرة، سنستبدل بـ «مغامرات النّعم والشرط»

#### ... والموسيقى تراقب أيضاً

وقد يأتى انتهاك التعديل الأول، الخاص بحريّة التعبير، في صحيفة «المتحرّج». فقد اقترح بعض المسؤولين في محطة Clear Channel (الإذاعة الواضحة)، وهي محطة تملك أكبر سلسلة من الإذاعات في الولايات المتحدة، ألا يتم بث ١٦٠ أغنية ما دامت أميركا في حرب ضدّ الإرهاب، ومن هذه الأغاني ما يجدد السلام بين الضعوب، مثل أغنية جون لينون الشهيرة «تخيّل» Imagine، وأغنية لوي أرمسترونغ «ما أروع هذا العالم» ولكنّ هناك أغاني أخرى تعكس تشيع بعض فروع الثقافة الشعبيّة الأمريكيّة بالتحف وهجسها بالقِيامة والدمار الشامل. وربما استطعنا تقريب فكرة الرقابة بالاقتراع إلى القاريّ اللبّانيّ إذا تكرّراه بـ «تخيّل» أحد رؤساء الحكومة على وسائل الإعلام عدم التعرّض لمسألة ميّنة هنا جردة بأقل من ربع الأغاني «المتحرّج» عدم بثّها.

Magedeth, "Sweating Bullets"  
Smashing Pumpkins, "Bullet with Butterfly Wings"  
Red Hot Chili Peppers, "Under the Bridge"  
Metallica, "Seek and Destroy"  
AC/DC, "Shoot to Thrill"  
AC/DC, "TNT"  
AC/DC, "Highway to Hell"  
Black Sabbath, "War Pigs"  
Black Sabbath, "Suicide Solution"  
Steve Miller, "Jet Airliner"  
Queen, "Another One Bites the Dust"  
REM, "It's the End of the World as we Know it"  
Talking Heads, "Burning Down the House"  
Judas Priest, "Some Heads are Gonna Roll"  
Kansas, "Dust in the Wind"  
Led Zeppelin, "Stairway to Heaven"  
The Beatles, "Ticket to Ride"  
Bob Dylan, "Knockin' on Heaven's Door"  
U2, "Sunday Bloody Sunday"  
Elton John, "Rocket Man"  
Don McLean, "American Pie"  
The Clash, "Rock the Casbah"  
Louis Armstrong, "What A Wonderful World"

## ينص التعديل الرابع من إعلان الحقوق على التالي:

إنَّ حقَّ النَّاسِ في الأَمْنِ الشَّخْصِيّ، وفي أَمْنِ بَيْتِهِمْ، وأَوْرَاقِهِمْ، ومَمْلُوكَاتِهِمْ، ضِدَّ التَّفْتِيشَاتِ أوِ المَصَادِرَاتِ الَّتِي لَا مَبْرَرَ مَعْقُولًا لَهَا، لَنْ يَنْتَهَكَ، وَلَا تَرَاخِصُ سَتْرُهُ، إِلَّا فِي حَالِ وَجُودِ سَبَبٍ بِاعْتِبارِ عَلَى الاعتقادِ مدعومٍ بِالْقَصَمِ أوِ البَرْهَانِ يَحْدُدُ المَكَانَ الَّذِي يَزْمَعُ تَفْتِيشُهُ، والأَشْخَاصَ المَزْمَعُ توقيفُهُمْ، أوِ الأشياءَ المَزْمَعُ مصادرتها.

## الولايات المتحدة تحقق

### مع طلاب من الشرق الأوسط

جاء ستاينبرغ

هذه التحقيقات وضعت الجامعات في موقف صعب، لأنها سلّطت مصلحة الحكومة في الأمن في مواجهة رغبة المؤسسات الجامعية في حماية تعرّف الطلاب من أيّ تدخل خارجي، وفي مواجهة حرص هذه المؤسسات أيضًا على تجنب الانخراط في أيّ تنميط عنصريّ racial profiling، ولكن في النهاية، على نحو ما كشف مَنعُ سجلّات الجامعات في الولايات المتحدة، قامت كلُّ الجامعات تقريبًا بتزويد الحكومة بالإجابات عن الأسئلة التي طرحها عليها. ويعد ذلك بشكل أساسي إلى أن القانون هو إلى جانب الحكومة. كما يبدو [٢]

وقد استخدَمَ عملاءُ مكتب التحقيق الفدراليّ FBI ومكتب خدمات الهجرة والتجنيس INS تلك الحوارات مستغلًا لمخاطبة عشرات الطلاب وتُكِّز طالب سعودي يُدعى في جامعة كرايرادو في نذر أن المُلحقين الفدراليين ختموا مقابلتهم له بالقول «نولِّغُ أن نرانا من جديد»

وقال موظفون الجامعة الذين تمّ التحقيق معهم – بين فيهم موظفون في جامعة كولومبيا، وجامعة تافتس، وجامعة ولاية سان دييغو – إنَّ الزيارات غيرَ للتوعية غالبًا والإمارات العربية المتحدة فقط للصلة كانت تفهِّمًا إلى عقد مفاوضات أو أكثر. حين لم يُكَلِّم نادرًا أن يُسأل عميلٌ فدراليٌّ عميدًا في الجامعة سؤالًا من قبيل «هل خضرتَ فلامينير إلى المختبر اليوم؟»<sup>(١)</sup>

وقال لاري بله مدير مكتب الطلاب الأجانب في جامعة كولورادو في نذر، إنَّ عملاءَ فدراليين زاروا مكتبه أو مكتب التسجيل ضمن مراكزه في الأسابيع الأخيرة. وأردف أنَّ العملاء قابلوا خمسين طالبًا على الأقل من السعودية والإمارات العربية المتحدة وقطر وبلدان عربية أخرى، ولكنه لا يتقدّد أن أيًا منهم تمّ توقيفه أو لُهاَمَهُ بالارتباط بخليّة إرهابية. وليس الطلاب متأكدين من هدف الأسئلة تلك، قال بله، مولكتهم يتعلمون يقينًا أن الحكومة لم تُخَرِّج مقابلة مع أيّ طالب من ألمانيا»

تقوم الأجهزة الأمنية والاستخباراتية الأميركية بانتهاك التعديل الرابع من إعلان الحقوق، فتحقق مع الطلاب العرب والمسلمين، وتولّب الإدارة ضدهم، وتدنّس حرمة الجامعات. ولكن ممّا يؤسف له أن يوافق بعض الطلاب على الخضوع للتحقيقات، ويبرّرها بحجج أمنية، مستغلين منطق السلطات العربية (وراعيها الأميركية)، بدلًا من أن يرفض التنميط العنصريّ المناقض للقانون ويرفض التحقيقات غير المستندة إلى تراخيص قانونية. وممّا يحزن، أخيرًا، ألا تقوم قيادة الطلاب ضد إدارة الجامعة التي تزود المَحْقِقِينَ بمعلومات على أساس عرقيّ، أسوأ بثورة طلاب جامعة ولاية نيويورك في أوتيسونتا صام ١٩٩٢ على إدارتهم التي زوّدت شرطة الولاية بأسماء الطلاب السود واللاتينيين بعد حادثة اعتداء على امرأة كحلة.

خلال شهرين على الاعتداءات في ١١ أيلول (سبتمبر) على مركز التجارة العالمي والبناتافون، أسل المَحْقِقِينَ الفدراليين بالمسؤولين في أكثر من ٢٠٠ جامعة من أجل جمع المعلومات عن الطلاب القادمين من الشرق الأوسط، وهذا هو أشهر تحقيق يتم في عالم الأكاديميا منذ الحرب الباردة، بحسب ما تُكرّم تلك الجامعات.

وقد سأل موظفون الأمن عن الموضوعات التي تدرسها أولئك الطلاب، وعن حسن تحصيلهم، وأماكن سكنهم. كما استجوبوا الطلاب أنفسهم، وسألهم عن رأيهم بسلامة بن لادن، وعن أسماء مطاعمهم المفضلة وخطوطهم بعد التفجّر في الجامعة

١ - نشر المقال في جريدة نيويورك تايمز في ٢٠٠١/١١/٢

١ - لا يُظنُّ أن فلامينير اسم روسي. (م)



«الأخوة الكبار» برابليون ويترميون الشيوعيين في أميركا في الأربعينيات

والحال أن الحكومة سُكَّوْة، وفقاً لقانون الهجرة الفدرالي، بالصصول على الكثير من المعلومات التي تُبَثُّ عنها. فالطالب الأجنبي يوقع، كشرط للحصول على معظم تأشيرات الدخول الممنوحة للطلاب، تنازلاً يأتين للجامعة بالسماح لموظفي دائرة الهجرة بمعرفة تاريخ وصوله إلى الجامعة وعدد الوحدات الدراسية التي حصلها وما إذا تغير حقل تخصصه أو عنوان بريده. ولكن على الرغم من أنه يُطلب من إدارتي الجامعة جمع معلومات كهذه فقد تكرر أن الحكومة طُلبت منهم منذ أعوام أن يتوقفوا عن إرسالها إلى واشنطن، وذلك جزئياً بسبب عجز مكتب INS عن التعامل مع تلك الأوراق المكتمة أمامه

غير أن الموظفين الفدراليين في الأسابيع التي تلت ١١ أيلول بدأوا يُجمعون بهماسٍ شديد مثل تلك السجلات وغيرها أيضاً. وقد أعلنت الجامعات، لذلك لأسباب مادية وقانونية: «لو دفرت الحكومة فستعرض لخطر تهديد سلطتها في طلب تأشيرات دخول للطلاب الأجانب، ومعظمهم يُنْفَعُ إسهاماً كاملة»

ثمة تقليد قديم في فرض قانون المراقبة على طلاب الجامعات في الأزمات. ولكن سول غيتلمان، الموظف الأعلى في جامعة تانلس وأستاذاً هناك منذ حوالي ٤٠ سنة، قال إنه لم يُعَدَّ يُذكر متى انتقضت إدارات حكومية على مثل ذلك العدد الكبير من الجامعات وبهذه السرعة. «إنه عمل غير مسبق»، قال غيتلمان، ولم يسبق أن كانت عنده حالة طوارئ عامة مثل هذه.

لم يَبْرُزَ تفحص الطلاب من أصل عربي إلا احتجاجات قليلة حتى الآن، وهو تقيض صارخ للفضب الذي اتلعه في السابق حين خضع طلاب وُلِدوا في أميركا (ومن أصول إفريقية ولاتينية) لتدابير أمنية على أساس تمطيضٍ عنصريٍّ من طرف موظفين جامعيين أو أمثليين.

ففي عام ١٩٩٧ تمرّزت جامعة ولاية نيويورك في اونيوتا أسابيع بطولها بعد أن زوّدت الجامعة شرطة الولاية بلائحة باسم كل طالب

وإن تَنَزَّهت الوكالات الفدرالية إلى أن أحد الإرهابيين الذين شاركوا في اعتداءات ١١ أيلول كان طالباً يُحْمَلُ بتأشيرة دراسية. قالت إنها تُبَثُّ عن مفاتيح إضافية وستبدأ بتحقيق وعمر الرئيس بضمّان معرفة أوضاع نصف مليون طالب أجنبي يُدرّسون هنا.

«أحد أسباب رغبة الوكالات الفدرالية في معرفة أماكن سكن الطلاب هو أن يتسنى لها العثور عليهم عند الضرورة أو مراقبتهم فحسب»، قالت كاثارين كاتن، مديرة مكتب الطلبة الأجانب في جامعة ديوك، وهي لم تتلقَ «زيارة» مماثلة بعد ولكنها على اتصال بجامعات كثيرة تحت «زيارتها». وتابعت تقول «ليس هدف [العلاء] أن يوقفوا الطلاب. إنهم يريدون أن يتعقبوا رواحهم ومجئتهم فحسب». ومع ذلك فإن ظهور العلاء الفدراليين المفاجئ في مباني الجامعة، وخطط الحكومة لتوسيع أعمال المراقبة تلك، قد أُلْجِئت مشاعر اللق في الجامعات - التي باتت أصلاً شديدة العصبية بعد الاعتداءات الإرهابية في ١١ أيلول والذعر الناجم عن جرومة الأتراكس.

«نصعب كثيراً أن نُشفي بسلامتك»، قال جايوس أو فريمان، وهو رئيس سابق لجامعة دارتموث، مُرَّكِباً «أريد أن يأخذ الطلاب انطباعاً أنك جزءٌ من تصاليفهم أولئك الذين قد يُدسّسون عنهم ليُقْبضوا عليهم».

الطلاب السبعين من جامعة كولورادو، وقد طُلبَ أن لا يُذكر اسمهم، قال إن عميلين من «مكتب التحقيق الفدرالي» وعميلاً آخر من «مكتب خدمات الهجرة والتجنيس» وصلوا إلى شقته من دون موعد مساء الأربعاء منذ شهر تقريباً. وقال العملاء إنهم حصلوا على اسمه من طالبين سعوديين آخرين أوقفوا بعد أن شوهدا يلتقطان صوراً لبدان الرياضيين في الجامعة. وكانت الصور معدة لأصْفٍ يُأخذان في فن التصوير، كما قال السيد بلّ، ونُكِرَ الطالب، وهو في السادسة والعشرين ويتخصص في الهندسة المعمارية، أنه في محادثة مع السلطات الفدرالية سئل عن صفوه ونشاطاته وسياساته. «كنت خائفاً»، قال، «فلما أعلم أن بقدرهم أن يُطْلَوا أي شيء ضمني، ولكنهم يتفهم الوضع. «لا التهمهم»، قال، «فلا فال الأبرياء فُتّلوا في ثوانٍ وساعات قليلة».

في مستع أجريته «الجمعية الأميركية لأمناء سجلات طلاب الكليات وموظفي القبول» أوردت ٢٠٠ كاتبة أنه جرى الاتصال بها مرة واحدة على الأقل من طرف مكتب FBI أو INS بعد ١١ أيلول بصدد وضع الطلاب الأجانب. وحوالي ربع تلك المؤسسات تحدثت عن عدة اتصالات أجريت معها. هذا وقال موظف فدرالي في دائرة الهجرة، ألح على عدم ذكر اسمه، إن تلك الكليات قد عيّنت على أساس الاشتباه بأن الطلاب الأجانب فيها قد يَمْتَلِكُون معلومات تساعد الحكومة في بحثها. وتابع يقول «هذه الزيارات هي جزء أساسي من تحقيق جنائي جاري».

الموظفون أن السلطات أوقفت لاحقاً طالباً من سان دييغو ونقلته إلى نيويورك حيث يُحتفظ به شاهداً

ولكن التحقيق يتواصل في جامعة سان دييغو. ففي يوم الأربعاء، سَلَمَ موظفون من دائرة الهجرة طلباً مكتوباً إلى الجامعة يسألون فيه عن معلومات تتعلق بإمكانين وبمراجعة ٤٠ طالباً من بلدان عربية - وهو طلب يُكثِّم الجامعة الوفاة به

«إنه لأمر مزعج»، قالت جاين كاثيولز، وهي المديرية المشاركة في مركز الطلاب الأجانب، «فعلى الرغم من أننا كنا نَعْلَمُ يوماً أن كتابة التقارير جزء من عملنا، فإننا لم نَعْلَمُ بها منذ زمن طويل جداً».



إجراءات الأمن المشددة على المطارات: إلى «اليسار» ثريا

العموميّة في الحزب. وتابعت أودن ولم يكتفوا بإيقافي في المطار، بل إن جهة مجهولة تُسلِّطُ على الفلنك والثلاث حوزياً»

وستجتمع الجمعية العموميّة لحزب الخضر - وهي الجهة المقررة في هذا الحزب في الولايات المتحدة - من أجل الالتحاق على تفاصيل حملات على مستوى البلاد بسلامتها ضدّ الحزب البيوكيميائيّة ودرش المبادئ السامة والهندسة الجينية، ومن أجل انقراط الحزب في حركة السلام الناشئة.

«أنا مصدومة لمنع القوات العسكريّة الأميركيّة أحد أعضاء حزبي، حزب الخضر، البارزين من حضور الانجتماع في شيكاغو». هذا ما صرّحت به إليزابيث فلاك، وهي ممثلة الحزب في بنسلفانيا وكانت قد قادت سيارتها من هناك إلى شيكاغو. وتابعت «بعضيني كيف يتمّ التّشوي على إعلان الحقوق». وبضلع ليونيل تريباينز، الناطق من حزب الخضر في شيكاغو، إلى أن «الاعتداء على حرية اجتماع حزب سياسيّ معارض هو أمرٌ منطوق وأشدّ مصادقةً للتأطيش من أجل السلام فهو أمرٌ يستحقّ الشجب».

اسود أو من اصول لاتينيّة، وذلك في بحثها عن المتسبّب بهجوم على امرأة كَهْلَة

وفي التحقيق الجاري، تُسَمَّلَ عملاء فيدراليّون بجامعة كولومبيا في نيويورك مرتين أو ثلاث مرّات وقابلوا طالباً أجنبيّاً، واحداً على الأقلّ، على حدّ قول فيرجيل رنزيلاي وهو الناطق باسم الجامعة. وذكر السيد رنزيلاي أنه لا يُعتقد أن الطالب أوقف

وأما في جامعة سان دييغو فقد سعت الحكومة إلى الحصول على معلومات عن حوالي ٦٠ طالباً من الشرق الأوسط لأنّ اثنين من خاطفي الطائرات في ١١ أيلول، بحسب قول موظفي الجامعة، عاشوا في سان دييغو وكانا على صلة بالجمالية المسلمة ونكّز

## أجهزة أمن المطارات تمنع نانسي أودن

... وانتهاك التعديل الرابع الذي يحمي على الأمن الشخصي طال اميركيين معارضين أيضاً.

فُيَضَّ عملاء الحكومة الفيدراليّة على نانسي أودن، وهي عضو في هيئة التنسيق في «حزب الخضر» في الولايات المتحدة، يوم الخميس في الأول من تشرين الثاني (نوفمبر)، وذلك في مطار بانغور الدولي في بانغور ماين شماليّ شرق البلاد، فيما هي تستعدّ لركوب الخطوط الجويّة الأميركيّة (اميركان إيرلاينز) إلى شيكاغو. «لقد قال لي أحد الموظّفين إن إشارة أُرْسِمت قرب اسمي على الكمبيوتر»، قالت أودن المرتعشة شريفة «لقد تمّ استهدافي لأنّ حزب الخضر في الولايات المتحدة يناهض قصص المذبذبين الأبرياء في أفغانستان». وقد أمرت أودن، وهي مُزارعة عضوانيّة<sup>(١)</sup> وناشطة داعية للسلام منذ زمن طويل في شماليّ ولاية ماين، بالابتعاد عن المطارّة. وأحاط باتين مسلمون يُشْعَلون رشاشات ارتوماينكيّة، وأغلّموا كلّ خطوط الطيران بمنعها من ركوب أيّ طائرة.

«لقد أُخبرْتُ أنّ المطار مُقفّل في وجهي إلى إشعار آخر، وأنّ من تذكرتي لن يُعاد إليّ»، قالت أودن.

وكانت أودن على موعد مع خطبة تُلقيها في شيكاغو مساء الجمعة، وذلك ضمن ندوة مع خطباء آخرين في موضوع «المليديات بوصفها (أسلحة حرب)». وهي ساعدت في تنسيق جهود حزب الخضر الأميركيّ المعادية للحرب خلال الأشهر القليلة الماضية، وكان من المفترض أن تقدّم تقريراً عن هذه الجهود إلى الجمعية

١ - عن موقع كالتريفاش نيوز على الانترنت

١ - أيّ استخدام الطعام المنتج بالتّلف أو السماد التّباتيّ والحيوانيّ، بدلاً من الكيميائيّ أو المستفاد من الحيويّة والمليديات. (م)

## يتصّ التعديل الخامس من إعلان الحقوق على التالي:

لن يحمل شخصٌ مسؤوليّة جريمة عقابها الموت، أو مسؤوليّة جريمة شائنة، إلاّ بناءً على عرض قضية أو اتّهام من هيئة المحلفين الكبرى، باستثناء حالات ناشئة في القوات المسلّحة البريّة أو البحريّة أو في الحرس الوطني أثناء الخدمة الضلعيّة زمن الحرب أو الخطر المعلن؛ ولن يُخضع أي شخص للمحاكمة عن التهمة مرتين بما يعرضه لخطر الموت أو التشوه؛ ولن يُجبر في أي حالة جريمة على أن يكون شاهداً ضد نفسه، أو أن يحرم حياته أو حريته أو ممتلكاته، دون الإجراءات القانونيّة المتعارفة؛ ولن تؤخذ ممتلكات خاصّة بهدف الاستخدام العام من دون تعويض عادل.

## لأمن الوطن

دوغلاس هالانتاين<sup>٤</sup>

بوش: إمّا أن تكونوا معنا أو انتم ضدنا.

## المشتبه بهم عادةً

أثناء حرب فيتنام، وبموجب «برنامج فينيكس» الذي اعتمدته وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة CIA - التي هي النموذج القدر للكتب أمن الوطن - كان الإرهابي المشتبه به هو كل من يُتهم بذلك مُصنّف مجهول واحد. واحد فقط. وكان المشتبه به يُؤخذ بعد ذلك، ويُعتقل إلى أجل غير مسمى في مركز للتحقيق تابع للـ CIA. ثم يُعذب أو تُعذب إذا كان امرأة (وأحياناً كان المشتبه به طفلاً لا يتجاوز الثانية عشرة)، إلى أن يُتحرّف أو يقدم معلومات عن آخرين، أو يموت، أو يُساق إلى محكمة عسكريّة (كالتي يقتصرها بوش الآن) للتخلّص منه.

طلب بوش من الكونغرس أن يوافق على تشكيل محاكم عسكريّة تكون لها سلطة تعذيب المشتبه بهم وإعدامهم خلال ٣٠ يوماً، دون اتّخاذ الإجراءات القانونيّة المرميّة. لا هيئة محلفين كبرى، ولا إجراءات قانونيّة متعارفة، ولا من يحزنون. وهو ما يتناقض مع التعديل الخامس تناقضاً صارخاً.

في ظلّ حاكم بنسلفانيا ترو جريج، سيقيم مكتب أمن الوطن، في Homeland Security Office بتنسيق عمل ٤٦ هيئة حكوميّة ضد الإرهابيين المشتبه بهم في الولايات المتّحدة. وسيتملّك ريدج هذه الوظيفة بالتعاون مع نائب مستشار بوش للأمن القومي، الجنرال واين داوونج. ومازال الموظفون في إدارة بوش يُضبطون «حدود السلطات» بين الموقعين الجديين، ولكن من الواضح أن العسكر - من الآن فصاعداً - سيكون له دور مركزي في الفضايات المحليّة المناهضة للإرهاب.

السبب في بروز دور العسكر بسيط: فبوش يريد أن يُقيم محاكم عسكريّة خاصّة، ومن خارج العمليّة القانونيّة. يكون بمقدورهما محاكمة الإرهابيين المشتبه بهم دون القيود القانونيّة المتعارفة في القضاء الأميركي. ويبدو أن هذه المحاكم العسكريّة ستكون لها سلطة إعدام الإرهابيين خلال ٣٠ يوماً من إدانتهم.

هذا وقد نفت الإدارة الأميركيّة التفكير في إصدار بطاقة تعريف وطنيّة تزيد «الإخوة الكبار» [الاستخبارات] بالقوّة الهائلة المطلوبة للقبض على الإرهابيين قبل أن ينفذوا أعمالهم. ولكن باستطاعتكم التيقّن من أن شئاً وسيلاً ما سوف تصمّم لتصنّع ريدج في مكتب أمن الوطن، وتتمكّن داوونج بالنيابة عن البيت الأبيض، من «إلقاء كل حركته لكل مشتبه به» المشكلة هي أن أحداً لم يجدد إلى الآن من «المشتبه به».

٤ - مؤلف كتاب برنامج فينيكس، وهو التقارير الأشمل عن عمليّات التعذيب والاعتقال التي مارستها الـ CIA في فيتنام، والمقالة منشورة في موقع مجلة زِد: [www.zmag.org/valentine.htm](http://www.zmag.org/valentine.htm)



## الحرب النفسية الجديدة

إنَّ حرب بوش الجديدة، على ما نُصِّر عليه منذ اثني عشر عامًا في أكتوبر ١٩٨٩ في صالون كوريس غازيت (ص ٢٢ - ٢٦)، «تتجلى بشكل واسع، وستكون غير محددة إلى درجة كبيرة؛ سيُضيقُ الفرق بين الحرب والسلام، وسيُضيقُ نقطة التلاشي». لن تكون هناك «مبادئ حرب محدَّدة وجهات محدَّدة»، وسيُفتني التمييز بين «المدني» والعسكري». «وستتوقَّف النجاح إلى حدٍّ كبير على فعالية العمليات المشتركة» على نحو ما نُشرحه بوش بين ريدج في «أمن الوطن» وداونغ في البنتاغون، «كلُّما اختلطت الحدودُ الفاصلةُ بين السُّلويَّة والرسالة».

ومصَّب مقالة الغازيت أيضًا سيتوقَّف نجاح «الحرب الجديدة» ضدَّ المشتبه به غير المحدَّد على «العمليات النفسية» أيضًا التي تتجلى في «أشكال التخلُّل الإعلامي والمعلوماتي». إنَّ على المرء أن يكون «مهاجرًا في التلاعب بالإعلام من أجل تغيير الرأي العام المحلي والعالمي...» فعلى جبهة الحرب النفسية قد تكون أخبار التلفزيون سلاحًا علانيًا أقوى من الفرق المدرعة.

إنَّ «مقصود» التلفزيون يحلُّون أن يُقوِّا بهزيمة أميركا في فيتنام على عاتق الحركة المناهضة للحرب، ويؤكِّدون في هذه الأوقات الحاسمة أنَّ المعارضة (الدخليَّة) تروِّج الإرهاب. وضمن إطار استراتيجية الحرب النفسية المذكورة أعلاه فإنَّ هذه هي تامة الطريقة التي يتساوى فيها الوطنيون بل وبعادة السلام أيضًا مع الإرهابيين في فيتنام ويتمرِّسون - من ثم - لتوقيف دون أجل ممسٍّ، وللتميز في مراكز التحقيق، ولإفتعال بموجب برنامج فينيكس التابع للـ CIA، كما حدث لما برِيو على ٤٠ ألف شخص.

إنَّ إدارة بوش تُزعم أنَّ حربًا ضدَّ الإرهاب تتطلب عدالةً مختلفة. ولكنَّ هذه الاستراتيجية استغذت شعبًا بأكمله ضدَّ حكومته وتسببت في مأساة ذات أبعاد هائلة.

ليس أمام المرء إلَّا أن يتخيل كيف سيتصرف الأميركيون إنَّ تمَّ التخلُّل عن الإجراءات القانونية المرعية عبر «مكتب أمن الوطن»، ونوجيه من البنتاغون.

في آلاف الحالات سُجِنَ أشخاصٌ أبرياء وعُدُّوا، استنادًا إلى كلمة من مُؤبَّر غُلِّبَ كان يُفْهَر بحرق شخصي عليهم، أو كان في الحقيقة عميلًا مزدوجًا من لدن الفيتكونغ يزيدًا لللائحة السوداء الخاصة بـ «برنامج فينيكس» بسماء المواطنين الموالين (لأميركا). ولم يكن يقدر المشتبه بهم في أيِّ محطة من هذه المحطات أن يُحصلوا على الإجراءات القانونية المرعية أو على محامٍ. ولهذا أُعْرِب ٤ أشخاص في الكونغرس الأميركي عام ١٩٧١ عن اعتقادهم أنَّ برنامج فينيكس انتهك ذلك الجزء من معاهدات جنيف الذي يضمن حماية المدنيين زمن الحرب. وأكثُر زمن الحرب

ولكنَّ هذا النوع من الانتهاكات لا يُمكن أن يُحدَّث هنا، أثناء حرب بوش الملونة على الإرهاب. صمغ نعم، بالتأكيد!

مرمزيًا، سُخِّت اعتقادات ١١ أيلول الإرهابية كلُّ ما كان في خواطر الأميركيين من كوابح. فقد ركَّضت كلُّ التصحيحات الأخلاقية عن الجناح اليميني الرجعي، والأمر نفسه حدَّث في أرض الأجداد بعد الحرب العالمية الأولى، وهذا هو التهديد الحقيقي لـ «مكافحة الإرهاب» الذي نواجهه في أميركا اليوم.

فياسم مكافحة الإرهاب، يستعد غضب الأمة وحفظها المكبوتان بسبب حرب فيتنام، ويسبب أمور «ثقافية» أخرى، للانفصاف على «عنق الدخان»، وإدارة بوش وبعادها عرقوا عند الدخان بكلمات واضحة: إنَّهم يقولون «نحن الآن إسرائيليون كلُّنا، فإنَّنا أن تكونوا معنا أو أنتم ضدنا» في الحرب المعلنة ضدَّ الإرهاب.

وأن تكون «ضدنا» مسألة خطيرة. وكما لاحظنا فقد طَلَب بوش من الكونغرس أن يوافق، بلا تردد، على تشكيل محاكم عسكرية على نمط محاكم فيليكس، تكون لها سلطةٌ تعذيب المشتبه بهم وإعدامهم خلال ٣٠ يومًا، دون أيَّ تحالٍ الإجراءات القانونية المرعية. لقد جرَّب هذا النظام في فيتنام قبل ٣٠ عامًا، وبلغ درجة الإقتان في إسرائيل التي استخدمته ضدَّ الفلسطينيين، وهو جاهزٌ للاستخدام هنا والآن.



أما زالت «القومية» الأميركية تمول الطلالبان

## ينصّ التعديل السادس من إعلان الحقوق على التالي:

في الدعاوى الجرمية جميعها، سيتمتع المتهم بحق المحاكمة العادلة والعلنية، من طرف هيئة محلفين نزيهة في الولاية وفي المقاطعة التي قد ترتكب فيهما الجريمة، شرط أن تكون المقاطعة قد سبقَ تحديدها قانونياً. وسيتمتع المتهم بحق الاطلاع على طبيعة الاتهام وسببه، وحق مواجهة الشهود ضده، وحق إلزام المحكمة [بإيجاد الشهود لصالحه، وحق الحصول على مساعدة محامي دفاع.

## استراتيجية متعمدة في تعطيل حياة الناس

أيمي غولدستاين<sup>٥</sup>

وهي اليوم تُستخدم مراراً وتكراراً من قبل المحققين في طول البلاد وعرضها أثناء جلسات استماع تفحص للموقوفين. وتُشرح شهادة القسم affidavit الخاصة بكتب التحقيق المذكور أن جُتِعت المعلومات المتعلقة بمكافحة الإرهاب في الولايات المتحدة شبيهة ببناء صورة فيسيفسائية. وفي هذه المرحلة من التحقيق يقوم الـ FBI بجُتِعت وفُرِّد آلاف المعلومات الصغيرة والكبيرة التي تُدو للولاء الأولى غير مؤنية. ولكن علينا من بعد أن نسل كل هذه المعلومات لنرى إن كان يُمكن أن تُدرَج في صورة تكشف كيف يُشمل الكل غير المرئي... ما قد يُبدو تلفها للبعض قد يكون هاماً جداً بالنسبة إلى مكتب التحقيق الفدرالي أو جماعة الاستخبارات، وكلا الطرفين يتكشك سياتاً أوسع لروية الأمور.

تلقم لغة الوثيقة المذكورة المخلّ الأوضح حتى الآن لهم حملة التوقيفات التي بلغت حدّاً لم تبلغه منذ الحرب العالمية الثانية. وفيما يتسابق المحققون لاستيعاب التهديد الإرهابي المتواصل، قامت الحكومة ببثي استراتيجية متعمدة في تعطيل حياة الناس - فاحتجزت أعداداً كبيرة من الرجال ذوي الأصول الشرقاوسطيّة، مستخدمة أي أداة قانونيّة بين يديها.

هذه العملية تتم بسرعة كبيرة، وأحياناً يُمنع الدوابّ الماعون من نقل الوثائق خارج المحكمة. ويحصل أمر من الحكومة الفدرالية للسقوين من الصديق عن الموقوفين. ويؤخذ المسؤولون الامنيون تسمية الصاميين المكلّين بالذئاع عن هؤلاء الووفين، أو وصف الملاحع الأساسية لاصالهم. ويهاون إنهم يُعتمِن من إعطاء أي معلومات بسبب قوانين الخصوصية وأوامر القضاة وقواعد السرية التي تحيط بالتحقيق القضائي العام في اعتداءات ١١ أيلول.

[...]

الاحتجاز من دون إطلاق السراح بكفالة، وإبقاء الناس رهنة مدة طويلة بناءً على وثيقة جديدة، والتركيز على فئة الرجال من الشرق الأوسط (المدانين قبل توجيه التهمة أصلاً)، بما يعطل حياة الناس ويُرهبهم، كل ذلك وجه من وجوه الانتهاكات الجديدة للدستور وإعلان الحقوق واسماً التعديل السادس.

قبل ٢٣ دقيقة تساماً من حصول محمد عطا، وهو قائد المشتبه بشربهم في اعتداءات ١١ أيلول، على رخصة قيادة سيارة في فلوريدا، حصل موظف باكستاني في محطة وقود ويك من العمر ٢٨ عاماً على تجديد رخصته من قسم التراخيص ذاته. ولهذا السبب كان هذا الباكستاني، واسم «محمد شين»، يقف في غرفة صغيرة للتحقيق، وهو يرتدي ملابس السجن، بعد ظهر الاثنين الماضي، واحداً من بين أكثر من ١٠٠ شخص وقّعوا في شرك حمل على امتداد أميركا بقاءً عن إرهابيين.

بلغة أوردية ملحظة سريعة اللّسن «شين» إطلاق سراحه. صحيح أنه دخل الولايات المتحدة بطريقة غير شرعية، على نحو ما قال للفاضي عبر أحد المترجمين، ولكنه ذكر ببساطة أنه لا يُقرّب أيّاً من الشاطنين. ومع ذلك أُلّغ كين الحكومة في محكمة ميامي القاضي، وبسهولة، باحتجاز «شين» من دون كفالة. وقّمت للمامي وثيقة قانونيّة مُطلعة تُكفي عن الاستراتيجية المؤنية إلى التوقيفات، ومن حجة قانونيّة جديدة لإبقاء الناس رهنة الاحتجاز اعتماداً على أوهن الشبهات.

وُجّه الوثيقة المؤلفة من سبع صفحات، مسؤول عالٍ في مكافحة الإرهاب الدولي في المركز الرئيسي لمكتب التحقيق الفدرالي FBI في واشنطن. وهي وثيقة لم يُسبق أن أعلن عنها من قبل.

٥ - نُشرت في واشنطن بوست، في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠١.



باسمة دياب وابنتها  
تنتظران الزوج الاب  
المعتقل دون أي خبر  
عنه

إن عزم الحكومة على استخدام كل أداة قانونية متوفرة لديها من أجل حجز الموقوفين أطول فترة ممكنة هو ما تمكن رؤيته في حالات كثيرة على امتداد الولايات المتحدة.

ليست غرفة المحاكمة الصغيرة الكائنة في جنوب غرب ميامي حيث حُرم مئتين الكفالة هي المكان الوحيد الذي استُخدمت فيه وثيقة القسم الصادر عن مكتب التحقيق الفدرالي لإبلاغ المرء محتجزاً. بل أبرزت هذه الوثيقة أيضاً أيضاً اثنا جلسة سماع في قضية مجررة في سانت لويس، فصنعت موكل أسامة اللذان.

كان أسامة اللذان، البالغ من العمر ٣٠ عاماً، قد أوقف على يد عملاء مكتب التحقيق الفدرالي في السابعة صباحاً من يوم ٢٤ أيلول بعد انتهاء نوبته الليلية في عمله ميكانيكياً في الضبوط الجوية العابرة للولايات (ترانس ستايتس إيرلاينز). وأُتهم بالبقاء في الولايات المتحدة رمزاً أطول مما تُسمح به لتفسيده دخوله. ولكنه يُعتقد أن السبب الحقيقي لتوقيفه هو أنه مصريّ ومسلم ويُشمل في المطار... فضلاً عن أن اسمه الأول لا يُشكّن أن يُنسى (١)

وقد أُخبر أسامة عملاء مكتب التحقيق أنه لا يشعر بأي تعاطف مع أسامة بن لادن، وتطوّر بالسماح لهم بتفتيش شقته، ويخضع لوائح مائته، وبالبحث في حاسوبه. لم يجدوا شيئاً، بحسب ما قال هو ومحاميه ج. جاستن ميهان. وفي ٥ أكتوبر خُصّن لامتحان الكتب فنجح فيه، كما قال، «بتناجح باهرة». ومع ذلك، وبعد أسبوعين، منّ محامي الحكومة حصوله على الكفالة عبر شهادة القسم التي تقول إن مكتب التحقيق الفدرالي «لم يستطع أن يلقي إكاثية أن يكون [أسامة اللذان] مرتبطاً بشكل ما، أو يُمتلك معرفة ما بالاعتمادات الإرهابية على مركز التجارة العالمي والبنطاغون».

أثارت استراتيجيّة الحكومة الفدرالية وأساليبها احتجالات وكلاء الدفاع ودعاة الحرية المدنية المُلقاة. فهم يقولون إن الحملة الحالية هي عملٌ خُصّن من أعمال التمييز العنصري racial profiling شبيهة باعتقال اليابانيين [في أميركا] الذين بلغوا مئة وعشرة آلاف عند بداية الحرب العالمية الثانية.

مسؤولو القضاء أعلنوا يقولون إن مثل هذا النقد ليس في محله. فياستثناء الشهود الذين يُعرض أن يُنكروا معلوماتاً، فإن كل الموقوفين - بحسب أولئك المسؤولين - قد انتهكوا قانوناً ما. الفراق الآن بعد ١١ أيلول هو أن عدداً كبيراً من الأشخاص يُستجرون - وهو توصيفٌ وقائيٌ أساساً - بدلاً من أن يُطلق سراحهم بكفالة. وقال النائب العام المساعد مايكل شيرتوف: «إنّ وجبنا أي انتهاك فسنلاحقه قضائياً».

ويعد أكبر بيّن تحليل واشنطن بوست للمسؤولين الذين تم التعرف عليهم، والبالغ عددهم ٢٣٥، من يتم توقيفه فضلاً. فالمجموعات الكبرى من الموقوفين تنتمي في الواقع إلى السعدية ومصر وباكستان. وكثر الرجال عملياً هم في العقد الثالث والرابع من العمر. وألقي القبض على أكبر عدد منهم، في ما وصفه مسؤولون أمثيون بالتعاطفين مع تنظيم القاعدة، في ولايات متعددة ذات جالٍ إسلامية كبيرة: تكساس، ونيوجيرزي، وكاليفورنيا، ونيويورك، وميشيغان، وفلوريدا.

تُبرز الطبيعة الوقائية [غير المستندة إلى معلومات جرمية حقيقية] لهذه الحملة في نوعية التوقيف. ففور إعلان النائب العام جون د. أشكروف في نهاية أيلول عن مخاوف من احتمال اعتداءات كيميائية يقوم بها إرهابيون يُستهدفون الشاحنات، عمد المسؤولون الأمنيون إلى اعتقال ٦١ لاجئاً عراقيّاً حصلوا على تراخيص مرورية لقيادة الشاحنات؛ ولاحقاً قال المسؤولون إن هؤلاء اللاجئين يبدو أن لا علاقة لهم باعتداءات ١١ أيلول.

في خطاب الشهر الماضي إلى المؤتمر الأميركي للمختابر قارن أشكروف بين أعمال الحكومة الحالية وحمل النائب العام روبرت ف. كينيدي ضد الجريمة المنظمة في أوائل الستينيات. فخُبر المختابر، في أكثر ملاحظاته العلنية إلى اليوم كشفاً لحقيقة التوقيفات، أن وزارة العدل التابعة لروبرت كينيدي كانت تُوقف أعضاء العصابات الإجرامية إن يُصنّفوا على الرصيف، إذا كان ذلك يساعد في الحرب ضد الجريمة المنظمة. إن سياسة وزارة العدل كانت وستبقى استخدام التكتيكات العدائية والتوقيفية التي تُستخدم في الحرب ضد الإرهاب. فلنُشدر الإرهابيين للوجودين بيننا: إن انتم تخُصّن مهلة إقامتكم يوماً واحداً بعد انتهاء تاشيراتكم فسوف نُؤفكم».

[...]

أجل إلغاء احتمال ضلوعهم فذلك يُلْغى النظام القضائي رأساً على عقب»<sup>(١)</sup>

ومن جهة أخرى قال ويليام بار، وهو النائب العام للرئيس الأسبق جورج بوش، إن شهادة القسم محاولة لشرح «التطبيق الانتقائي» للقانون ومحاولة لأن يقال للقاضي «هذا هو سبب وضع لقننا في هذه القضية... إن الرقابة رجوعاً إلى لينكولن، أدركوا أن عليهم أن يكونوا مستعدين لمواجهة تهديد فائق، هو هذا الذي يمثل أمامنا الآن».

والحق أن شهادة القسم واحدٌ فحسب من الأساليب التي يُستخدَمها المسؤولون الأمنيون لمنع الموقعين من التصريح من الحجز. ففي ١٨ أيلول أمر أشكروفت مكتب «خدمات الهجرة والتجنيس» INS بتعديل قانونه الخاص باحتجاز الموقعين قبل إدانتهم، بحيث تُطوّل تلك المدة من يوم واحد على الأكثر إلى ٤٨ ساعة أو إلى «زمن معقول» غير محدد في حال الطوارئ العامة

[...]

الفاز مازال محتجزاً في سجن ميسيسيبي كاونتي في جنوب شرق ولاية ميزوري. وهذا ما لا ألهيه، قال الفاز في مقابلة هاتفية من السجن الذي يُبعد ثلاث ساعات عن مدينة سانت لويس، «فبعد أن خضعتُ لامتحان الكذب وعُني عميلٌ مكتب التحقيق بأنه في حال نجاحي فيه فلن أوقف بعد اليوم».

وقال اخصائون قانونيون إن حجة شهادة القسم لاحتجاز الناس في الوقت الذي يأتي فيه مكتب التحقيق الفدرالي «لوصفه» القيسفيسائية هي في الواقع تأويلٌ جديدٌ لاستمارة قديمة. فقد اعتمدت وكالة المخابرات المركزية CIA في الغالب على حجة «اللوحة القيسفيسائية» من أجل منع المعلومات، على أساس أن أعداء الولايات المتحدة قد يُجمعون أشتات المعلومات ويُصنفون الأسرار القادمة من الحكومة بعضهم إلى بعض.

إن استخدام مكتب التحقيق الفدرالي لهذه الحجة من أجل إبقاء الناس رُشدين الاحتجاز «غرباً جداً عن كيفية سير الأمور في الماضي، قال مارك ش. لينش، وهو محام في واشنطن على معرفة بالقضايا القانونية اعلاه. وتابع «إذا كانوا يُحتجزون الناس من

## المحاكم العسكرية تؤمن

### عدالة منظّمة!

لورا إنغراهام<sup>٢</sup>

هنا مقالة تدافع بفضافة عن انتهاك القانون، وتؤيد أمر بوش إقامة محاكم عسكرية سرية بما يتناقض مع التعديل الخامس (والسادس أيضاً).

او بلداً ديكتاتورياً، لا مجتمعا حراً». ووضعت الافتتاحية الرئيسة في نيويورك تايمز قرار بوش إقامة محاكم عسكرية بأنه «صورة زائفة عن العدالة». وعلى خطى الليبراليين وصفت واشنطن بوست المحاكم بأنها «شبيهة» بـ «الجلسات السرية التي كان للقضاة المحبسون في البيري، يُقيدونها. ولم تكلف أي من الجريبتين نفسها عذراً يُذكر حقيقة أن الرؤساء الأميركيين على امتداد التاريخ (واشنطن وتاكران وروزفلت) اعتمدوا على المحاكم العسكرية فعلاً، ولا أن قرار المحكمة العليا المعروف باسم كويرين في عام ١٩٤٢ أُلغى. شرعية هذه المحاكمة لماحكة «الضمير غير الشرعي» الضالعين في مؤامرات إجرامية ضد أميركا...

ولكن الحق أن الأمر الرئيسي لا يُطوّل إلا في حالات محدودة، فهو يبيع المحاكم العسكرية ضد مواطن لا يُشعر الجنسية الأميركية إن كان شمة «سبب» للاعتقاد بأنه عسّر، أو كان عضواً، في تنظيم القاعدة وأنه «اضطلع أو ساعد أو حرض أو تأمر لارتكاب» أعمال إرهاب ضد مصالح الولايات المتحدة، أو يُمنح العدة للقيام بذلك. إن المحاكمة غير معقدة عند التطبيق، وتُستخدم لارتكبي جرائم الحرب.

ماذا يوسع الديموقراطيون أن يُقلعوا حين تواصل شعبية الرئيس بوش الحصول على تأييد ٩٠٪ أو أكثر من الشعب الأميركي؟ يُظهر أنهم يعضمون النظر في المشهد السياسي بصباً - دون جدوى - عن قضايا هامشية تُثيرهم. والأ فكيف نغفر قرار رئيس اللجنة القضائية في مجلس الشيوخ باتريك ليهي، وهو سيناتور ديموقراطي في فيرمونت، عُدّ جلسات سماع للشهود في الأمر الرئاسي الذي صدر في ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ويُمسح بإقامة محاكم عسكرية للإرهابيين المشتبه بهم ولساعديهم أيضاً؟

«إنهم، بكل معنى الكلمة، يفكّكون القضاء والنظام القضائي كما نعرفه، جارت ماكسين واتز، وهي نائبة ديموقراطية عن ولاية كاليفورنيا. وقال النائب الديموقراطي عن ولاية نيويورك جيروالد تانكر إن «هذه الإجراءات تُخسّر بلداً على شرار الأعداء السوفييتي

١ - للقصود، إن احتجاز الناس دون تهمة هو بخلاف القاعدة القانونية الشهيرة: كل إنسان بريء حتى تثبت إدانته. (م)

٢ - منشورة في جريدة USA Today.



«انتحاج حقاً إلى إن من الأمم المتحدة محاكمة مجرمي ١١ أيلول»

صحيح، كما قال الرئيس، أن الإرهاب يهدد كل الأمم الحضارية، ولكننا نقوض هذه الحرب من أجل مصالحنا القومية أولاً، لا من أجل نظام عالمي جديد كتبتّه الأمم المتحدة وأن نرغب بالتعاون ونسعى إلى التنسيق مع دول العالم في الحرب ضد الإرهاب، فذلك لا علاقة له بحقيقة أن الدفاع عن مواطنينا ضد من يريدون إيلاننا إنما هو حقنا ومسؤوليتنا الوطنية، وأنه من واجب قادتنا أن يفتخروا على هؤلاء ويسبقوهم إلى العدالة.

أن «كرد» مصالحتنا القضائية أصلحة «الخبر الكوني العام» فذلك سيؤسس سابقة رهيبة، لأنه سيُعني أننا لا نملك الحق السيادي كاملة في أن نؤثّر ونهكّم الأشخاص الذين نلقوا أو يُخطّون لأن يقتلوا مواطنينا الأبرياء، وأياً يكن الضرر الذي ستسببه محاكمة العسكريين بسببهمنا فإنا سندافع عنهم الذي ضرر أعظم كثيراً بنفسياتنا القومية إن سمح للإرهابيين الذين لا يُحوزون الجنسية الأميركية باستغلال نظامنا وأنا الوطني في مسرحيات درامية طويلة ومُكثّفة. إنكسر أحد من معارضي الرئيس زيارته إلى مركز إسلامي بعد أيام قليلة فحسب من اعتداءات ١١ أيلول، أو مبادرته الإيجابية التالية من أجل طمأننة الأميركيين المسلمين؟

إذا كان أعضاء الحزب الديموقراطي و«ملاؤهم أصحاب الحريات المدنية» يريدون أن يُدفعوا في انتخابات عام ٢٠٠٢ لواء حقوق الإرهابيين، فسيكون الجمهوريون مبتهمين طوال الطريق للوصول إلى فوزهم بالانتخابات. فبعض يواصل احتفائه بدعم شعبي كاسع لحربه ضد الإرهاب، لأنه يلاحق الإرهابيين بجد ويلاحق من يبرعاهم أيضاً. لقد أرست الإدارة الأميركية تورطاً بين حق الجمهور في المعرفة من جهة، والحاجة إلى تدمير تنظيم القاعدة قبل أن يعاد ضرورياته من جهة ثانية.

إن يوش يغم أن بعض الإعلام متعشّش يوماً إلى المزيد، ولكنّ للحاكم العسكري، التي تتنادى احتمال حصول عرض إعلامي «لشهداء الجامعيين» وتحمي المعلومات المحظورة على الجمهور، فطعي هذه البلاد ما تستحقّه بعد ١١ أيلول: عدالة منطية لمجرمي الحرب.

يتركز كثير من الولولة المعادية للمحاكم العسكرية على حقيقة أن الجلسات تُعقد في السر. غير أنه من المشروع تماماً أن نفكر أنه فيما نحن نواصل حربنا ضد الإرهاب، قد تكون المحاكمة العلنية للأشخاص المتورطين في مؤامرة عالية لقتل أكبر عدد ممكن من الأميركيين أمراً ضرورياً بمصالح أميركية مختلفة. فالمطومات المحظورة على الجمهور، والتي تشكل سرّيها أهميّة حاسمة للتحقيقات الأميركية في المستقبل، قد تتعرض للانتهاك - مثل المعلومات المتعلقة بهوية العملاء المزدوجين، وبمواصفات المؤامرات الإرهابية الأخرى، وبمفاصيل الأساليب السرية التي تُستخدمها حكومتنا للتحول دون وقوعها.

ولا ننس أن في صميم وسائل الإعلام تضارياً في المصالح عند تقويم الإيجابيات والسلبيات المتعلقة بسرّي الحاكم العسكري. فقد يكون ثمة فائدة كبيرة للإعلام إن كانت المحاكمة علنية، ولكن ماذا بشأن بلدنا؟ نتخيل ما سيُعلمه [المتنوعون] دايان أو تد أو لاري أو أربارا من أجل الحصول على أول مقابلة تلفزيونية حيّة مع بين لادن.

في أوقات الحرب يتوجب على قائدنا العسكري الأول [رئيس الجمهورية] أن يُعْمَل من سلامة المواطنين الأميركيين وأرويتهم القصوى. ويسامحه بالتحقيقات العسكرية يكون قد بنى برسائل واعدة هامة إلى الإرهابيين المحتلّين في العالم أجمع، مثلاً: إن حضرت أنفسكم لقتل الأميركيين - أيّا كانت ميرواكم - فستدفعون الشّر سرياً وقاسياً.

مع قرب انهيار «البيان» القائم يُرجح أن تكون المحاكمة العسكرية قد حُكمت هنا وفي خارج أميركا. وكما أشار صميّد للقانون في الجامعة الكاثوليكية دوغلاس كميك، فإن الأمر لا يُقصر على العقاب وحده؛ ذلك أن الحاكم في «امتداد الحملة العسكرية» من أجل منع اعتداءات في المستقبل، وهو ما كان الكونغرس قد خول الرئيس فعله.

تخيّلوا أي متعة سيُشعر بها بين لادن وهو يمدّ محاكمته في محكمة فدرالية أميركية. وتخيّلوا الاعتراضات التي تُشعّق المحاكمة، والمناورات الماهرة داخل المحكمة بينهما فريقاً الذي لا يُطم به أحده، ويتقاضى كلّ منهم ٦٠٠ دولار في الساعة! أليكون على عائلات ضحايا ١١ أيلول أن تُجبر على تحمل التغطية الإعلامية لحاكمه الإرهابيين، والاستئنافات الطويلة التي ستليها؟ (ومع وجود آلاف من أعضاء «القاعدة» في العالم رؤى أشكّن إطلاق شبكة جديدة تُشترى تبثّ نغمة ضد الحكامات باستمرار - وليكن اسمها TTV «تلفزيون الإرهاب»).

لبعض روح فكرة تعزيز محاكمات المجرمين على هيئة «بوليتي» من القضية - بما يُضفي محكمة مجرمي الحرب التي أنشأتها الأمم المتحدة وتحاكم اليوم الرئيس اليوغوسلافي السابق سلوبودان ميلوسوفيتش. ولكنّ انتحاج حقاً إلى إن من الأمم المتحدة محاكمة أشخاص خطّوا ونظّموا اعتداءات ١١ أيلول؟

ينصّ التعديل الثامن من إعلان الحقوق على التالي:  
لن تُطلب كفالة باهظة، ولن تُفرض غرامات باهظة،  
ولن تُنزَل عقوبات وحشية أو غير مألوفة.

## صَمْتُ مُشْتَبِهين بالإرهاب يَطْرَحُ مُعْضَلَةً

والتر بينكوس

الضغط... وذلك حين لا يعود أماننا أي خيار. والأغلب أننا  
واصلون إلى هذه النقطة»

من الخطط المطروحة للنقاش بهدف انتزاع المعلومات استخدام  
الخضرات، أو تكتيكات الضغط كظك التي يلجأ إليها المحققون  
الإسرائيليون بين الحين والآخر. وثمة فكرة أخرى هي تسليم  
المشتبهين بهم إلى دول حليفة حيث توجه أجهزة المخابرات أحياناً  
تهديدات إلى أفراد عائلتهم أو تلجأ إلى ممارسة التعذيب.

بموجب قانون الولايات المتحدة يستطيع المحققون في الحالات  
الجرمينة أن يتكبروا على المشتبه بهم، ولكن المعلومات المنتزعة  
بالضغط الجسدي أو المعاملة غير الإنسانية أو بالتعذيب لا يُمكن  
أن تُستخدم في المحاكمة. بل قد يُقاضي المحققون الرسميون الذين  
يستخدمون وسائل كهذه، من قبل الضحية أو من قبل الحكومة  
التي ستتهمهم باستعمال العنف.

المشتبهون الرئيسيون الأربعة المتهمين في «إصلاحية نيويورك  
الحواضمية» هم زكريا الموسوي، وهو فرنسي من أصل مغربي  
اعتُقل في اب (أفغانستان) في مبنيسوتا أولاً بعد أن سعى إلى  
أخذ دروس في كيفية قيادة طائرات تجارية ولكن دون أن يُسعى  
إلى تعلّم كيفية الإقلاع أو الهبوط بها. وهناك محمد جويدي عظمه  
وأخي علي خان، وهما إيرانيان كانا يسافران بجوازتي سفر  
مزيفين، وتمّ اعتقالهما في اليوم الذي تلا الاعتداءات على مركز  
التجارة العالمي والبنطاغون، وكان بوزنهما سكينان صغيرتان،  
وهيكل للشعر، وخمسة آلاف دولار نقدًا. والرابع هو نيجل  
للمراب، وهو سائق تاكسي سابق في بوسطن ذو صلات مزعومة  
بتنظيم القاعدة.

إنّ استجواب «حائلي السكينتين الصغيرتين» الآخرين قد تَرَكَنا  
نتساءل عن الخطوة القادمة، قال مسؤول مكتب التحقيق

مع أنّ التعديل الثامن ينصّ على عدم التعذيب، فإنّ  
التعذيب بات مطروحاً بقوة من طرف الإدارة  
الأميركية وبعض المحامين والصحفيين والمثقفين،  
ومع أنّ كوكبرين في المقالة الثانية يذكر بأنّ التعذيب  
ليس شيئاً جديداً في أميركا، فإنّ محاولة تشريعه  
الآن هي الأمر الأخطر.

تُرَدّد خيبة المحققين في مكتب التحقيق الفدرالي ووزارة العدل من  
صمت السجّاء المشتبهوا باشتراكهم مع شبكة «القاعدة» التي  
يُزعمها أسامة بن لادن. بل إنّ بعض أولئك المحققين بدأوا يقولون  
إنّه يُمكن أن تُفصح المخابرات اللدنية العريقة جانباً إذا كان الهدف  
هو انتزاع المعلومات عن اعتداءات ١١ سبتمبر والخطط الإرهابية.

أكثر من ١٥٠ شخصاً أُلقي القبض عليهم من قبل مسؤولين أمنيين  
في أعقاب تلك الاعتداءات مايزالون في السجن، ولكنّ الاهتمام  
يتركّز على أربعة أمسيك بهم في نيويورك ويُتقد مكتب التحقيق  
الفدرالي أنّهم يتّهمون معلوماتهم نفيسة. وقد عُرِضَ عملاء هذا  
المكتب على هؤلاء الأربعة احتمال أحكام مخففة، كما عرضوا  
عليهم أسراً أو وظائف وموعداً جديداً وأن يعيشوا في الولايات  
المتحدة مع أفراد عائلاتهم. لكنهم لم يُقبلوا أبداً في انتزاع  
معلومات منهم، بمسبب ما ذكرته مصادر أمنية. وقال مسؤول عالي  
في مكتب التحقيق الفدرالي FBI: نحن في هذا للشأن منذ ٣٥  
يوماً ولكن لا أحد قد تكلم بعد. وأضاف: إنّ نفاذ صبرنا بدأ  
يُظهر. وقال أحد عملاء المكتب المحكّن العاملين في التحقيق  
«نحن معروفون بتعاملنا الإنساني [مع المعتقلين] ولذلك فإنّنا  
مكبلة... في العادة يكون ثمة حافز أو شيء نُفرض به أو نستطيع  
أن نلقه إليهم. ولكنّ قد تكلّف نقطة نُفرض بعدها إلى استخدام



صمّت زكريا الموسوي  
عند ١٧ أب حمل وزير  
العدل على منافسة  
احتمال استخدام  
التعذيب علناً

وكالة المخابرات المركزية الأميركية CIA ومكتب التحقيق الفدرالي FBI في أوائل سبتمبر، أي قبل الاعتداءات، من أن الموسوي كان على ارتباط بتنظيم القاعدة وأنه أجرى تدريبات على الطيران. ولكن التسميات أزعجت المحققين الأميركيين، جزئياً لأنها كانت محدودة جداً، بحسب أحد المسؤولين في مكتب التحقيق الفدرالي، مغبياً «ربما علينا أن نسلّمه [الموسوي] إليهم» لافداً إلى أن جهاز الأمن الفرنسي مشهور بتحقيقاته الحسنة.

غير أن التهديد بتسليم اللّهم إلى بلرم معروف بممارساته القاسية لا يُليد دائماً. ففي عام ١٩٩٧ رفض هاني عبد الرحيم الصايغ التعاون مع التحقيق الأميركي. والصايغ هو مواطن سعودي أوقف في كندا ونُقل إلى الولايات المتحدة بحسباً وعدّ بالكلام عن تجارب التكتين العسكريين الأميركيين في الضرب. فوهه مكتب التحقيق الفدرالي بإبعاده إلى السعودية حيث كان سيطلق عقوبة قطع الرأس، وفي ظلّ المكتب أن هذا التهديد سيمنعه إلى الاعتراف. ولكنه لحقّ الكذاب إلى باب داره، فخرج إلى السعودية، ولم يُشم، وهو الآن في السجن حياً يُرقى، على نحو ما قال أحد المسؤولين الحكوميين.

روبرت م. بليتز، وهو رئيس سابق لقسم مكافحة الإرهاب في مكتب التحقيق الفدرالي، ذكر أن شروشه بتخفيف الأحكام أفاقت فعلاً في الحصول على اعترافات، وذلك كلّ من أحمد رسام - الذي قُبض عليه وهو يُخلّ مطفئاً راتر إلى أميركا لاستخدامها في اعتداءات لم تُحدث فعلاً في احتفالات الألفية - وعلى محمد، أحد الأعضاء السابقين في فرقة القُبعات الخضر في الجيش الأميركي، الذي أقرّ بضمومه في تجسّبات السفارتيين [الأميركيين في كينيا وقانزانيا] عام ١٩٩٨ وقدم معلومات قيّمة عن تنظيم القاعدة. وقد أعيد توظيف عضوي

الفدرالي، ومؤخراً قال أحد المحققين الرئيسيين في المكتب المذكور، وهو يُشكك خلفيّة في مكافحة الإرهاب، «إنك لا تستطيع أن تمارس التعذيب، ولا تستطيع أن تُخضع المشتبه بهم الآن لخضرات [تدفعهم إلى الاعتراف]، وهناك منطقي وبسيّء يدافع إنسانيّ لذلك». ثم أضاف «غير أنك قد تُلجّ نقطة تُسمّى [السلطات] لكّ عندها بأن تُخلّق المرء بالخضرات... ولكنّي لا اعتقد أن هذه البلاد ستُمتّع بالتعذيب أو الضرب أبداً». وأدرك أن هناك فرقاً بين استخدام «مخدرات الحقيقة»، مثل بنتويل الصوديوم، «من أجل استخراج معلومات حاسمة في مواجهة الكارثة من جهة، وضرب المرء حتى يُلقّد وعيه من جهة ثانية». وقال: «إذا حصل مجرم كبير آخر على أرض الولايات المتحدة فقد يُسمّى الجمهور الأميركي [بإستخدام المخدرات]. صحيح أن المخدرات قد تُفسد محاكمة ما، ولكن قد تكون النتيجة هزائفة».

بل إنّ هناك بعض الأشخاص ممن يدافعون بحزم عن المهرّات المذبذبة «مفتنون» الضغوط النامية. قال دانييل كول، وهو بروفيسور في المركز القانوني في جامعة جورج تاون، وكان قد استُخصل على إطلاق سراح شريكين من الشرق الأوسط بعد أن اعتقلوا سنواً استناداً إلى معلومات سرية [خلافًا للقانون]، «إنّ استخدام العنف في الأزمة الحالية» من أجل انتزاع للمعلومات أمر قد يحصل في حالات يُعتقد فيها المحققون أن المشتبه بهم يُمكن معلوماتهم عن هجوم قادم. وتابع بقوله: «إذا كانت هناك قنبلة تعلق على وشك الانفجار» فلن يكون الأمر سهلاً، بل سيكون أمراً صعباً».

ومؤخراً كتب كينيث و. ستار، وهو محام مستقل أثناء حكم إدارة كلينتون، أن المحكمة العليا ميّزت قضايا الإرهاب عن قضايا تكون للتهديدات فيها أقل. ولاحظ أن خمسة قضايا في إحدى قضايا الترحيل الأخيرة اعترفوا بأنّ الضرر الحقيقي، الذي يسببه الإرهاب يُطلب «مراجعة مضاعفة لأحكام الفرع السياسي في ما يخصّ أمن الأمن القومي».

وقال النائب العام السابق ريتشارد ل. ثورنبرغ «نحن نشكّك على الإجراءات القانونية المزعومة، وهذا أحياناً يُفقدنا». وأضاف أنّه في أعقاب ١١ أيلول «قد لا تكون الدلائل المسموح بها قانونياً في المحكمة في الملء». واستمطاعة الولايات المتحدة أن تقارن بحثها حالياً عن المعلومات بالسياسات الوحشية التي استُخدمتها زمن الحرب [الحالية الثانية] من أجل جمع المعلومات الاستخباريّة في الخارج، بل تلك التي استُخدمتها القوات الأميركية ضدّ السجناء أثناء الأعمال للحريّة.

تسليم الموسوي إلى فرنسا أو المغرب احتمالاً وارد، كما قال أحد المسؤولين الأثنيين وسارعت الاستخبارات الفرنسية إلى تسريب أخبار إلى الصحفيين في باريس مغاباً أنّها كانت قد حثّرت

• Truth serum: مادة مخدرة تُدفع للّهم إلى الزفرة. (م)

«كلُّ ما في كياني يتَّهرُ التعذيب» قال بليتز، «ومن المرجَّح أنَّ ستَّقبُض على الشخص الخطأ، وقد تدخَّره أو نقلته». وفي نهاية المطاف، كما يتَّابع قائلاً، لا بدَّ أن تكون هناك وسيلة أخرى.

«القاعدة» السابقين مدَّين مع مائلتيهما في الولايات المتحدة بحسب «برنامج حماية للشهود» وأعطيا أموالاً أو قروضاً لإعادة بناء حياتهما.

## أينبغي أن يُستخدم التعذيب في الولايات المتحدة؟ ولكنه يُستخدم هنا أصلاً

الكزنדר كوكبرن

# Peerless Handcuff Company

## Setting the Standard Since 1914

هذه الأصابع المصنوعة في الولايات المتحدة هي التي استُخدمت في سجون أميركية، وفي سجون الخيام، وفي سجون أخرى

ما زالت مسألة التعذيب مغيَّبة على الأجواء منذ شهر أو نحوه، خانقة كسمحية في سماء لندن القرن التاسع عشر. تصلَّح مجلة نيوزويك عدد رقم ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) وستري جوناثان ألتر يعلِّق بموضوع الساعة الساخن ألا وهو: أيُّ ينبغي على مكتب التحقيق الفدرالي FBI أن يعذب المعندين المشتبه بقيامهم باعتداءات ١١ أيلول، هنا، في سجن المكتب في الولايات المتحدة؟ وكانت نبرة ألتر فكهة إلى حدِّ ما، كما في قوله «ألا نستطيع على الأقلَّ أن نُخضعهم للتعذيب نفسياً، كان تُسمَّعهم شرائط لارانبُ تموت أو لموسيقى راب عالية الديسيبلات؟»

ويصل ألتر، كما هو حال الأميركيين غالباً حين يواجهون معضلةً غير مفر، إلى الحلِّ الأميركي المعتاد، وهو إحالة المهمة على طرف ثالث: «علينا أن نفكر بنقل بعض المشتبه بهم إلى حلفائنا الذين يقتلون [عنا] إحساساً بالاحتشام والغرف.»

المعش في تعليق ألتر وغيره من الذين يكتبون بالأسلوب نفسه هو ابتعادهم عن الواقع، وكائن التعذيب أمرٌ وسخ إلى حدِّ لا يقبل الجدل، حتى ليُفترض أن يُراد أيُّ معطيات عنه. وكان يُفترض أن يكون الحديث عن التعذيب باستهتارٍ أمراً صعباً، غير أنَّ ألتر يُجج في ذلك!

أينكون يقصد المرء أن يُفهر من تعليق ألتر أنَّ التعذيب غير قانوني بحسب المواثيق الدولية؟ لا، إنَّ يُفهر، بل سيُفترض أنَّ ألتر

أنتُكرين «الدرجة الثالثة» كانت هي الطريقة المألوفة التي استُخدمها عددٌ كبيرٌ من دوائر الشرطة في أميركا لانتزاع الاعترافات من المشتبه بقيامهم بعمل إجرامي. وقد تقلَّصت هذه الممارسة إلى حدِّ كبير بعد صدور تقرير وكرشام عام ١٩٣١ الذي أهدته «اللجنة الوطنية لرأية القانون وتطبيقه»، وفيه وجدت أنَّ «الدرجة الثالثة» - أيَّ إنزال الألف الجسدي والمعتلي بالمُتهم من أجل انتزاع الاعترافات أو التصاريح - كانت «منتشرة على امتداد الولايات المتحدة وضاربة جديراً في شيكاغو».

تتراوح الوسائل التي يصفها التقرير «بين الضرب وأشكال أقسى من التعذيب. وأما الأشكال الأشيع فهي الضرب بالقبضات أو بالآء ماء، ولاسيما يخرطون المياه المطاطي، تسبب الألم دون أن تخلف على الأرجح أثراً دائماً واضحاً للمعان... وغالباً ما تهتد السلطات بالحاق الآلى الجسدي بالمُتهم... وهدت إلى حدِّ تحصيل الاعترافات بقوة المسنن» - وَجَّهت الدرجة الثالثة، علاوة على ذلك، أنَّ ممارسة الشرطة للتعذيب في الولايات المتحدة مستهتلة في طبيعتها ومدماة، ومنتوكة للتقاليد والمؤسسات الأميركية. ويجب ألاَّ يُستخ بها.»

وهكذا أخذت الدرجة الثالثة الطريق أمام «عصافير» السجن [المحترفين الواشين]، وأمام جيلا أخرى نمتها الشرطة لإحكام موقفها إزاء القانون.



كان يحكمه مُعْثَمُها جيشُ لبنان الجنوبي، زار الصحفي روبرت فيمك سجنَ الخيام، وهو يبدأ تقريره في جريدة *الإنديبننت* في ٢٥ أيار (مايو) ٢٠٠٠ على النحو التالي:

لقد غادر المعتبِّون للتر، لكنَّ الرِّبعَ استمرَّ. فمُثَمَّةُ المُعْثُودِ الذي كانوا يُجَلِّدون به، وقضبانُ النوافذ التي كان يُرْبِطُ السجَّاءُ إليها عِراءَ طوال أيام، ورومي الماءِ المُلْحَجُّ عليهم ليلاً. وكانت هناك أيضاً أسلاكُ التوصيل الكهربائيَّةُ الخاصَّةُ بالدينامو الصغِير - وهو الجهاز الذي نُكِّلَه المُحقِّقون إلى إسرائيل، والحمد لله، وكان يُذمُّع بالسجَّاء إلى أن يُزْعِفُوا وجعاً حين تُلمَسُ الإلكترونياتُ (القطابُ الكهربائيَّةُ) أعضائهم أو أعضائهم التناسليَّة.

وكانت هناك الأصفاد، التي إصْطَلَحَ بِهَا أحدُ السجَّاء السابقين البارحة بعد الظهور. وعلى فِولاذ الأصفاد كانت الكلماتُ التالية مسفُورة، *The Peerless Handcuff Co. Springfield, Mass. Made in USA* <sup>(١)</sup> وتسالحتُ من داخل أكثرَ سجون إسرائيل خُرْباً، ما إذا كان المُتَّراءُ هناك في سِبرينغفيلد في أميركا يُثَرِّون ماذا يُعلِّون حين يباعوا هذه الأصفاد؟

إنَّ بيعتُ تلك الأصفادُ هذه الأيام إلى للتعاقِدِ الفرعيّ [الفرنسي، العربيّ]... الذي يُخْصَّارُه مكتبُ التحقيق الفدراليّ، فسيتعلَّم أصحابُ الشركة على الأقلَّ أنْ لديهم جِوئنان التريليفسُتر، «الأخلاقيَّةُ الوطنيَّة» لبيعتهم الأساسيّة.

غير أنَّ التمر على الأقلَّ ليس إلا مُتخفٍ بلاط. ولكنَّ خطابَ وزارة العدل الأميركيَّة في الوقتِ الحاضرِ لو تسبَّح «أخلاقيّ» «أرفع» فمُخَرَّراً قالَ الكاتبُ العام الأميركيّ جون أشكرويت [المُذمَّمُ البرامج التلفزيونيّة] قدَّ كويل: «لا نريد لأحد أن يُخْصَّعَ للاستجواب الذي قد يُلْتمَسُ حقوقيّ». وأُعيِنَ بذلك أننا لا نريد أن نُلْتَزِعَ أي نوعٍ من الاعتراف. لا نُؤمِّنُ أن الاعترافات المنتزعة يُمكنُ الاضْماءُ عليها... ونحن لا نندوِّطُ في مثل هذه الممارسات. بل الحقُّ اثْنَي لو غُلِيتُ أو... مثلُ هذه الممارسات قد تُمَتَّ - وليس لي عِلْمٌ بذلك أبداً - فسلكون حزيناً جداً، وسأُخذُ الإجراءات اللازمة»

يَكُنْ هذا الأمرُ غيرَ أساسيٍّ. أوْوَكون بمقدور المرء أن يعرف أنَّ الولايات المتحدة نَبِئتُ في السنوات الأخيرة، ومن قِبل الأمم المتحدة ومنظَّمات حقوق الإنسان مثل «هيومان رايتس واتش»، بالسماح بممارسة التعذيب في سجون داخل بعض الولايات عبر أساليب تُراوِج بين السجن الاتفرادي ٢٣ ساعة يومياً داخل حلب من الإسمِنتِ وعلى امتداد سُنَّوارِهاكلِها، ولِخْصامِ المُتَّهم لصدمات كهربائيَّة بِقوَّة ٥٠ ألف فولت تأتيه من حزام يُجَبَّرُ على ارتدائها! <sup>١٩٩</sup>

يعبِّرُ التمر عن إشارته استخدام «مُخْصَّرات الحقيقة»، وهو حماسُ مُضامِرُهُ إِيَّاه البحريَّةُ الأميركيَّةُ بعد الحرب على هنغار، حين هذا مُضْطَّاطٌ مُضامِرَاتُها حُدُوْ التكتُّور كوريت بولتير في بحثه عن «مُخْصَّرات الحقيقة» truth serum في دُخاؤ.

وكان بولتير قد أصلى السجَّاء اليهود الروس جرعاوَر قوِيَّة من «المسكاليين»، ثم راقبَ تصرُّفاتهم التي عبَّروا فيها عن كراهيتهم لِحُرَّاسهم وأُثْروا بِتصرُّومات اعترفوا فيها بتكوينهم النفسيّ. واستنَّيَّ مكتبُ الخدمات الاستراتيجيّة OSS اهتمامَ البحريَّة بتلك المُخْصَّرات، فطوَّرَ «مُخْصَّرات الحقيقة» خاصَّةً به مستندة إلى كلوريد الثوروم، وذلك في مخبراته في مستشفى سانت البرايت. وجُرِّبَ هذا المُخْصَّرُ كَوْنُ نجاح على العلماء العاملين في «مشروع مانهاتن». إبدأً بالتعذيب، وسيُستَهلَّ أن تُجَرِّبَ فيه. فالتعذيب يدُمُّ المُعْصَّب، ويُؤسِّدُ المجتمع الذي يُجَبِّره. ماذا عن إسرائيل التي أَمَرَتْ رسمياً بوقف التعذيب عام ١٩٩٩؟ الحقُّ أنَّ الإسرائيليَّين مازالوا يمارسون التعذيب. ففي تموز (يوليه) نقلتُ وكالةَ الأسوشياتد برس وجريدته **بالفيديو** صَوتَ اتهامات رُوِّجَتْها منظمة «بيتسالم» الإسرائيليَّة المعنيَّة بحقوق الإنسان إلى الشرطة الإسرائيليَّة بالقيام بـ «تعذيب ضامِر» على شِبَّان فلسطينيَّين لا يتجاوزون الرابعة عشرة من عمرهم ضُربوا بِشِدَّةٍ وتُذمَّتُ رؤوسهم في المراحضِ وعلمجُرَّ. لكنَّ إسرائيل عقدتُ عقداً فرعيّاً [مع طرف ثالث] هي الأخرى. لحين اتسبَّحتُ أخيراً من «مزمها الأمني» في جنوبيّ لبنان الذي

١ - بالعربيَّة «شركة الأصفاد التي لا مثيل لها، سِبرينغفيلد، ولاية ماساتشوستس. سُمِّيتُ في الرِّبَّاتِ للتحدة الأميركيَّة» (م)

## ينصّ التعديل الرابع عشر على التالي:

... لن تُسنَّ أي ولاية أو تُفرض أي قانون يحدّ من امتيازات مواطني الولايات المتحدة أو حصاناتهم؛ ولا ستُحرّم أي ولاية أي شخص حياته أو حريته أو ممتلكاته دون الإجراءات القانونية المرعية؛ ولن تُحرّم أي إنسان ضمن ولايتها القضائية الحماية القانونية التي تساوي بين الناس...

## المسافرون يشعرون بالاحياز

## ضدهم

ستيفاني ستاوتن\*

الرئيسي لثلاث شركات طيران، أربع شكاوى. وفي كثير من هذه الحالات يبدو أنّ قادة الطائرات، بحسب ما ذكرت المنظمات اعلاماً، هم الذين يقولون الكلمة الفاصلة. وإذا كان هذا صحيحاً فإن خبراء الطيران ومسؤولي اتحاد قادة شركات الطائرات يقولون إنّ ذلك لا يُفهمهم. فقيادة الطائرات يُتّكّن منذ زمن طويل سلطة على متن الطائرات شبيهة بسلطة قباطة السفن. إذ بحسب قانون الطيران الفدرالي ٩١٠٣ يكون رُئُسا الطائرتين هو «المسؤول مباشرة عن إدارة هذه الطائرة، وهو السلطة النهائية من هذه الإدارة». وهذا القانون الاستثنائي المعروف بـ «سلطة رُئُسا الطائرة» يُسمح لقادة الطائرات أن يُفكّسوا أوامر موجّهة حركة سبّور الطائرات وشركات الطيران أيضاً. ويمقدورهم تحويل الطائرات عن وجهتها لوجود مسافرين سكارى، أو يُفكّس الإقلاع بسبب مشاكل فنية، أو تأخيرها بداعي فوات جُوع.

ولكن يبدو أنّ قادة الطائرات يصعدون من إجراءات قُصص المسافرين، ويُكرّس للمسافرين من الجنسيات المختلفة على الأبواب، بما يُثير أسئلة عمّا إذا لم يكونوا يمارسون التمييز لا العنصرية.

«القانون يقول لا تميّز»، يقول فيليب ج. كواسلزيكي وهو محامي طيران في كاليفورنيا. ولكنّ جميعاً الطيران الفدرالي تُركّز أنّ قائد الطائرة يُتّكّن للمسؤولية النهائية عن سلامة المسافرين. وبين هذين البيادئين يقع الشُّرك الذي ينامي فيه الناس لليوم.

في احسن الحالات يقدّ قادة الطائرات عند الدخول ليتحرّروا الناس، ويمسحون في الحُرّات لكي يُظنّوا إليهم عنيّاً لعين، ويوجّهون موظفي الطائرة ليقالوا الناس المؤثرون أين يعيشون وأين يعملون. وفي أكثر الحالات تفرّطاً يُفكّسون أن يسافروا برفقة مسافرين أو قادة طائرات مرافقين أو موظفين من جنسيات إثنائية

«القانون يقول لا تميّزوا»، يقول أحد محامي الطيران في كاليفورنيا. ولكنّ العرب والباكستانيين وبنغاليين بلدان أخرى يتعرّضون للتمييز العرقي والعنصري من قبل بعض قباطة الطائرات الأميركية والموظفين والمسافرين العاديين، ويشكل لم يسبق له مثيل «منذ أن ألغى التمييز العنصري بين السود والبيض في وسائل النقل العام والخاص».

فيما كان المسافرون يُركبون الضوابط الجوية للتحدة (يوناييتد إيرلاينز) رقم ٢٢٨ المسافرة من سان فرانسيسكو إلى فيلادلفيا في ٢٢ ايلول (سبتمبر)، كان رجلٌ أعمالٌ باكستاني يجلس في قاعة الانتظار متدهلاً ومرتجلاً.

فاحسان بايغ كان قد اشترى تذكرة سفر ذهاباً وإياباً لزيارة عائلته. غير أنّ ممثلاً لشركة يوناييتد أخبره أنّ الرئان لا يروده على متن الطائرة لأنّ أحد اعضاء طاقم الطائرة لاحظ حديثاً مشبهاً بدين بين بايغ ومسافرٍ آخر.

هذا الاتهام لأهل بايغ. وهو يقول إنّهُ يَتَلَّ جهداً منظمّاً للتصريف بشكل طبيعي في المطار تلك اليوم مخافة أن يُفكّس لأهّام جزئي لكونه باكستانياً. وقد سألَ آنذاك: «تستطيع من فضلك أن تُعرّف ما هو الحديث المشبه»؟

قصة بايغ تبدو مألوفة اليوم. فمنذ اعتداءات ١١ ايلول الإرهابية تلقّت اللجنة الأميركية العربية لمكافحة التمييز ٢٦ شكاوى من أناس يتحدّثون من اصول عربية أو خلفاء إثنائية أخرى أُجبروا على مغادرة الطائرات أو مُنّوا من ركوبها أصلاً. وقد «مجلس» العلاقات الأميركية - الإسلامية ٢٠ حالة أخرى. كما تلقى «الأصحاء الأميركيين للحريات الدينية في تكساس، وهو المقرّ

\* - نشر مقالها في جريدة بوسطن غلوب في ٢٠٠١/١١/١١.

صعد حليبي ومراقبته إلى طائرة أخرى. وعند عودته إلى مطار واشنطن دالاس بعد أيام قليلة قال إن حراساً أوقفوه وسأله عن بطاقة تعريفك بما عن نفسه بناءً على توصية من أحد ضباطه يواس. ايروايز. وقد شرحت إحدى معلمات هذه الشركة في رسالة إلى حليبي أن القبطان قرّر أن ينحبه هو وصديقه جانبا بعد أن سمع تقريراً يفيد بأن للرحاض لم يستعمل. كما أمر القبطان «بإفراغ للرحاض والتحقّق منه» على نحو ما كتبت تلك الملاحظة.

وفي فرانسنيسكو قام موظفو شركة ثورث وست بتجنبة إرشاد شوهووي في ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر)، وأبلغوه أنّ القبطان لاحظ شيئاً بين اسمه واسم أحد الإيرمايين المُشبه بهم لثمة مكتب التحقيق الفدرالي. ولّد شرع شوهووي الذي يزن أقل من ٦٠ كيلوغراماً بالارتباك من تحقيقات المسافرين، وبالنسبة من عملاء مكتب التحقيق الفدرالي ورجال البوليس وموظفي أمن المطار وهم يتولّون عليه. دُعيّ بديهي المرتجعتين إلى جيبه. «لقد كان الناس يتنظرون إليّ، ويتولّون عليّ ويهضمون». قال شوهووي وهو طالب في إدارة الأعمال في جامعة كارنغي مكن في بنسلفانيا، مضيفاً «لم أشعر كذلك من قبل».

ما حدث بعد ذلك أخبط المجموعات المطالبة بالمطابق المنيّة. فبعد أن سمعته له السلطات الأنثوية بركوب الطائرة، عادت شركة الطيران ثورث وست فتمتعت من السفر!

ناطقة باسم شركة الطيران قالت إنه ليس واضحاً من أيّ أحد للقرار النهائي بذلك. «وقد يكون نتيجة» لتوافق بين الطاقم وبيئة الشركة على الأرض. وقالت إنه بعد ذلك حُجّر لشوهووي على متن رحلة إسبقي زمنيّاً لكي يشعّر المسافرين وشوهووي نفسه برحلة اكبر!

غير أنّ المشكلة ليست مقصورة على المسافرين. فقد وَجّه القباطنة والمعاملون على الطائرة أنفسهم إذا كانوا من أصول شرقاً وسطية معنوهين من السفر أحياناً. قال قبطان أميركي من أصل عربيّ حين أخبر في أيلول أنّ بعض زملاء له لم يريدوا أن يسافروا معه: «محرّضون كثيراً لأنّ رفاقي في العمل لا يُقبلون حقاً. وليس الأمر ذلك فحسب، بل إنّ عليّ أن أسافر معهم من جديد». وقد طلب القبطان ألاّ يُذكر اسمه لأنه يخاف من أن يُحرّض من عمله فيعجز عن إيجاد وظيفة أخرى.

بعض المسافرين، أمثال محمد ببيضون، لم يقدّم لهم أيّ تفسير لأنهم من السفر. فيبيضون، وهو طالب أميركي من أصل لبنانيّ ويُدّرس في جامعة دارتموث، أخبر في روما أنّ قائد طائرة للخطوط الجوية الأميركية (أميركا ايرلاينز) لا يريد على متن الرحلة المسافرة إلى شيكاغو في ١٩ أيلول (سبتمبر). وذكّر ببيضون الذي كان يُدرس في لبنان أنّ حقايقته قُطعت وأُخضعت لأشعة أكس، وبعد ذلك أثار موظفو المطار قلقهم من كتب ليبيضون

متمعدّة. وقال بعض قادة الطائرات إنهم صاروا أكثر يقظة بسبب تحفّظاتهم إزاء إجراءات الأمن التي تتخذها المطارات وشركات الطيران والوكالات الفدرالية وعلاوة على ذلك، كما يقولون، فإنّ أرباب علمهم لم يُعطهم إلاّ إرشادات قليلة عن كيفية التصرف في أوضاع قد تُعتبر تمييزية. يقول نيكولاس رايدر، وهو قائد طائرة طلب ألاّ يُذكر اسم الشركة التي يُعمل لها، «إنهم يُؤسّلون إلينا مذكرات تقول إنّ الشركة لن تُشتمل أيّ تمييز على أساس العرق أو اللون أو المُعتقد... وبالنسبة، نتوقع أن تُصدّروا حكمًا على أساس التصرّفات» وتابع «ولكن ماذا يُفسّدون بالتصرّفات»

في إحدى الرحلات قال رايدر إنه شعر بالارتجاج بعد أن صعد إلى طائرته أربعة رجال بدو من أصول شرقاً وسطية. أحدهم لم يكن يُنظر إليه عيلاً لعين. وآخر على قميصه ما يفيد بأنه عضو في طائفة الطائرة. وثمة رجلان يتبادلان المقاعد. من لثمة للمسافرين عرف رايدر أن أحدهم اسمه عمر.

ووجه رايدر بالمقايمة حين طلب من أحد موظفي الطائرة أن يُتّزع معلومات من هؤلاء المسافرين. واكتشف موظف ثانٍ أنّ الرجال اللعنين فنزويليون من عمّال الطائرة. بعض اصعدوا رايدر جفلاً بعد سماعهم بتصرّفات. ولكنّه قال «أولئك الذين يتولّون أنثي غريب» التصرّفات ليس عليهم أن يتخذوا هذه القرارات.

بوب ويتنبر، رئيس «ايرقران» والموظف في اتحاد الطيران، هو الآن - شأنه شأن رايدر - أكثر تنبهاً حيال من يركب طائرته. ففي إحدى الرحلات الشهر الماضي قال إنه تمسّى بشكل طبيعيّ بين الكراسي ليتنظر إلى أحد المسافرين بعد أن لاحظ واحد من الموظفين عند باب الطائرة اسمه لتسليم. لكنّه كان سيّداً قريب إلى الكهولة. قال ويتنبر، ولم يبدُ أنّه يشك أيّ تهديد.

غير أنّ الحمايين المختصين بالمطوق المنيّة، والمجموعات الأميركية من أصل عربيّ، تقول إنّ هناك فروقا شاسعة في كيفية تعريف القباطنة والطاقم للتصرّفات «للمشبهة». فقد ذكر جوشوا إسلام، وهو منسق الحقوق المدنية لمجلس العلاقات الأميركية - الإسلامية في واشنطن، «أننا لم نجد حالة تُشتمل على التمييز لأسباب مشروعة. إنّه جوّ رهيب هنا فحسب».

حدّ تجريبية بشأن حليبي في رحلة على متن طيران الولايات المتحدة (يو. اس. ايروايز) في ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) من مطار واشنطن دالاس للدواي. فمهندس الطيران هذا، البالغ من العمر ٤٤ عاماً، وهو أميركي من أصل سوريّ، قال إنّ موظفاً في شركة الطيران طلب منه ومن صديقه أن يفسدوا الطائرات التي لم تنكّر قد أُلغيت بعد. وبعد أن أوقفوا قبل لهما إنّ الرّيان لا يريد أن يعمدوا إلى الطائرة. حين طلب حليبي تفسيراً لذلك أخبر أنّ أحد العاملين في الطائرة يُعتقد أنّه وصديقه يتصرّفان على نحو مشبوه، وأنهما استخدما مرحاض الطائرة، مع أنّ ذلك العامل لم يُسمح حليبي يشد «السيفون».

في الشهر الماضي، مَسَّهَا الولايات المتحدة بانتهاك القوانين العنصرية للتحقيق في ولاية كاليفورنيا، أمَّا شركة بوينغ فقد رفضت التعليق على اللُيْلِ.

مكتب أوبز للحماسة يَظُنُّ في تقديم دعوى ضدَّ خطوط هيران نورث وست، ويوناييتد، وأميركان. وهناك مكتب حماسة آخر يأمل في الحديث مع نورث وست بصدد حادثة تتعلّق بثلاثة أميركيّين من أصل عراقيّ من مدينة سالت لايك. والحقُّ أن أيَّ خطوط جويّة أميركيّة كبيرة لم تتنح منذ ١١ أيلول من الأُتْهَامَاتِ بممارسة التمييز. ولكنَّ أخصائيّ الطيران وموظفي الاتحاد يقولون إنَّه سيكون من الصعب تحدّي التقاليد التي تعطي سلطَةً نهائيّة للقبطان «كلَّ يوم يَتَّخِذُ القبطانة قرارات لا تُثَلِّكُ التَّحْثِيَّاتُ إجابات حاسمة عنها». قال جون مايزور، وهو ناطق باسم «رابطة قباطنة الجوّ» ومع أنَّ العرب الأميركيّين والأميركيّين المتحدّين من أصل لاتينيّ والأميركيّين من أصل إفريقيّ شكوا في الماضي من التمييز الذي يمارسُ ضدهم في مطارات الولايات المتحدة وعلى متن الخطوط الجويّة، فإنَّ شيئاً ما حدث آنذاك لا تُثَكِّنُ مقارنته بما يحدث الآن في الولايات المتحدة، وذلك بحسب مسؤولين في حركة الحقوق المدنية.

«إنَّها أمور تُحدِثُ في طول البلاد وعرضها»، يقول ويليام هارل المدير التنفيذي للأُتْهَامَاتِ الأميركيّة للحريّات المدنية في تكساس، مفسّحاً أنَّ الدُورَ الأخرى للأُتْهَامَاتِ في بَقِيَّةِ الولايات تُجْمَعُ شكواي المسافرين. ويَظُنُّ بالمثل ولم يحصل أن كان ثمة تكاثُر في الأحداث [التمييزيّة] كما يحصل اليوم. منذ أن ألغى التمييز العنصريّ بين السود والبيض في وسائل النقل العامّ والخاصّة في الولايات المتحدة.

مكتوبة بالعربيّة. «لقد قلّت الخُطَطُ المطار في روما إنَّي أميركيّ» قال بيضون.

ليس من الواضح دائماً مَنْ يقرّر طرّة مسافريّ من الطائفة. في سبائِلِ تجرّ موظفو المطار إذ رأوا أحد قباطنة شركة نورث وست يَستَمِعُ لمجموعة من الرجال العرب بالطيران، في حين غادرت طائرةٌ أخرى تابعة للشركة نفسها من دون بَقِيَّةِ أفراد البقعة العربيّة. وقال موظفو المطار إنّ الرجال الثلاثة والعشرين لحُجُوزاً في ١٣ تشرين الأوّل (أكتوبر) في الوقت الذي فَصَّصَ فيه عملاء مكتب التحقيق الفدراليّ وسلطات أخرى ممتلكاتهم وشهاداتهم.

إحدى الناطقات لم تُكَلِّمْ متبيّنةً من ضلوع القباطنة بالقرارات، ولكنّها لاحظت أنَّ أحد الرجال العرب في الرحلة رقم ٥٠ المُتَّجِهَةِ إلى باريس - وهي الطائرة التي غادرت من دون الزوّار - كانت لديه حفظة أو شُطْطَة ثانية لم يكن بالإمكان فتحها. وغادرت رحلة رقم ٢٤ إلى امستردام وعلى متنها فريق الزوّار العرب، ولكن من دون ستة مسافرين وتُضَوُّ الطيران معهم، بحسب قول كاثي بيش وهي الناطقة باسم شركة نورث وست.

وعلى الرُغم من الإعلان عن مجموعة من الحالات الضميمة فإنَّ المجموعات العربيّة الأميركيّة ومجموعات الحقوق المدنية تُخَشُّ من أن يكون ما أُعلن عنه أقلَّ مما حَتَّ حقاً. «إنَّنا نرى للتّو رأس جبل الثلج بحسب»، تقول كريستي لوبز، وهي محامية تُعَمَلُ لصالح «كلّنا وشركائهم»، وهو مكتب حماسة في واشنطن مختصٌّ بالحقوق المدنية. «في كلِّ مرّة يكون فيها تصديقٌ أمّنيّ جديد أو يحدث أيّ أمر سلبيّ في العالم سيحدث أُنْهَامٌ جديد [لِهذه الحالات]».

في الوقت الحاضر تُوجَّهُ التَّحْثِيَّاتُ في المساكم إلى الخطوط الجويّة وقادة الطائرات. وقد حَتَّلَ إحصان بائع شكواه إلى المحكمة

## رجال من الشرق الأوسط يطلبون «المقابلة»

دايفيد رانك

تُثَلِّمُ السلطات في إجراء مقابلات «بقلل ما يمكن من التخلُّط» مع مئات من الرجال المتحدّين من الشرق الأوسط والقاطنين في ولاية ميشيغان، وذلك في إطار تحقيق حول الإرهاب تقوم به السلطات الفدراليّة. على ما قاله للوكيل الأميركيّ جيفري كولينز في ٢٥ تشرين الثاني.

وقد بُعثت رسائل إلى ٥٠ شخصاً في القسم الشرقيّ من الولاية المذكورة، بمن فيهم أكثر من ٢٠٠ في نيويورك، وما بين ٧٠ إلى ٨٠ في آن آربر، و٣٥ في ديترويت، بحسب كولينز. والجدير

♦ - عن الأسوشيتد برس، ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠١.



بوش واتشكوفت يطلبان من الأميركيّين العرب أن يتعاونوا مع مكتب التحقيق الفدراليّ

إجرائها، لأن الأشخاص الذين سُجِّروا معهم ليسوا متَّهمين بارتكاب جرائم ويعتقد دعاة الحريات المدنية أيضاً أنَّ اللائحة ترقى إلى التمييز العرقيّ racial profiling. وقد رفضت دائرة شرطة واحدة على الأقل، في بورتلاند (أوريغون)، التعامل مع هذه الجهود، قائلةً أنَّ قانون الولاية يُمَنِّع الشرطة من استجواب مَنْ ليس مشتبهاً به.

الأشخاص الذين سُجِّروا معهم للمقابلات هم رجالٌ تتراوح أعمارهم بين الثامنة عشرة والثالثة والثلاثين، ويُحْمَلون لتأثيرات دخولهم إلى الولايات المتحدة سياحيَّة أو دراسيَّة أو لغير الهجرة أو للعمل، وذلك ابتداءً من ١ كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٠. ويُتَوَقَّع أن يواجهوا مجموعةً مختلطةً من الأسئلة. وقد رسمت مذكرةٌ صدرت مؤخراً عن وزارة العدل، وموجهةً إلى مكاتب النواب العاملين في الولايات المتحدة والقوات المعادية للإرهاب داخل كل ولاية، مخططاً تمهيدياً للأسئلة التي سيوجهها المحققون إلى الرجال المذكورين وتُطالب المذكراتُ من المحققين أن يسألوا المحقَّق معه إن كان يُعرف مَنْ سَيَقِىَ أن اشترك في حرب، أو اشترك بـ «طريقة غريبة وغير ملائمة» حيال اعتداءات ١١ أيلول، أو اشترك في أعمال إرهابية، أو يُدَّعى في تنفيذ اعتداءات إرهابية، أو يُمكن أن يُحصل على بياض أو مدفوعات أو أسلحة كيميائية أو بيولوجية.

والحق، إنهم شرٌّ، عرقٌ شديرو، ويجب مراقبتهم ليلاً نهار. الآن نحن لا نقول أنَّ لا حقَّ لديهم في أن يكونوا هنا؛ كلُّ ما نقوله إنَّه إذا كان لهم الحقُّ في أن يكونوا هنا فليس لنا الحقُّ في أن نراقبهم وأن نعطيه «علقة» بين الحين والآخر لمجرم أن نقيمهم صادقين.

بالذكر أنَّ ميشيغان تضمُّ واحدة من أكبر الجاليات العربية - الأميركية في البلاد، وتُقدَّر حوالي ٢٥٠ ألفاً معظمهم في منطقة ديترويت.

ويُطلب من مطفي الرسائل أن يتصلوا بمكتب كولينز بحلول ٤ كانون الأول (ديسمبر) من أجل تصديق مكان عقد المقابلات وزمانها. وتضمن الرسالة على التالي: «لا سبب لدينا لكي نعتقد أنك، لأي سبب كان، ضالغ في النشاطات الإرهابية. ومع ذلك فقد نَعرِف شيئاً قد يكون مفيداً لجهودنا [١]»

وقال كولينز إنَّ بمقدور مَنْ تُجرى معهم المقابلات أن يكونوا في حضور الموكلين، ويُرجَّح أن يكون حاضراً أيضاً عميلٌ فدراليٌّ وعناصرٌ أمنيٌّ محليٌّ. ويمكن التوجهون للفريقين متوافرين عند الضرورة. وتوصف المقابلات بـ «الاختيارية».

وتذكر ويليام دواير، رئيس الشرطة في فارمينغتون هيلز ورئيس جمعية رؤساء الشرطة في ميشيغان، «أننا شركاء في ذلك مع السلطات الفدرالية». وتُعتقد أنَّه من المهم جداً أن تُعمل السلطات المحلية مع السلطات الفدرالية.

هذه المقابلات هي جزء من مسمى أميركيٍّ شامل للاتصال بالكثر من خمسة آلاف زائر من بلدان الشرق الأوسط، ولتقرير ما إذا كانوا قد تمَّ تجنيدهم لحساب تنظيم القاعدة التابع لأسامة بن لادن. هذا، ولقد انتقد دعاة الحريات المدنية للمقابلات المزمع

## العربي الذي يعيش في حيِّكَ

في ما يلي مقابلة تُنْضِج بالتسميز ضدَّ العرب والمسلمين، ولم يلق صاحبها أي «استجواب» لاحظ، أيها القارئ، أيضاً فهمه لحرية الاختيار!

لقد سبق أن رأيته. أنت تَظنُّ ذلك، ذلك الرجل. بشرته أذكُر من معظمنا. وهو دائماً يبدو كأنَّ معه شيئاً يَحْبِئُه. دائماً يُلقى ابواباً. الله أعلم بما يُفعل حقاً حين «يُصلي». سمعتُ أنَّ كلَّ هذا المسجد نظامٌ شيفرات لا يُفهمه إلا «الجهاديين». يُقني، نحن لسنا عنصريين. من حقِّ الناس أن يكونوا أيَّ عرق يريدهون أن يكونوه ماداموا لا يُقسمون وحبَّتنا فيه. هؤلاء الناس مع عماماتهم، ونحن لا يرتدون العمامات؛ يحاربون أن يخبئوا حقيقة أنهم يرتدون العمامات، لأنَّ ذلك هو العربيّ [خشاش]. وهذا، يا ناس، ليس ما نقوله نحن فقط بل اللِّم. إقرأ إنجيلك، هذا ما يقوله، تماماً في ذلك القسم حول النار والغضب الإلهي

## مجتمع منفتح ومتعدد؟ رسائل عبر الانترنت



أسعد أبو خليل: رحلُ الله است مع الغالبية

من روبرت د. كاتلن، الأحد ١٤ تشرين الأول ٢٠٠١، الساعة ١٠:٥٩ صباحاً  
عزيزي السيد أسعد أبو خليل،

لقد سمعتُ للتو على محطة فوكس. أنت خنزير مثي... ونُبهي ان  
تُطع حنجرتك، وتلمس جثتك بدهن لحم الخنزير، ثم تُلطم وتُطع  
للخنازير والشيء نفسه يجب أن يحدث لكل فرد في عائلتك. لماذا  
لا تتوقف عن أن تكون عائلة [طلياناً] على الولايات المتحدة، فتزحف  
عائداً وتلتصق بعائلتك أيًا يكن بيت الكلاب الذي انزلت منه؟

من دان. كويل، الأحد ١٤ تشرين الأول ٢٠٠١، الساعة ١١:٣١ صباحاً  
عزيزي د. أبو خليل،

لقد شاهدتك على أخبار فوكس أردت فقط أن أقول إنك حين تقول  
إن القوات الجوية الأميركية تستهدف المدنيين، تُقدّم مسداتك في  
أي نقاط صحفية أخرى قد تُشككها. عليك أن تكون حذراً كأكاديمي  
في استخدام الكلمات بدقة. إن «استهداف المدنيين» يعني أن النية  
الأساسية هي قتل هؤلاء المدنيين. وكلمات أخرى، هذا يعني أن  
القوات الجوية ستسكن أسعداً إن سقطت القنابل حيث يوجد بشر،  
مما لو كان هؤلاء قد غابوا المكان. لو كنت أكاديمياً جدياً بدلاً من  
دعائي لما كنت أسأت هذا استخدام فعل «تستهدف».

من جيف تشنر، الأحد ١٤ تشرين الأول ٢٠٠١، الساعة ٨:٣٣ مساءً  
د. أبو خليل،

شاهدتك للتو على محطة أخبار فوكس. لم أخطُ بقاعدة قراة كتبك،  
ولذا لن أستطيع أن أحكم إلا بناءً على تصريحاتك. من الواضح  
أنك لا تملك أي فهم للجهود الحربية التي تقوم به بلادنا حالياً.  
يرجعني أنك تُضلل بتعليم أجيالنا الشباب. رجاءً تفحص علينا  
جيمناً، واستقل.

من هـ. ت. بيتشغري، الأحد ١٤ تشرين الأول ٢٠٠١، الساعة ١٢:٤٧ من  
بعد الظهر

أردت فقط أن أريكم لكم بملاحظة صغيرة أخبركم فيها أنني شاهدتُ  
مقابلتك اليوم على أخبار فوكس. يعني، أنت لا يحق لك نقد حكومتنا  
بسبب أفعالها في هذه الحرب ولا بسبب أي شيء آخر. إن الحق  
في حرية التعبير في هذه البلاد قد اكتسب بدم الأميركيين. وأعتقد

ليس الشعب الأمريكي، كما يتوهم عشاق أميركا من  
العرب المتطرفين، مغرمين كلهم بحرية الفكر وحق  
الاختلاف. وقد جاءت أحداث ١١ أيلول لتعمق كراهية  
قسم من المجتمع الأمريكي للأجانب وللراي المعارض  
للحرب. في ما يلي رسائل تلقاها أحد كتاب الأرب  
أسعد أبو خليل، أستاذ العلوم السياسية في جامعة  
ولاية كاليفورنيا في ستانلاس، عقب مقابلة أجريت  
معه في محطة فوكس، وفيها شجب الحرب الأمريكية  
ضد أفغانستان وأكد استهداف الصواريخ الأمريكية  
للمدنيين العزل. ويلاحظ أنه حين قامت كيرستن  
شايد، وهي أيضاً من كتاب الأرب، بانتقاد أساليب  
مهاجمي أبي خليل، وذلك في رسالة مفتوحة على  
الانترنت، هاجمها هي أيضاً بخطاب مائل، مع أنها  
أميركية من العرق المفضل.

من ماري برايدي، ١٤ تشرين الأول ٢٠٠١، الساعة ١٠:٥٥ صباحاً  
د. أبو خليل،

أنت متعوي يذبحي أن تُجرّد من الحقوق التي ظلها «التعديل الأول». «  
يجب أن أستمع لك بالحدث إلى أي كان، أو بالنيابة عن أي كان،  
ولا من أي أراء سياسية. بعد أن شاهدتك اليوم على «أخبار  
فوكس» يعني أني اكتشف أنك تُحمل شهادة تكذوبه وأنك مُعلم.

إذا كنت من نمط الاساتذة للتسجين مع النظام الجامعي في  
كاليفورنيا، فسيفضي كثير من الأهل في فرصة أن نقول أنت أو  
زمارك أوانتا في المؤسسات التعليمية أو تشكّلهم أو تُطعمهم.  
من الواضح أنك تتبنى أفكاراً تُشجّع عن غالبية الأميركيين. أمل أن  
يكون مكتب التحقيق الفدرالي FBI يراقب يدياتي كل تحركاتك.  
إذ لا يبدو أنك أهل للغة على قارب وطننا، ويبدو أنك متعاطف مع  
بن أدن.

التوايح: أميركي يعتقد أنك متعوي!

من بول جنديرو، ١٤ تشرين الأول ٢٠٠١، الساعة ١٠:٥٨ صباحاً  
أشاطر أصدقائي الرأي. أنت متعوي. كل من بلادي، أيها القضيبي  
الاصططاعي المظي رأسه يمشط. أنت تست إلى أفاضل معاني  
للأميركان. أراهم أنك تكرر، ولكنت لا تمنع في نيل كل فوائد  
حريتنا ومجتمعنا الشاطر ليرجع إلى بلادك، يا فاشل.

بالنسبة إلى أميركا أو إلى أي بلد آخر على نحو ما كُتِبَ المؤرِّعُ إريك فوشر<sup>١</sup> هل أَعْرَضَ تَذَكُّرةَ سفرٍ على يَتِيغَرُ إلى أي مكان في العالم لأشئ لا أريده في أميركا؟ لا يُكْتَفَى أن أتصور أين أريده أن يكون، إذ من ثَرَاهِ يجب أن يصابَ بمثل هذا الجهل الموهج<sup>٢</sup>؛ أمَّا بالنسبة إلى جنودٍ فمن الالف عوَجُهُ عن التعامل مع توكيداتٍ بطريقةٍ علانيةٍ بل إن حاجته إلى الشتم الجنسي تُفْهِرُ مدى ضعف قدرته على استيعاب اللطومات أو الإحاطة بمصادر معرفيةٍ أخرى قد يلجأ إليها بهدف التفاضل. إذن أنت حصصية «تخريب اصطعاني» مغلَى رأسه بمنشفة<sup>٣</sup> أفقي هذا أن جنودين رأسٌ قُصِبَ حقيقي لا غطاء عليه، أي رجلٌ قَرَمَ نفسه إلى فالوس يُكْرَفُ بكلماتٍ لا معنى لها؟ رمطه كالمان، ولكن هذا يُهْجَس بالحيوانات فهل يُكْشَفُ مجارُهُ عن الفنازير التي تُكَلِّمُ لحمَ الفنازير أن «العالمية» السائدة في أميركا تُؤَثِّرُ لكانبيال<sup>٤</sup> [أي أكل البشر بشرًا مثلهم] ثم إن من للحزن أن نلاحظ أن السيد برياني الذي يصلح بـ «المعتوه» لا يُسْتَطِيع أن يركبَ جملةً واحدةً صحبةً لنوعًا. ربما يعودُ السببُ في ذلك إلى غضبه الشديد أو ربما هؤلاء الأربعة ممَّا يُلْكَونُ حقًا للعالمية السائدة في أميركا، أو «أحسنَ عالم» بحسب رئيسهم غير المنتخب حقًا؛ وفي هذه الحال لن نُكَلِّمَ أن نُسَمِّعَ تحليلاتٍ في نشرات الأخبار الدولية عن مدجور غضبٍ ذوي الأضغانِ «المر» إن كان لنا أن نتخوَّلَ العناوين العريضة التي ستعامل مع هذا الموضوع.

إن فكرة أن العرب في أميركا أجسامٌ طفيلية ليست فكرةً ملائمةً إذا أتت من أمةٍ نَبَتْ نَفْسُها من ماء مئات الآف الأميركيين الأصليين [«الهنود الحمر»] للبريون والميسير. الانساقبة المنكسر تهمك بكيلا وحشيًا. صميح أن طي من يريدون أن يقتنعوا بالحرية أن يراسلوا النضال من أجل حقوقهم يومًا، وأن يَتَّقُوا مشتغلين بالرغبة في نيل هذه الحقوق. ولعلَّ العرب أو المهاجرين الجدد لا يُعلِّموا ذلك جميعهم بالعزيمة الكافية في الماضي (وكثيرٌ منهم قَرَّبُوا من «المستبددين» العادلين الذين نصَّبَهم أميركا في بلدانهم نفسها). ولكنني يا د. أبو خليل لن أُرْجِعَ في صفوف أولئك العرب أو المهاجرين الجدد.

أُفَكِّين ما حشده هؤلاء الرجال الأربعة هو أفضل دفاع من الحرية ولكن إذا كان على المرء أن يكتفي بـ «مستحق» الحرية أن يكون «رأس قُصِبَ حقيقي» لا غطاء عليه، أي رجلًا مُتَمَوِّرًا (وإن على علمٍ قليل) ولا يُسَرُّ عن «العالمية» السائدة في أميركا، فإني نوع من الحرية هو هذا؟ إنها ليست الحرية الملقاة، ولا المستمرة؛ إنها الحرية التي تُحْدِثُ الذات فقط. أرجو أن تراصِّلَ تحيكةً لهذه «الحرية».

المخلصه كيرستن شايد،

طالبة دكتوراه في جامعة برنستون،

تعيش حاليًا في لبنان - بيير أرواح مضررات الآلاف من الضحايا الذين قُتِلَهم السلاح الأميركي من أجل مخابراتنا ومجتمعنا الشاطر» كما يقول جنودون.

أنا لم تُسَمِّهِ أبدًا في أي عمل مفيد طوال حياتك كلها. بل أنت، ببساطة. نَقْلًا لماذا تعيش هنا؟ لماذا لا تعود إلى البلد اللعين الذي جئت منه أبدًا كان؟ أقول لك: إذا لم تكن تحب الحياة هنا في الولايات المتحدة، ولا الطريقة التي تتصرّف بها، أُخْبِرْني. فسلكون أكثر من سعيد بأن أرسل إليك تذكُّرةً نهاب من دون إياب إلى أي مكان في العالم تريد الذهاب إليه لتُشَرِّحَ الأفكار المسخفة.

أدناه اسمي وعنواني ورقم هاتفي. إتصل بي. أُخْبِرْني أين تريد أن تُذهب، وسأرسل لك بطاقة السفر. رجاء أن تستفيد من هذا العرض. إنَّنا لا نريد أشخاصًا مملَّك في هذا البلد!

٤١٥ غريتلوف ستريت

لونغفيل، تكساس ٧٥٦٠٥

ت. ٩٠١ - ٧٥٩ - ٩٠٣

من تشارلز بويد، الثلاثاء ١٦ تشرين الأول ٢٠٠١، الساعة ٥:٢٧ صباحًا الرئيس هوبير (رئيس الجامعة).

أنا، وحي ألف آخرون شاهدوا الأخبار بعد ظهر الأحد للماضي، رأينا المقابلة والعرض لواحد من أساتذتنا المشاركين، أسعد أبو خليل، الأستاذ المشارك في العلوم السياسية والإدارة العامة.

وعم أنه لم يُكَلِّمَ إلا قليلًا، وربما لم يستطع أن يُفَصِّحَ كلَّ النقاط التي أرادها، فقد استطاع مع ذلك أن يُلْقِيَتَ تمامًا بما قاله فعلاً.

إن زعمه أن أميركا تُسَمِّدُ شعبَ أفغانستان عبثٌ وكذب. ورايه أن على أميركا ألا تُعْطَى [الافغان] مساعدة إنسانيةٍ عديم الرحمة.

وكانت وجهة نظره في كلِّ مسألةٍ سَبَّلَ عنها منفضةً لوجهة نظر رئيس البلاد وللغالبية الواسعة من مواطنيها. كما أن رسائله وأسلوبه التفاطيبي أضغاب المذبح الرئيسي على نحو لم أره من قبل.

إن من حقِّه أن يُشَكِّكَ آراءَ معارضة، وأن يبدو ببرورٍ رايكاليًا على التلفزيون الأميركي أو في أي مكان آخر. ولكنَّه لا يُشَكِّك، في رأيي، حقَّ تعليم هذه الآراء في الجامعة.

أحسنَ بالصرح نيابةً عنه، ونيابةً عن جامعة ولاية كاليفورنيا في ستانيسلوس، وأنا قلقٌ بشكل خاصٍ على الطلاب. لقد انتظرتُ نشرَ نصِّ المقابلة على موقع الأخبار في شبكة الإنترنت أسوةً بالمشرات من النصوص الأخرى؛ ولكنَّ يبدو أن المُقَيِّمين على الأخبار كانوا هم أيضًا مُتَحَرِّجين. إنني أوصي بطرحه فورًا.

من كيرستن شايد، ١٥ تشرين الأول، الساعة ٩:٢٩ صباحًا

عزيزي د. أبو خليل،

شكرًا لتذكُّرتنا مجددًا بما يُقَيِّنه التفاضل - «العالمية» السائدة في أميركا، واضح أن يتغير لا يَتَرَى حقلًا كيف يبيك أولئك الأميركيين الذين ماتوا سعيًا وراء الحقوق المدنية، التي ليست أمرًا مسلمًا به

\* - Rednecks: سكان الجنوب البيض، الذين يتميِّزون بآفكارهم الرجعية والمعنوية. (م)

البساطة. حين طلّوتُ في الجيش ثقيلتُ حقيقةً أنني قد لا أخطئ بحياة عائلية عظيمة على الأرجح (لأنني أنقل من مكاني أكثر من ستة شهور في السنة) وأنهم أنني لن أكون ميلونيراً قط (فمن لا يُتَعَمَّقُ لنا كثيراً لأن الليبراليين في هذه البلاد يُتَقَدَّرُون أننا نقاضى كثيراً الآن). لذا أخذنا لكل هذا بعين الاعتبار، لا أنهم كيف يستطيع أناس مثلنا أن يتشكوا من هذه البلاد، ماذا فعلنا؟ أيّ تصريحات قمتُما إليها لكي تكون مكاناً أفضل يبعث فيه الجميع في الحقيقة لا أريد أن أتعمّق في الحديث عن هذا الأمر معكم لأنّ عليكما على الأرجح أن تفسّرا نبرة ما أو شيئاً من هذا القليل. وأخيراً ما أريد أن أدلي به هو أنّكما إذا كنتما تكرهان هذه البلاد إلى ذلك الحد، فافجئنا على فندقية كلاسيكوف واذهبوا إلى أفغانستان وانتظرا. سنكون هناك قريباً جداً لتقولوا الأمور وجهاً لوجه!

من هـ. ت. فيغورو إلى كيرستن شايد مجدداً، ١٦ تشرين الأول ٢٠٠١

هاللو، كيرستن!

أفترض أنّك أنشئ. سؤال: لماذا لا يُجيب الدكتور أبو [هكذا] العظيم على بريده الإلكتروني بنفسه؟ أنا لم أوجه تعليقاتي إليه. ومع ذلك، إذا كنت من أتباع معتقداته البلهاء، فلا يهمني حقاً إنّ تَشَلَّتْ نفسُكَ بالرد. وأحسب أنه يحتاج إلى بديل جاهز ليُكتب مثل كتاباتك المعقدة.

على كل حال، دعيني أفسّر لك أمراً، وأمل أن تكوني ذكية بما يكفي لفهمه. لقد جاء شعبك<sup>(١)</sup> رُحِبَ بهم بآذرع مفتوحة. واستقبل شعبك كرمزاً ونظاماً تعليمي. ومن قام بعد ذلك إخوانك بارتكاب جريمة شيطانية بحق مدنيّين أبرياء، دافعت عنها باسم دينك<sup>(٢)</sup>

اتسالمين ماذا يكرهكم الأميركيان؟

أنا لا أتني إلى بلدكم، ثم أطلع على التلفزيون، وأُخبركم وأُخبر حكومتكم كيف يجب أن تسير الأمور. إنّ شعبك لن يُقدّر ذلك، وربما سيحاولون أن يقتلوني. لديك الحقّ الشرعيّ في أن تقول ما تشائين في الولايات المتحدة، ولكن ليس لديك الحقّ الأخلاقيّ في ذلك....

يوماً عظيماً يا كيرستن. ولكر: إبقى حيث أنت!

من جون بيرس، في ١٤ تشرين الثاني ٢٠٠١، الساعة ٥.٣٢ صباحاً

الاستاذ أسعد أبو [هكذا]

أنت لست مع بن لادن. وانت لست مع الولايات المتحدة. ربما عليك أن تفكر في خيار الانتقال إلى القمر. أه، نسيت: هناك علم للولايات المتحدة على القمر.

يوماً سعيداً.

وليس الله أميركا!

من هـ. ت. فيغورو إلى كيرستن شايد

على الأقل كانت لديكم الشجاعة في أن تجيبيني على رسالتي، وهذه نقطة استلهاها لمصالحك. ولكني ما أزال على مبادئ الأعتاق الحمرة [لحافظ]. ففي النهاية هذه هي المبادئ التي أسست هذه الأمة، ويشكر الله على ذلك. كما قلت في رسالتي السابقة، لم تُخدسي لا أنت ولا أسعد أبو خليل هذه الأمة، ولا ضيغتي بأي شيء خدمة لحرية النقاش كما سميتها. وليعلم، لديّ عدّة أصدقاء عرب مغربين ولكنهم - نقيضاً لك - يُحترمون هذه الأمة ومبادئ الأعتاق الحمرة فيها بحسب تسميتك.

إنّ عُرْضي ما زال قائماً، بالنسبة إلى تذكرة الطيران لأسعد أبو خليل. وإنّ أروع عرضي لأشعلك أنت أيضاً، أمّا بالنسبة إلى تذكرة طيران لي أنا كما ذكرت، فليست أنا من يقدّر ويَشْكُر. وصديقي، لو كنت مثلك لكنتُ فبعتُ بنفسي ثمن سفري إلى مكان أفضله أكثر من أميركا.

فكّشي عن عمل فيغورو في حياتك!

من بول جنرون في ١٥ تشرين الأول ٢٠٠١، الساعة ٨.٠٥ مساءً

عزيزتي كيرستن،

أنت بريهان على أنّ بإمكان المرء أن يتعلّم بما يتجاوز ذكاته كثيراً! لاحظتُ أنه كان عليك أن تُكثري لِقائَكَ «مُطالعة دكتوراه» وكأنّ هذا يُجعلك بطريقاً ما خبيراً في شيء ما. أنت لستِ إلّا نموذجاً للطالب المحترف الذي لم تكن لديه أية خلفية حقيقية في حياته. والسبب في أنّك في صفك آمنه يعود إلى أنّ هناك أشخاصاً مثلي يُدفعون ثمن تعليمك وجنوداً يُشتركون. فمن يُدّر على ذلك يفعل، ومن لا يُقدّر عليه يُعلّم! وواضح أنّك لا تستطعين شيئاً أكادوا يضحكون عليك. ورياضيونك طوال حياتك، ولهذا تكرهين ومُتلك إلى هذا الحد!

من «تومي بوي» [اسم مستعار] في ٢٠ تشرين الأول ٢٠٠١، الساعة ١١.٣٩ مساءً

أودت فقط أن أبعث إليك [أبو خليل وشايد] رسالة سريعة وأقدم رأيي المتواضع. تفتيح لثوتي نسخة من رسالة إلكترونية تناقض قليلاً مسألة حقوق الناس وتحدثت عن مقابلة أجريت على التلفزيون. أولاً، أنا مؤمن أميركيّ أخدم بلادي في صفوف القوات الجوية الأميركية المسلحة. وأنا أخدمها منذ ٨ سنوات، وسأواصل خدمتها إلى أن التقاعد. ثانياً، لقد سمعتُ من الليبراليين في هذا البلد الذين لا يُعلمون إلّا الجلوس واللق في حقوقهم ومما على الآخرين أن يكون لهم من حقوق (وأضيف أنهم ليسوا حتى مواطني هذا البلد). معظم هؤلاء الليبراليين، مثلنا، لا يتّبعي أن يكون لهم مجال للكلال، لأنكم لا تفعل شيئاً في حياتكم لتصبين الأوضاع التي تشكوان منها علناً على هذا النحو. إذا لم ينجحكم الوضع، افعلوا شيئاً بدلاً لتصبينه أو ارحلوا. إنّ الأمر بهذه

١ - واضح أنّ السيد فيغورو يظن أنّ شايد عربية مسلمة. لا أميركية من دينه. (م)



# أرقام الآداب

إعداد: كش.

عدد السنوات التي مارس فيها البنتاغون الرقابة على الصحافة الحرة: ٧٧

عدد الضحايا التي ألتهمها البنتاغون أثناء حرب أفغانستان لأخذ المراسلين إلى ميدان المعركة (وهو أمر متعارف عليهم دون ذلك): صفر  
نسبة المقالات في صفحة الرأي في نيويورك تايمز أو واشنطن بوست بين ٩/١٤ و ١٠/٢ التي فصلت العمل العسكري على الدبلوماسية في أفغانستان: ٩٥٪

نسبة الخطأ التلفزيونية الكبرى التي أذنت له الاقتراح، كوندوليسا رايس عدم بث تصاريح بن لادن: ١٠٠٪

عدد الخطأ التلفزيونية الكبرى التي ذُكرت شيئاً عن التأثير المحتمل لقوانين مكافحة الإرهاب: ١

المبلغ الذي دفعته الحكومة الأمريكية لشراء الحقوق الحصرية لكل صور الفضائيات من أفغانستان بين ١٠/٥ و ١١/٥: \$1,٩١٠,٠٠٠

نسبة الأميركيين الذين يقولون إن الرقابة الرسمية أهم من التغطية الإخبارية إذ ادعت الحكومة وجود ما يهدد الأمن القومي: ٥٣٪

عدد منتجي أفلام هوليوود الذين اتفقا الحكومة للبحث في كيفية تقديم العون للحرب على الإرهاب: ٤٨

المبلغ الأولي الذي ستدفعه أميركا لإنشاء محطة تشبه الجزيرة، موجهة إلى الشباب في الشرق الأوسط بعد ٤٠ لغة: \$٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠

عدد الأيام التي مُنعت فيها كاثي سميرا (١٥ عاماً) من حضور مدرستها بسبب ارتدائها وتي شيرت، تسخر من الشوفينية الأمريكية التي انتشرت بعد ١١ أيلول: ٧

الزيادة الشهرية بعد ١١ أيلول في محاولات الحد من حرية التعبير في الجامعات: ٥٠٠٪

الحد الأدنى من الجامعات الأمريكية التي زودت السلطات الأميركية بمعلومات خاصة عن تلاميذها منذ ١١ أيلول: ٢٠٠

عدد رجال الشرطة وحراس السجن الذين رافقوا أول طالب أسود إلى جامعة ميسيسيبي المفضلة للبيض فقط في ٩/٣٠/١٩٦٢: ٥٣٦

عدد المكالمات التي تنطقها جهاز المراقبة الإلكترونية في أميركا عام ١٩٩٦: ٢,٤٠٠,٠٠٠

عدد الأسابيع التي تمكن هنتر خلالها عام ١٩٣٣ من محر الضمانات في دستور فايبار لحق التهم في محاكمة عادلة وعلمية، ولحق التعبير والانتقال: ١٢

عدد الأسابيع التي تمكن جورج و. بوش خلالها من نحو الضمانات أعلاه من «إعلان الحقوق»: ٢

الحد الأدنى من البلدان التي دانتها أميركا خلال السنوات الخمس الأخيرة لاستخدامها محاكم عسكرية: ١١

عدد الأيام التي قضاه المغربي زكريا موسوي في السجن الفدرالي دون محاكمة حتى تاريخ ٥ ديسمبر ٢٠٠١: ١١٠

العدد التقريبي للأجانب الموقوفين دون محاكمة بين ١١ سبتمبر و ٢٥ نوفمبر ٢٠٠١: ١٢٠٠

حظوظ كون المعتقل في «الحرب ضد الإرهاب» في أميركا من أصول شرق أوسطية: ٩٥٪

حظوظ كون المعتقل في الحرب المذكورة مشتبهاً بأن يكون عضواً في تنظيم القاعدة: ١٪

نسبة النيويوركيين الذين دعموا ١١ أكتوبر لإنشاء معسكرات اعتقال لـ الأفراد الذين تصفهم السلطات بالمعتاطفين مع قضايا الإرهاب: ٣٣٪

عدد الأشخاص الذين اعتقلوا في أميركا أثناء الحرب العالمية الثانية على أساس كونهم من أصول يابانية: ١١٠,٠٠٠

الحد الأدنى لعدد الاعتداءات الموثقة على العرب الأميركيين في الأسبوعين اللذين تلبيا ١١ سبتمبر: ٢٤٠

عدد المجموعات التي تقول بتفوق العرق الأبيض، والفاعلة في ٩ ولايات متخذي الوسط الغربي من أميركا عام ٢٠٠١: ٢٦٥

الحد الأدنى من المذكور المتحدرين من الشرق الأوسط الذين «دُعوا» في ٢٧ نوفمبر إلى إجراء استجواب «طوعي» من قبل FBI في ميشيغان: ٢٤٥

عُمر أحد الأميركيين العرب من ولاية أوهايو زاره رجال الـ FBI لأن اسمه محمد عطا: ٥ سنوات

إعداد: كش.

- 1) Center for Defense Information, "The Press and the Pentagon," Feb. 26, 1995, [www.cdi.org](http://www.cdi.org).
- 2) Jacqueline Sharkey, "Will truth again be the first casualty?" Public-I, [www.public-i.org](http://www.public-i.org).
- 3) Fairness and Accuracy in Reporting (FAIR), "Action Alert: Op-Ed Echo Chamber: Little space for dissent to the military line," Nov. 2, 2001, [www.fair.org](http://www.fair.org).
- 4) FAIR, "Media Advisory: Networks Accept Government Guidance," Oct. 12, 2001, [www.fair.org](http://www.fair.org).
- 5) FAIR, "Nightly News Glosses Over Anti-Terrorism Act," Sept. 27, 2001, [www.fair.org](http://www.fair.org).
- 6) International Action Center, "The State of the Free Press after Oct. 7," Nov. 6, 2001, [www.iacenter.org](http://www.iacenter.org).
- 7) The Pew Research Center for People and the Press, "But Military Censorship Backed Terror Coverage Boosts News Media's Image," Nov. 28, 2001, [www.people-press.org](http://www.people-press.org).
- 8) The Nation Magazine, "Lights! Camera! Attack! Hollywood Enlists," Dec. 10, 2001, [www.thenation.com](http://www.thenation.com).
- 9) Duncan Campbell, "US Plans TV Station to Rival al-Jazeera," in The Guardian, [www.guardian.co.uk](http://www.guardian.co.uk).
- 10) Eric Nuzum, "A Brief History of Banned Music," [www.ericnuzum.com](http://www.ericnuzum.com).
- 11) Michael Colby, "School Girl Gets the Boot for Anti-war Opinions," at Counterpunch, [www.counterpunch.org](http://www.counterpunch.org).
- 12) Foundation for Individual Rights in Education, [www.fire.org](http://www.fire.org).
- 13) American Civil Liberties Union, "How the USA-Patriot Act Puts Student Privacy at Risk," [www.aclu.org](http://www.aclu.org).
- 14) Civil Rights: Status Report, "Freedom Has a Price," [www.ghgcorp.com](http://www.ghgcorp.com).
- 15) US Courts and the Dept. of Justice Statistics, "Administrative Office of the Courts 1996 Wiretap Report for the period Jan. 1 through Dec. 31, 1996," April, 1997.
- 16) Third Reich Educational Pages, "Hitler Consolidates Power (1933-1934)" at [www.thirdreichpages.com](http://www.thirdreichpages.com).
- 17) Truth Out, "Conyers Challenges Administration on Military Tribunals and Other Anti-Terrorism Edits," Nov. 16, 2001, [www.truthout.com](http://www.truthout.com).
- 18) Human Rights Watch, "Fact Sheet: Past US Criticisms of Military Tribunals," Nov. 28, 2001, [www.hrw.org](http://www.hrw.org).
- 19) Neil Lewis and Don Van Natta, "Ashcroft offers accounting of 641 charged or held," in The New York Times, Nov. 28, 2001, [www.nytimes.com](http://www.nytimes.com).
- 20-22) Jodi Wilgren, "Swept up in a Dragnet, Hundreds Sit in Custody and Ask 'Why?'" in The New York Times, Nov. 25, 2001, [www.nytimes.com](http://www.nytimes.com).
- 23) Sierra College Research Institute Poll, Oct. 11, 2001.
- 24) Northwest Coalition for Human Dignity, "Latest Bias Update," Sept. 25, 2001, [www.nwchd.org](http://www.nwchd.org).
- 25) Center for New Community Report, "State of Hate: White Nationalism in the Midwest 2001-2002," at [www.newcomm.org](http://www.newcomm.org).
- 26) Carol Yancho, "Hundreds in Michigan Asked to Submit to 'Terror Questioning'" Nov. 27, 2001, at CNN, [www.cnn.com](http://www.cnn.com).
- 27) Moustapha Bayoumi, "Freedom of Speech Shouldn't Be Stifled for Arab and Muslim Americans," Oct. 17, 2001, in The Progressive Media Report, [www.progressive.org](http://www.progressive.org).

# من الطائفية إلى الوطنية اللبنانية

هل انتهت حرب لبنان إلى غير رجعة؟

• أسامة مقدسي •

## المؤرخون والطائفية في لبنان

من هذا المنطلق أريد التوصل إلى موضوع تاريخ الطائفية في لبنان. ذلك أن معظم المؤرخين الغربيين، وبينهم إسرائيليين، يرون أن الصوادر الطائفية - أكانت حرباً مسلحة، أي الصراع الطائفي الذي دار بين الموارنة والدروز في جبل لبنان في عام ١٨٦٠ (حرب البلبية أو «الكلمة»)، أم حادثة الشام في العام نفسه، أم حرب ١٩٧٥ - تُلخّص في رفض المسلمين للمساواة مع المسيحيين. أي أن هؤلاء المؤرخين يُزعمون أن العالم الإسلامي والعربي لا يُستوعب الحداثة، إلا أن يُنقَضَ إليها نكاحاً من قبل الانتداب الغربي أو الأنظمة اللامبمقراطية السائدة في المنطقة.

غير أن مؤرخين لبنانيين يُستمرعون إلى نفي هذه الرؤية الغربية في بعض ملامحها وتناقضاتها، فيكتبون، مثلاً، عن تاريخ التعايش بين الطوائف اللبنانية، ويُصرّون على أن الصوادر الطائفية تُعكس سياسات الإقليم ومساباها دوليّة هي التي أثارت الفتن في لبنان من خلال تمويل الأحزاب المحليّة وتسليحها ودعمها

التاريخية العريضة سنكتشف مدى تكوين هويّتنا السياسية والدينية والقومية - أكانت هذه الهوية لبنانيّة أم فلسطينيّة، مبنية أم عربية، نزعيّة أم مارونيّة، مسيحيّة أم إسلاميّة، طائفية أم علمانيّة. لهذه الهويّات جميعها ليست خاضعة للتطور والتفسير فحسب، بل هي في أساسها متخيّلة أيضاً إلى حد بعيد. وهذه نقطة انطلاق ضروريّة لأيّ نقاش جديّ لتاريخنا الطائفي. فعلى سبيل المثال حاولت باكورة نساء الهوية «اللبنانيّة» الطائفية إيجاد صلة مباشرة بين اللبنانيين والفينيقيين، ولكنها فشلت. وفي السياق نفسه، نهجت الدولة اللبنانيّة في خلق مقولة تُشند إلى أن الاستبداد التركيّ العشائريّ فُرض على البلاد شيئاً عميقاً تحسّر منه «لبنان»، في ظلّ الانتداب الفرنسيّ. بكلمات أخرى، الخياليّة التاريخية قد تكون انتهازيّة أو تقمّعية، ناجمة أو فاشلة، ولكنها ذات صلة حتّى بتكوين كلّ هويّة جمعيّة. وهذا يقوينا إلى نقطة ثانية مهمّة: وهي أنّه من دون الاعتراف بأنّ الماضي تأويل بمقدار ما هو حقيقة ثابتة، يبقى التاريخ الصادق بعيد المنال.

## تقديم: التاريخ تخيل وتاويل

القتال في لبنان انتهى، لكنّ الطائفية لم تنتهِ. بل إنّ مسجّر طرح هذه الملاحظة يحضّننا على التأمل والتفكير في ماهيّة المسألة الطائفية. فبعد انتهاء الحرب الأهليّة ولبنان غارق في هواجس طائفية تُخلّن عن نفسها في الأداء السياسي والإداري والاجتماعي، وتكذب الخطاب الرسمي عن انتهاء الحرب «بلا رجعة»، وتُعرض علينا من ثمّ مواجهة المشكلة الطائفية وعقيدتها بموضوعيّة، ولكنّ أيضاً بمصداقيّة. وفي رأيي أنّ أهمّ ما نُلمّعه هو أنّ المجال أمام رؤى صريحة نقدية تجرؤ على الاعتراف بالتباسات هذا التاريخ ودوايسه التي لن تُزال بمجرّد انتهاء الحكومة أن الحرب قد انتهت، وبمجرّد عفوها عن مجرمي الحرب من كلّ الطوائف، وإعلانها مشروع كتاب تاريخ موحد، وإعادة بنائها وسط المدينة المهتمّة تحت شعار بسيط: «بيروت مدينة عريقة للمستقبل».

التاريخ والتاريخ يتجاوزان المسرد البسيط: إنّها عبارة عن عملية مستمرة، وأحياناً متوقّعة، لمواجهة للماضي بكلّ تعقيداته. ومن خلال هذه الممارسات

♦ أستاذ التاريخ في جامعة باريس في هيوست، يُصنّفه قريباً من دار الآداب في بيروت كتاب بعنوان ثقافة الطائفية.

حريّة • عدالت • مساوات • اخوت  
في ٢٤ جاذي الاخر سنة ١٢٢٦ و في ١٦ ثور سنة ١٩٢٢

Liberté • Egalité • Justice • Fraternité  
VIVE LA CONSTITUTION !!!  
17/24 Joutte 1901.



دكتور في الطب

## وجه مشيى للعدالة العثمانية

الإداري والاجتماعي في جبل لبنان مبنياً على أساس هرمي لا مذهبي. فهذا النظام فُصلت بين الأعيان العرويين والمسيحيين من جهة، وعامة الشعب من جهة أخرى. كما أنه حصّن السلطة المحلية في يد أمير شهابي استند في حكمه إلى عائلات درزية ومارونية كبيرة (كبيت «جبلداه» وبيت «الخان») تحالفت إحداهما مع الأخرى، وكلّهما كانت أيضاً تتعارك بشكل متواصل من أجل السلطة والنفوذ.

## حقيقة النظام الاجتماعي في القرن التاسع عشر

لم تكن الحياة مثالية، إذ كان النظام الاجتماعي في تلك العصر قائماً على حساب العاشة التي أجبرت على دفع الضرائب وإداد واجبات شتى كالسفرة وغيرها. وأياً يكن الأمر فقد اعتمدت العائلات الكبيرة على المراجع الدينية، وبالأخص على الكنيسة المارونية، لتحصن سلطتها. فبجبل لبنان كان يتميّز، إذن، بسلسلة هرمية إقطاعية لم تُعط للدين أو للدعم أهمية ملحوظة. بل كان الدين سداً واحداً فقط للحمل السياسي الإداري لا جوهره. ما أريد هنا قوله هو أن مصطلح «الطائفية السياسية» ومقولتها لم يكونا واردين. وهذا لا يُنكر،

تمثل العرب ونفوذهم في الأمور الداخلية في السلطة العثمانية.

ولكن رغم هذا التباين الظاهر بين الرؤيتين فإنهما في جوهرهما متفقتان كل الاتفاق على أن الطائفة شريفة ملموس، لا يحتاج إلى مزيد من المعرفة والتحليل التاريخي. يُعبر الزمان ولكه لا يتغير ففي الرؤية الغربية الاستشرافية أصبحت الطائفية تشخيصاً لهوية شرقية غير قادرة على التحديث! أمّا في الرؤية المحلية فباتت الطائفية تشخيصاً لنقص الهوية اللبنانية الأصلية، أي نقيضا للعيش للذهبي. الرؤيتان، بمعنى آخر، تستندان إلى أن الهوية المذهبية لا تتغير: فكان الهوية الذاتية المارونية في الحروب الطائفية هي نفسها في القرن التاسع عشر، وكان الهوية الذاتية الدرزية في حرب السنين هي نفسها في حرب لبنان الأخيرة.

غير أن هذا النطق - استشرافياً كان أم محلياً - يُمزج، بطبيعة الحال، الذهنية الطائفية السائدة التي ليست، في نهاية المطاف، قضية غرائزية أو أولية بقدر ما هي تاريخية حديثة قابلة للتحليل والتغيير. فالحق أن المسألة الطائفية تبلورت في القرن التاسع عشر فقط - إذ قبل منتصف القرن التاسع عشر كان النظام

سياسياً. إذن المؤرخون اللبنانيون، بشكل عام، يتعاملون مع ماضينا الطائفي وكأنه في صلبه نتيجة لسياسة معتدّة أجنبية. - عثمانية في القرن التاسع عشر، وأميركية - إسرائيلية كسينجوري في القرن العشرين - مبنية على أساس «فرق تسد». وهذه الرؤية المحلية، التي كانت ولا تزال منهجاً رسمياً في المدارس، تُرفض الأسماء الغربي أن لبنان (ومصطلح العربي الإسلامي) ليس قادراً على النمو المستقل وعلى مواكبة العدالة، جاعلة من حربي ١٨٦٠ و ١٩٧٥ عثرة للمواطنين اللبنانيين تُهددهم من خطر الانقسام الداخلي والانحراف عن تراث التعايش للذهبي الذي يُحكى - في الفترات الأولى للمؤرخين اللبنانيين - مائة لبنان. المهم أن الكثيرين من هؤلاء يزعمون أن الحروب الطائفية التي عصفت بالبلاد هي في أساسها حروب الأخرين على أرض لبنان

لكن المؤرخين الغربيين يعتقدون، في المقابل، أن الحروب لا بد منها في مجتمع شرقي مُقسّم طائفيًا. وهاتان الرؤيتان تُبرزان نقاطاً هامة: فالرؤية الغربية تشير إلى مدى الانقسام الداخلي، وإلى وجود خطاب إسلامي يُنظر إلى المسلمين نظرة دينية. وأمّا الرؤية المحلية فتسلط الأضواء على درجة

طبعاً، وجود نغرات وحساسيات مذهبية، بل يضعها في إطار نظام إقطاعي مبنٍ على اختلاط الطوائف وعلى إبعاد عامة الشعب عن أي دور علني في السياسة. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن التعاضد المذهبي تزامن مع نظام اجتماعي إقطاعي كان بدوره على هامش الذهنية العثمانية التي عثت جبل لبنان منطقة قُبُليّة وحشيّة غير متقبلة، منقطعة تزحم بصعاري «كُفَّار» و«درويز» و«أشقياء» - وفي اللغة العثمانية كلمة «الدريز» تعني الحقيير.

ما أريد أن أشدّد عليه هنا هو أن النظام الاجتماعي والإداري في الجبل تناقض، إلى حد ما، مع النظام الملكي العثماني السائد في معظم مدن الدولة العثمانية. فهذا النظام بصورة عامة لم يُعترف بأي دور سياسيٍّ لغير المسلمين، ولم يُتَّحَ أمامهم فرصة لدخول عالم السياسة. كما أنه أصرّ على تعاضد مذهبيٍّ مُقيِّد بروية إسلاميّة تُنظر إلى السكان غير المسلمين نظرةً دونيّةً واضعةً وعظيمةً، في الوقت الذي فسّخ فيه أمام هؤلاء حرية الدين والتصرّف بشؤونهم الخاصة (أي ما يتعلّق بمحاكلهم الشرعية). كانت هناك إذن سياسة عثمانية تجاه جبل لبنان لاحظت تكوين الطوائف، ولكونها في الوقت نفسه غُضّتَ النظرة عنه، فأتاحت له حكماً شبه ذاتي، إلا أنها أيضاً أهدأته

واحتقرته، وكلّ هذا تقيُن في منتصف القرن التاسع عشر لأسباب عدّة، أهمّها:

١) **الاجتياح المصري لسوريا وجبل لبنان عام ١٨٣١**. أتى هذا الاجتياح إلى انهيار الحكم الشهابي عندما تدخلت الدول الغربية، وفي مقدمتها إنكلترا، إلى جانب الدولة العثمانية. فانهزم الجيش المصري وأجبر على الانسحاب عام ١٨٤٠. ولما كان بشير الشهابي أيد الاحتلال المصري الذي كان أكثر تعسفاً وعنجهية من الحكم العثماني، ولأنه تعامل معه بحساس، فقد نكّته الدولة العثمانية بعد هزيمة المصريين وألّحت - فيما بعد - الحكم الشهابي في جبل لبنان، وأصرّت على إعادة تنظيم الإدارة فيه. وقد فتح كلّ هذا الباب وأسّس أمام فراغ إداري وسياسي حاولت منه الكنيسة المارونية من جهة، والأعيان التقليديون من جهة ثانية، ولكن من دون جدوى.

٢) **حركة الإصلاح العثماني**. تزامن الاحتلال المصري مع إعلان الحركة الإصلاحية للعثمانية المعروفة بـ «التنظيمات» التي حاولت تحديث الدولة العثمانية على الصعيدين العسكري والإداري. ومن أهم سمات هذه الحركة الإصلاحية أنها شرّعت بتحويل رعايا السلطنة الإسلامية إلى مواطني دولة

حديثّة شبه علمانية أعلنت فيها المساواة الدينية - وهذه كانت خطوة تاريخية هامة لا سابق لها في العالم الإسلامي والعربي (ولنتذكّر أن هذه الخطوة قد سبّقت بعقدين إلغاء نظام العبودية في الولايات المتحدة). وإضافة إلى ذلك، قُضيت «التنظيمات» أيضاً النظام المالي الذي قام على فرضيّة تقوُّب الطائفة الإسلامية على الطوائف الأخرى. وما يُستدقنا، هنا، أن هذه الخطوة الإيجابية غير الطائنية تراخست مع تدخل غربيٍّ طائفيٍّ جداً بواسطة المبشّرين والقناصل الذين أسهموا في بثّ روح الطائفية في البلاد وترسيخ ذهنيّتها.

٣) **نضود الدولة الغربية**. نشط هذا النضود مع إعلان الحركة الإصلاحية العثمانية. فبعد زوال الاحتلال المصري عام ١٨٤٠، أصبحت السيطرة العثمانية في جبل لبنان وهميّة أكثر ممّا هي واقعيّة. ففرنسا، على سبيل المثال، راحت تُدعم الطائفة المارونية والحركة التبشيرية اليسوعية التي حاولت، بدوره، تمهيد، لثمة المارونية، أي فصلها كلياً عن محيطها الإسلامي والعربي. أمّا إنكلترا، فوقفت (بدرجة أقل) إلى جانب الطائفة الدرزية. وهذا التدخل لم يكن مبنياً على سياسة «فرّق تسد» بقدر كصبة اقتناعاً غريباً حقيقياً



لبنان الكبير يُعلن برعاية الطوائف

تأسيس الطائفة فُتِحَ هراءاً ثانياً بين الاعيان والعامة، لأنّ الحقبة الطائفية الجديدة باتت جسراً لدخول العاشرة العمل السياسي بصحّة الدفاع عن أبناء الطائفة ومن بنود المشروع الإصلاحيّ العثمانيّ فمثلاً، عندما انتفضت العامة للارونيّة على العائلات الإقطاعيّة في عامي ١٨٥٩ و ١٨٦٠ ادّعت أنّ الإصلاح العثمانيّ لم ينحصر على المساواة الدينيّة وحدها بل على المساواة الاجتماعيّة أيضاً. فتوّرة طانيوس شاهين المشهورة زُفِضَتْ، انطلاقاً من تناولها للإصلاح العثمانيّ، تسلّط الإقطاع المارونيّ على أهالي كسروان، وهاوالت في عام ١٨٦٠ وندجدة مسيحيّ الشوف من تسلّط «الروزه» ورغم أنّ هذه المبادرة فشلت، فإنّها أسهمت في تفجير الوضع في أواخر أيار عام ١٨٦٠. لقد كانت هذه الحرب، إذن، كناية عن صراعٍ طائفيّ واجتماعيّ في آن واحد. والذي حدث، باختصار، هو محاولة تغيير مفهوم النظام الطائفيّ من مفهوم هرميّ لا يُتيح لناس عابثين فرصة بناء مستقبلهم، إلى مفهوم شعب ديمقراطيّ، وإنّ كان طائفيّاً وأحياناً نمويّاً. وهذه المحاولة التي فشلت في أكل الآخر هي - ويا للمفارقة - حربٌ السنّين.

بجبل لبنان، أدّت في آخر المطاف إلى تقسيمه، وإلى تكوينه لأول مرّة على أسس طائفية سياسية وإدارية وضعت على مشارف حرب طائفية

**حرب السنّين: محاولة تغيير النظام**  
أصبحت الطائفة في حدّ ذاتها جوهر العمل الإداريّ في الجبل، وانحصرت فكرة المساواة الدينيّة في تقسيم جبل لبنان على الأرض وفي الإنسان بل إنّ الطائفة هي مجتمع سياسيّ مترابط منطقياً بمقدار ما هي مجتمع إكليريّ متماسك. لكنّ العلة كانت في تطبيق خطة التقسيم: فكيف يُقسّم جبل سكّانه مختلطين وكيف تُجعل الطائفة المذهبيّة طائفةً سياسيّة وتُحافظ في الوقت ذاته على النظام الهرميّ الاجتماعيّ؟

هذه هي للسائل التي أدّت إلى أزمة سياسية ترُصّت بالبلاد بين عامي ١٨٤٠ و ١٨٦٠. فإلخال العامل الدينيّ على جوهر العمل الإداريّ والسياسيّ تطبيقاً لفكرة المساواة والتحديث أشعل صراعاً بين الاعيان والكنيسة المارونيّة والحكومة العثمانيّة والدول الغربيّة حول تحديد صفات النظام الطائفيّ الجديد. وأمّا الشيء الوحيد الذي لجمت عليه الفئات المتخاصمة فهو هرميّة النظام. وإنّ

مؤمناً بدور الدول الغربيّة المسيحيّة المتقدّمة التي أخذت على عاتقها حماية الانقياد غير المسلم، والمسيحيّة بشكل خاصّ، من «القمع» والقهر» العثمانيّ الإسلاميّ. ففي جبل لبنان تحديداً، عندما حاولت الدولة العثمانيّة بسط سلطتها مباشرة عبر حاكم عثمانيّ مباشر ملتزم بالمساواة الدينيّة، اضطرّت الدُول الغربيّة بعنف على الحكم العثمانيّ المباشر. وفي المقابل أضرت هذه الدول، رغم الاعتراض العثمانيّ، على تقسيم جبل لبنان إلى شطرين عام ١٨٤٢: الأول مسيحيّ، والثاني درزيّ. وكانت حجتها في ذلك مزدوجة. استحالة التعايش المذهبيّ بين «قبائله الجبل» والانضواء إلى المساواة للمسيحيّين تعني حمايتهم وفصلهم عن محيطهم الإسلاميّ. ولذلك، فإنّ تطبيق للمشروع الإصلاحيّ لا يتّجّسّس بتلك التقسيم للدول، إلّا بالتقسيم. وقد تمّ ذلك التقسيم متجاهلاً اختلاط الطوائف في العديد من المقاطعات - ولاسيّما في الشوف - ومتجاهلاً أيضاً تاريخاً وأوضاعاً للتعبايش المذهبيّ في ظلّ النظام الإقطاعيّ السابق.

إذا، العنصرية الغربيّة، والرؤية الاستشرائيّة الموجهة إلى الدولة العثمانيّة، و«العباية» الطائفية الغربيّة

### خاتمة : امام خيارين

ما أفضده هو أن المرحلة الطائفية التي وصلت إلى ذروتها الديموقراطية في حرب الستين قد «تقرّبت» للسياسة بقسمها المجازل للعامة كي يتدخلوا إلى عالم السياسة مواطنين في المجتمع الطائفي، في الوقت الذي حاولت فيه أن تشكل نظاماً جامداً وهرمياً سعى إلى أن يستعيد أولئك المواطنين أنفسهم من أي دور سياسي ذي أثر. فالدولة العثمانية والدول الغربية أكلت على إلقاء التقسيم العرقي للجيل، وأنشأت في عام ١٨٦١ متصرفية جبل لبنان تحت سلطة حاكم مسيحي عثماني غير لبناني. فوُضعت مفاعذ إدارة الجبل على أسس طائفية، مفضضة للموارنة أربعة مقاعد، والدرزي ثلاثة مقاعد، والروم مسمدين، والروم الكاثوليك مقعداً، والسنة مقعداً، والشيعة مقعداً. وهذا كله كُرس في النخبة الطائفية في البلاد وأتى إلى بناء نظام متجسّد وغير قادر على التطور؛ ذلك لأن كل خطوة إدارية وكل عملية إصلاحية (أي كانت) أخفيت لحسابات طائفية وهذه هي الحالة التي نعيشها إلى يومنا هذا. فبدلاً من بناء روح عثمانية (أو لبنانية اليوم) موحدة قادرة على الارتضاع عن الافق الطائفي الضيق، خلّقت المعادلة الطائفية نظاماً عقيماً غير قادر على

التطور المطلوب والملي بصحة ضمان «الرفاق الوطني» والتعايش المدني». خلاصة ما أودّ قوله هو أن المرحلة الطائفية الهرمية للشولة التي كُرس عقب حرب الستين خلّقت خطاباً التعاضد المدني الذي انحصر في صيغة طائفية نشيوية وتوازن طائفي مزعوم. فكأن تغيير كل حركة إصلاح اليوم - سواء أكان ذلك إعطاء المرأة اللبنانية حقها، أم إعطاء الفلسطينيين في لبنان حقها منيئة، أم إبرام مشروع للزواج المدني، أم مجرد كتابة تاريخ صادق موثوق به - اصطنعت وتعلّت أمام خطاب التعاضد المدني الذي حصّن ولا يزال يُحصّن النظام الطائفي الهرمي.

إلا أن هذا النظام بات غير مستقر لأن كل طائفة تنطلق إلى مساعدة خارجية من أجل كسب مزيد من الصلاحيات الداخلية، ناهيك بالصرع الطبيعي والسياسي داخل كل طائفة للسيطرة على الزعامة فيها. واللافت أن الدولة العثمانية لم تتصور أبداً أن يصبح جبل لبنان دولة مستقلة فطال عهد التصريفية، زفّت الدولة العثمانية للنظام الطائفي في جبل لبنان بمرجعية عثمانية لا طائفية. لكن مع زوال الحكم العثماني ومجيء الانتخاب الفرنسي، أعلنت السلطات الفرنسية من

جهة واحدة قيام دولة لبنان الكبير، وتحت طائلة الموارنة هيمنة واضحة على الكيان اللبناني، وابتكرت الدولة الطائفية والصيغة الطائفية التي نعرفها كلنا اليوم وعنايتها.

تاريخنا الحديث، إذن، هو الذي خلّق مقولة «الطائفية» التي مَنَعَتْ - ولا تزال تَمْنَعُ - تجاوز مفهوم وطني شامل قائم على توحيده اللبنانيين. والسؤال الذي يُطرح نفسه الآن: كيف تتخطى الحقيقة الطائفية في تاريخنا؟

في رأيي أن الجواب لا بد أن يبدأ باعترافنا بأن الطائفية جزء حيوي - وإن كان في مصطلكه سلبياً - من هداشتنا العديدة. الطائفية ليست غريبة وليست خشيعة، بل تمرّ عن ترجمة وتحويل لفكر جديد للمساواة ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر في مجتمع متعبّد الطوائف وخاضع لضغوط خارجية ويُقدّر على جميع المستويات إلى رؤيته قادر على تخليق مستقبل أفضل. لكننا نبقى أمام خيارين: إمّا الاستسلام للأمر الواقع والركوع أمام الحداثة الطائفية الهوجمة علينا، وإمّا تخليق حداثة أخرى أفضل تتماشى ولاءً ووطنياً ووطنياً جديدة.

بيروت

# المنهجية والفعالية في النص النقدي العربي الحديث

السيّاب ونقّاده في ذكرى ميلاده الخامس والسبعين

• سامي سويدان •

الزبد من حضورها ومن رفاة ممارستها. ذلك أنّ النصوص المركبة تتطلب جهداً أكبر في دراسة بنائها الشعريّة أو الأدبيّة وفي التعرف على مكوناتها الجماليّة، الأمر الذي يُفترض مع التعدّد تضحّصها وإثباتها في مناهج مقارنتها. وهذا التحديد ما يغيّب إجمالاً عن الأعمال النقدية المنهجية التي لا تُجمل من الشعريّة معها الأوّل والمركزيّ إلى جانب هذا النصّ البيويّ يُبرز لعمّن لضر إجرائيّ يتمثّل في ما تُخلّب به ممارستها العمليةّ من تصدّع وانحراف وبسط وكلي لا يُقيّد القول اعتباطاً أو مجازفةً تتناول في ما يأتي عيّن من الأعمال النقدية والعمليةّ في محاولة إعطاء صورة مفصلة عن أوضاع النقد السائد. وسيمضي إلى حصر الموضوع، عمدنا إلى اختيار مجموعة من الأعمال النقدية ذات قاسم مشترك يتمثّل في دراستها جميعاً نصّاً إبداعياً واحداً ارتبنا أن يكون «أنشودة المطر» لبدر شاكر السيّاب. فموضوع الدراسة الواحد لا يُسهّل حصر عدد الإسهامات النقدية، وإنّما يوفّر أيضاً أحد الشروط الموضوعية للمقارنة بين إسهامات متعدّدة ذات منهجيات مختلفة. أمّا في تمرّسنا لهذه الإسهامات فقد

لم تخلّ هذه الظاهرة من مضاعفات شروط تكوينها وتناميها، فجاءت أعمالها مدموجةً بزعات «أجنبيّة» بل إنّها في أحيان كثيرة بدتْ هجينة، ففُتحت الباب رحيباً للتعريض لها باسم «الأصالة»: كما أظهرت ضعفاً في بنائها وأحكامها سنوّ حملات الهجوم عليها. لكنّها في ذلك لم تتخلّص من إشكالات الأعمال الريبانية عموماً، حيث يطغى «الإنجاز السطحي» في تخلفي للصدع الرث على «الإنجاز الإيجابي» في إثارة دراسات طليعية مُثبّنة تُفرض نفسها. كما لم تتخلّص تماماً من رواسب للقديم بقدر ما كانت تتخلّص بالموال للرحليّة الفاعلة، إذ بقي الاهتمام بالضمون غالباً. ولقد جاء هذا التركيز على المضمون متعارضاً مع متطلبات المنهجية للتحصّص، إذ لم يُغزِ النقد «الموسمي» المطلق ذا جدوى أو أثر يُذكر. فالأعمال الأدبية، موضوع الدراسة، تُفحص للمفاهيم شعريّة تُختلف باختلاف أنواعها أو أشكالها التعبيرية. وفي تقليب المضمون، ناهيك بالانحصار عليه، تضيق للاختلاف والخصوصيّة ووقوع في شرك التماثل والتوحيد. ولا يفيد القول بـ «التداخل النصّي» أو «الكتابة غير النوعيّة» بأنّ على الناقد استبعاداً للمنهجية للتحصّص، بل إنّهُ على العكس يُفترض

أولاً: من سمات النقد العربيّ الراهن برزت في ميدان النقد الأدبيّ المصريّ خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين جملة من الظواهر التي وسعته. ولعلّ الأخذ بمنهجية محدّدة في البحث يشكل الظاهرة الأرقى. وهو يعني اعتماداً طريقته موضوعيّة في معالجة المادة الأدبية، واجتراح المصطلحات والمفاهيم الملائمة لها، والمعنى إلى غايات مسئلة خاصة بها.

لكن يكمن لهذه الظاهرة التي بدأت نشأتها الفعلية منذ مطلع القرن المذكور أن تُتمو خارج الشروط الاجتماعية لحدّة متنامية: بدءاً من النمط الرأسماليّ في الإنتاج وصلاته، وصولاً إلى غلبة العقلانيّة في الفكر والسلوك، مروراً بالمؤسسات والنظم المستجبة بطبيعة لنتظّياتها ورواها. ولم يُكن لها أن تُتمو خارج إطار التفاعل القويّ بين الأعمال النقدية والعلوم اللغويّة والإنسانيّة التي عرفت تألقاً كبيراً من ناحية، وانفتاحاً واسعاً وأدماً على الآخر وتداخل عميقاً في ما بينها من ناحية ثانية. ولم يُكن لها أخيراً أن تلمو خارج صراع حدّ بينها وبين المذاهب النقدية التقليدية، وبخاصّة النقد الانتدابيّ الذي كان غالباً في المرحلة السابقة.

• من أبرز نقّاد في لبنان، استاذ في الجامعة اللبنانية. له كتب عن (راجع الهامش الأخير من هذا البحث).



مؤننا بين مصادرها ومراجعتها المنهجية من جهة، وبين مُتَبَلِّغِيهَا وتَلَقُّفِهَا من جهة ثانية، وبين الصيغ الإجرائية التي تتبدى فيها من جهة ثالثة. فالمنهج المحدد غالباً ما يكون مصدراً أجنبيّاً، وكذلك معظم مراجعه التي يُستند إليها الناقد لتوفير عدته المعرفية اللاتمة. يُبد أن تصوّره الخاص لهذا النهج قد لا يتطابق مع طروحات النهج المذكور، كما أن استعماله لهذا المنهج في الدراسة الأدبية قد لا يُلْقِ مع تصوّره واستيعابه النظري له.

#### ثانيًا: النقد الأدبي الحديث والمقاربة النصّية

١ - بالإمكان اعتبارُ تعليق عبد اللّطيف شرارة<sup>(١)</sup> على «أنشودة المطر» للسّياب<sup>(٢)</sup> من التعليقات النقدية الأولى على هذه القصيدة إن لم يكن أوّلها. وهو تعليق يُفحص عن الأنحاء النقديّة التطبّاعي الذي يُنسب إليه، بقدر ما يُفحص عن بدائيتها ومشافرتها في الثقافة النقدية، إذ تُجتمعت لديه الآراء المغلوطة مع الأحكام

الذاتية الإسقاطية. فقوله إن الشاعر يتخلّل في هذه القصيدة من قيود المدرسة العربية في الشعر أولاً، ويورد بنا إلى موشحات الأندلس ثانياً، ويتمرّس فكرتاً وعاطفياً بالشعر الإنكليزيّ الحديث ذي «القافية البيضاء» أخيراً...» (ص ٦٥) لا يمتّ إلى النصّ بصلة فهذا الأخير لا يتخلّل من قيود التفعيلة ولا القافية - وإنّ تعدّدت - دون أن يُقدِّم صيغة الموشح الأنلسيّ وقولُ الباحث لا يخلو على كل حال من التناقض في جُمعه الخروج من شروط المدرسة العربية في الشعر - على إيهام هذا للمصطلح - واللتزام شروط «موشحات الأندلس»، وكأنّ هذه الأخيرة غير عربية؛ أمّا قوله «التجربة الشعرية صحيحة، والمقاربة - بحسن بها بدر السّياب إحصائياً بليغاً، وموقفه الذاتي سليم، أي لا تشويهه شوائبُ التكلف والاصطناع...» (ص ٦٦) فهما من الإسقاطات الذاتية التي لا تحُول دون اتّهام نقيصيها. والطريف أنّها تُعتمد بالذات بلوغ استنتاج يتنافى في سلبه مع الإيجابية المنهجية في هذا الحكم

الأوليّ، إذ إنّ الباحث سرعان ما يُستدرك قائلاً: «ولكنّه [السّياب] يُخجّر في النهاية، ويحد كل تأثير، أن يهمل قِراءة وجدانك»<sup>(٣)</sup>، وبالإمكان، تكراراً، بلوغ استنتاج نقيص: فالرؤية الذاتية، التي لا تتورّع عن تأكيد إحاسيس السّياب ومدى عمقها، لا تتورّد إطلاقاً في أدائها بلوغ اصمّاق «وجدان» القارئ ودرجات اهتزازها، لتقنم بذلك نموذجاً صارخاً عن تهافت هذا النقد القائم على المعايير الانفعالية الوجدانية الذاتية.

ب - أمّا كتاب د. إحصان عيّاس في السّياب<sup>(٤)</sup> فيُحدّ من أولى الدراسات الأكاديمية الرسمية التي تناولت أعماله الشعرية. وفيه يُعتمد الباحث «طريقة تُجمع بين الدسّج الزمّنيّ والنصّ (أو التراجع) النفسي والتطوّر (أو الانتكاس) الفني»؛ الأمر الذي يتيح رؤية لهذه الأعمال من زوايا ثلاث (ص ٧). وعلى هذا الأساس تتورّع قصائد السّياب في مراحل خمس تغطي كلّ منها بعنوان دالّ على وضعيتها الخاصة: البحث عن النظرة، البحث عن اللصعة، تجلّي الرّم،

١ - عبد اللّطيف شرارة، «قرأت العدد الخامس من الأراب» في الأراب، بيروت، تموز ١٩٥٤، ص ٦٢ - ٦٨.

٢ - نشرتها الأراب في عددها الصادر في حزيران ١٩٥٤، ص ١٨ - ١٩.

٣ - عبد اللّطيف شرارة، ذكر سابقاً، ص ٦٥، ولتشديد من قبلنا.

٤ - المرجع السابق، ولتشديد من قبلنا.

٥ - د. إحصان عيّاس، بدر شاكر السّياب - دراسة في حياته وشعره (بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٩).



السِّيَاب قبل العقد

سبرلائل الصَّبَّار في بابل، عولس يَتَّجِبْ  
مَذْكُراته.

إذا حَصَرْنَا اِتِّعَامَاتَا بِالدراسة التي يقوم بها الباحثُ لـ «انصدودة الخيرة» فليُنْظَر سرعة ما تَلَحُّظُ الاضطرابُ والقلقُ المائلين في جعلها مرةً في المرحلة الثانية ومرةً في المرحلة الثالثة. فهو بعد أن تناولها في المرحلة الثانية (ص ٢٠٦...) يعود إليها في استعراضه لقصائد المرحلة الثالثة فيُتَبَرِّعُها فاتحةً هذه المرحلة المعرَّبة عن معاناة الشاعر الغربيِّ دون الرِّجْ بها في إطار كسافيٍّ عامٍّ (ص ٢٤٢...)، ويهبذا يضيف د. هُبَّاس إلى التناقض الداخليِّ بين عناصر بحثه تناقضاً آخر بين استنتاجاته في هذا البحث وواقع النصِّ نفسه الذي يَبْذُرُ تضامناً بينَ الذاتيِّ والاجتماعيِّ، حيث يشكُلُ تطلُّعُ المضطَّهين إلى غفر افضل نالذَّة الرِّجاء لخالص المتكلِّم الفرد من دائرة اليأس الحيقية به، ولا تبوِ احكامُ الباحثِ يصمد القصيدة مُتَعَمِّدةً نظراً إلى ما تَلَقَّعَر إليه من سَكْرٍ نصيٍّ يُؤدِّها، فقولاه: «العراق والمطر... شيثان متطابقان» (ص ٢٠٦) لا يَسْتَقِيمُ إطلاقاً ومعطيات النصِّ<sup>(١)</sup> وهو على كلِّ حال يتناقض إلى حدٍّ كبير مع

قولاه: «المبيبة - في فاتحة القصيدة - هي الأيمُ أو القريةُ أو العراق، أو هذه الثلاثة مجتمعة...» (ص ٢٠٩)، ناهيك بما في هذا القول من لغو من ناحية ولاتلازمٍ مع وضعيةِ المخاطبةِ المقصودة هنا من ناحية ثانية<sup>(٢)</sup> أمَّا تأكيدُهُ أنَّ في القصيدة انبعاثاً للطفولة (ص ٢٠٨)، أو أنَّها كانت مناسبة اهداء الشاعر إلى اسطورة ادونيس (تَمَوَّن) ويُنْقَلَت السِّيَابُ إلى دنيا الشعائر حيث يَتَّكِدُ الدينُ تفسيراً للحياة (ص ٢٤٨)، فلا نجد له في النصِّ مُكْثاً ويَبْذُرُ اقربَ إلى الرؤيةِ الانطباعيةِ والانسقاطِ الذاتيِّ منه إلى الاستنتاجِ التحليليِّ. والحقُّ أنَّ الانطباعيةِ المسرقة في ذاتيها غيرُ غائبةٍ عن هذا العمل، كما يَتَبَرَّرُ ذلك جلياً في اعتبار الباحثِ الإثارة التي تُنْضِجُ بها هذه القصيدةَ كامنةً في كلمة «مطر» التي يَتَقَنَّعُ سحرها على مغيباتِ النفس.

ج... في المقابل يَكاد د. إيليا الجاروي يكون من أحصاف الباحثين في شعر السِّيَاب. ويُمَكِّنُ وضعُ عمله الكبير عنه<sup>(٣)</sup> في طليعة الإسهامات الجادة والروصيدة التي تناولته. بدايةً يصوِّحُ الحساوي بمنهج: «هذه الدراسة تتحى منحى النقد

التطبيقي الذي يُتعلَّقُ من النصِّ ويوغل فيه ويُتصرَّع عليه. وما نسوقه بصدده من نظريات الشعر والنقد والمقارنة لا يُقدِّمُ الاضواءَ التي يُبْذِرُ بها لتقرير بعض المساييس وتأييد بعض الأحكام.» (ج ١، ص ٢٢ - ٢٣) وهي تُقْنِفي اثاره فتتمو بنموها، «محطَّة الأبعاد النفسية الظاهرة والمضمرة، ومقيِّمة الأبعاد الفنية عبر النصِّ وفي خلاصات تُلَقُّ بكلِّ أثر من اثاره.» (ج ١، ص ٢٣)

الانطباع الأولي الذي يتولَّد لدى الناظر في هذا العمل أنَّ صاحبه يلتزم بما تقدِّمُ لِكُرِّه، إذ يتابع نتاج السِّيَاب من بداياته حتى نهاياته، محلاً قصائده المختلفة جرسياً على الانطلاق من النصِّ لاستشداًف أبعادها النفسية والفنية. إلا أنَّ منهجاً كهذا يُقْتَضِي التزاماً بتاريخ نُظَم القصائد موضوع الدرس: وهذا ما لا يَحْصُرُ عليه الباحثُ فهو، وإن التزم هذا الخط بالنسبة إلى الدواوين التي يُترسها، فإنَّه لا يُعْطِي انتظامَ القصائد فيه اهتماماً يُكْثِر. وهكذا يقوم على سبيل المثال بدراسة «دمعي غيلان» (نُظِم سنة ١٩٥٧) قبل «تميم» (١٩٥٤) و«الخيرة» (١٩٥٤)، ويُترس «الزهر والموت» (١٩٦٠) و«المياه»

١ - راجع الأبيات ١٤ - ١٥، ٢٢ - ٢٣، ٣٦، ٥٨...

٢ - راجع الأبيات ١ - ١٣، ٣٧، ٤٦...

٣ - د. إيليا الجاروي، بني شاعر السِّيَاب - شاعر الإنشيد والمراثي (بيروت: دار الكتاب اللبناني، د. ٥، ج ٤).

(١٩٦٠) قبل «أنشودة المطر» (١٩٥٣)، ومن جهة ثانية لا يتعدى منهج البحث محدداً بالذات التي تكثر فيها المقاربات المنهجية. فهو يبقى عاماً مبهماً عريضاً لتأويلات شتى بقدر ما يبقى غامضاً - إن لم يكن غائباً - منهج التحليل النفسي المعتقد أولاً، ومقاييس التقويم الفني ثانياً؛ وكل هذا يُلزِع عنه صفة المنهجية المعرفية الموضوعية ميدانياً. ولا تأتي الممارسة إلا لتكرس ذلك عملياً، ذلك أنها قائمة في جانب منها على تطبيقات نفسانية على نصوص السياب فلما تتجاوز الظاهر والباهر، وغالباً ما تُلزِس عليها إسقاطات لا تُثَقِّق ومعطياتها إن لم تؤدَّ إلى مفارقات في نتائجها<sup>(١)</sup>.

لا يُعني ذلك انتفاء الملاحظات الصائبة أو المناسبة في العديد من الحالات، وإنما يؤدي إلى تجاوز هذه الملاحظات مع تلك المملوطة والاعتباطية. وقد تكون الدراسة الخاصة بـ «حمار القصور» أو «الموسم العمياء» نموذجية في تمثيل هذا النهج البحثي النقدي: إلا أنَّ الناظر في العمل لا يفوته أن يلحظ ما يسميه من تقاليد في

تناوله قصائد السياب عمومًا وأنشودة المطر خصوصاً. فبالنسبة إلى هذه الأخيرة، قد يصح قول الصاوي إنها انفتحت إلى البناء الحتمي الصارم (ج ٧، ص ١٩٩) ولكن يصعب قبول رأيه في أنَّ الاستطراد الذي تشكّل أدأة للمعاطلة «كان» ترفيقته يؤدي إلى تظليل أو صال القصيدة (ص ١٨٠). كما قد يصح قوله إنَّ نصيبه الشاعر النضوة الوحيية التي تبتاعه بنضرة الطفل إذا خاف من القمر إنما هو تشبيه ياتي بشبهه به أقل حدة وأكثر تمويهًا من للشبه، ولكن يصعب قبول رأيه في ذلك بله إسفاف في التشبيه. أمّا ما يفرض به الباحث من أحكام، مثل قوله «كأن قصيدة السياب [وأنشودة المطر] كانت مفكوكية كشخصيته، تهرّف وتخرّف، يتسلّل الزمن في قلبها ويتصلّب به التلازم والنمو والسيبوية» (ص ١٨٠)، وقوله إنها كانت تعبيرًا عن إنسان مشغول بتوازن ولم يتلقف «إليه يدو جائرًا». فما تعلّق من هذه الأحكام بالقصيدة غير صحيح، وما يتصل منها بالشاعر أبعد ما يكون عن

التحقّق واليقين. بينما تأتي أحكامه الأخرى الخاصة بالقصيدة والشعر عامة - مثل اعتباره تشابيه السياب «غابيتها الدهشة والتبارج بدلًا من صدق المعاناة والتنازع» (ص ١٩٠)، ومثل قوله إنَّ الشاعر يصل بها إلى الأسراف والمجانبة<sup>(٢)</sup> - لتُفَضِّح مرجعية نقدية بالية. وليس مستغربًا مع ذلك أن تورط مثل هذه الأحكام صاحبها في التناقض، كما قد ينم عن ذلك قوله من ناحية إنَّ القصيدة مفككة معرّفة (ص ١٨٠) وقوله من ناحية ثانية إنَّ القارئ يستطلع نهاية القصيدة من بدايتها بذلك النزوع من البهر الباهر بين طرفي النور والظلمة (ص ١٩٦) - علمًا أنَّ هذه القصيدة بالذات هي من تلك النصوص النادرة من حيث القياس نهايتها في دلالتها وفي علاقتها بالخالق، ومن حيث الرهافة ولقدرة في التعبير اللّان تشم بهما.

د - يُبدّ أنَّ العاطلات النقدية والمفارقات في المقاربة النصّية لا تتصدّر هذه الدراسة، ولا تلبّغ ما تلبّغ في عمل ريتا عوض<sup>(٣)</sup>. فمع هذه الباهظة تُكرّس متاهات

١ - د. حمار القصور هو السياب (الرجع السابق، ج ٢، ص ٨٠ - ٨٧)، والمتكلم في «أنشودة المطر» والظلمة اليتيم هما السياب أيضًا (المرجع نفسه، ص ١٨٠ - ١٩٨).

٢ - يقول «قد كان معيار الشعر، منذ البدء، هو الصدق، فكيف نصنّعه وهو يجعل الإنهام للطرق كانهما للضما» وكيف نُثَقِّق وهو يُثَقِّن بين إراقة الدماء والحب والاطفال والموت، وهي متباينة الدلالة والمضمون» (ص ١٩٠).

٣ - ريتا عوض، أسطورة الموت والانبعث في الشعر العربي الحديث (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٧٨).



لحقائق النهر أو لمنطق العرض اعتباراً يُذكر. فمصب الباحث يبدأ الشاعر بمقاطعة عشتروت (ص ١٠٣)، ولا يُلَبِّث أمه أن يتحول إزائها إلى ظل يَبْكِي «أمام أمه» (ص ١٠٤)، ولكنه سرعان ما يُثَلِّب ليصبح - إذ «يمد يديه ليعانق السماء - الإنسان الأول» قبل السقوط، حين كان يشرح سعيداً في جنبه عين. (ص ١٠٤) يَبْدُ أن الطور هو أبْنُ آخر لهذه الأم، فهو ليس «سوى تَمَوُّز إله الخصب، ابن الأم وحيبيها». (ص ١٠٤) ويؤكد الشاعر بآله الخصب لبنت المنبعث، فيصبح «هو تَمَوُّز الابن والصبب». (ص ١٠٥) وهذا المثلث الواحد-الخصيب (الطر - تَمَوُّز - السيَّاب) لا يُلَبِّث بدوره أن يُثَلِّب إلى تقبضه في وضع إنساني وشخصي مأسوي رهيب. إذ «يسقط المطر، ولكنه، في الواقع صَمِيم لا يُخْصِب» (ص ١٠٦)، فيسمُحُ المَرْنُ كُلُّ شَيْءٍ، وتضخ هويَّة الإنسان فيُفقدُ انتماءه، وتبدُّنُ الجذور التي تُرِيطُ بآرضه (ص ١٠٦)، «وتبرز مأساة الشاعر في تمرُّن نفسه بين ما هو كائن وبين ما يجب أن يكون. فغيدل أن

وفي هذا الصدد يُعَقِّلُ البحثُ بفيض من اللداعيات الدائِيَّة التي لا تجد لها أي سنن نصي. فالسيَّاب اكتشف في هذه القصيدة، حسب ريتا عوض، «أسطورة الموت والانبعث محبوسة في إله الخصب الميت المنبعث، الذي يَرْمِزُ مَرْتَهُ إلى اندثار القوى المولدة في الطبيعة أمام مدَّ العمق والجفاف» ويعلِّقُ انتماءه انتصاراً لجِدِّ الحياة الذي يعيد التنبُّن الحي إلى الأعراق للجنة الذابلة. (ص ١٠١) وعلى الرُغم من ملاحظة الباحث أن السيَّاب لم يُشِرْ في هذه القصيدة إلى أي أسطورة أو إلى أي شخصيَّة أسطوريَّة، فإنَّها لا تتردَّد في التأكيد أن «إله الخصب الميت للنبيت وإلهة الأم الكبرى هما الرمزان المحوريَّان اللذان تَرْتَكِزُ إليهما القصيدة». (ص ١٠١) وعلى الرُغم من أن القصيدة، كما تُلَبِّثُ الباحث، تنطلق من «ساعة السُّحَر» فإنَّها تصرُّ على جعلها تبدأ «بالوت في ساعة الغروب». (ص ١٠٣) وهي تُخْصِي في قراءات القصيدة «أسطوريَّة» فعلاً بقتر ما تحول معطياتها الدلاليَّة إلى انبعاثات خرافيَّة لا تقيم

النقد العربي الحديث في وقوعه تحت وطأة الانبهار ببعض المناهج الجديدة، ليعاني النصُّ الشعريُّ الأمرين من جراء القصور في قراءته والتقصير في إتقان ممارسة المنهج في دراسته. فالباحثة تعلن صراحة المنهج المعتمد من قبلها، وتُخْصِي في ممارستها متعرِّضةً لأعمال بعض أعلام الشعر العربي الحديث وفي طليعهم السيَّاب. وهذا المنهج، الذي تصمِّيه «النقد الأسطوري» (ص ٩)، تُسْتَعْرِضُه تفصيلياً في الفصل الأول، متوقِّفةً ملياً عند أسطورة الموت والانبعث (الفصل الثاني)، قبل أن تتناول تجلياتها بالنسبة إلى الحضارة العربيَّة في الشعر العربي الحديث (الفصل الثالث). ولما كان المجال لا يُسَمِّحُ هنا لإبداء الملاحظات العديدة التي يليها هذا العمل<sup>(١)</sup>، فإنَّ ما يُلَوِّحُ في خلفيته من «تواضع» لاث في أنباء صاحبه أنها «أولُ مَنْ يتناول في اللُفَّة العربيَّة موضوعاً كهذا في دراسة علميَّة معقَّدة ونسَّسة» (ص ١٠) يُدْعِنَا إلى التحقُّق من صحتِّه في ما يتعلَّق بتناول «أنشودة لطر» تحديدًا.

١ - بدءاً من الأحكام التعمُّليَّة المسبقة التي يُلَبِّثُها (مثل القول إنَّ الأسطورة «حقيقة إنسانيَّة لا تميل النفس البشريَّة حياةً صحيَّةً» عنها) ص ٥، أو إنَّ الشعر ليس «سوى محاولة للعودة إلى حالة الإنسان قبل السقوط» ص ٩٣ إلى المخالطات النافرة التي يأتي بها (مثل البدء بما يقوله بعضُ الباحثين من أن الآلهة عشتروت أكثر أهمية من إلهة تَمَوُّز الذي هو أبناها، وهو بعد ذلك زوجها) ص ٤٥، ومثل التأكيد بعد ذلك أن مريم اللعاز، في الدين المسيحي، «تُجَدُّ نوراً مماثلاً للور الذي نلَّحِه إلهة الأم الكبرى عشتروت» ص ٤٩، أو ترداب ما يقوله بعضُ الدارسين من أن القصص التي دار حول معركة كورلا، يُنبئ قصة القديس جرجيس» ص ٦٥.

يولد المطر الخصب والحياة فلهٗ يُنتج  
جفياً وموتاً [١]» (ص ١٠٨)

هـ - كأن ريتا عوفش فتمت باباً لم يعثم  
كثرة من الدارسين أن ولجوه بخفة  
وارحية لافتنن، وإن عفا العديد منهم عن  
نجرها، كما أغفلت هي بادرة عباس في  
الإشارة إلى ما يمكن اعتباره منطلق  
بعثها في «أنشودة المطر» - ألا وهو  
اعتداء السحاب في هذه القصيدة إلى  
أسطورة الدونيس (ترموز) <sup>(٢)</sup> - فإلياس  
خوري يُدرّ فصلًا كاملاً من كتابه  
دراسات في نقد الشعر <sup>(٣)</sup> لدراسة  
«أنشودة المطر» حيث يُرشد التشوُّن في  
الخطاب النقديّ شمل في الرؤية، فحسب  
خوري «الأساس في هذه القصيدة هو  
تزاوج مصطلحي الرمز والفنائية، تتحدّد  
غنائية المصطلح من إطار مخاطبته، يقف  
الشاعر ويخاطب بلاذّه التي تُنتزع بالرمز  
المشتقّ...» (ص ٢٠) فكانت القصيدة  
بحث نقديّ، أو كأن غنائية المصطلح  
مفهوم معقول في هذا السياق أو لا فرق  
بينه وبين مصطلح «الفنائية» أو كأن  
تصنيفه من إطار مخاطبته أمر يُمكن

تصوره، أمّا موضوع القصيدة فيتزاوج  
فيه «طرافن: صوت الشاعر والواقع» (ص  
٢٠)، دون أيّ تحديد لتسمييز هذين  
الطرفين أو لتعيين صيغة تزاوجهما.  
والقصيدة «عالم مركّب يُطلق من  
الصورة، لكنّه يتحدّد في الإيقاع الذي  
يُفرض على الصورة عناصر تشكّلها»  
(ص ٣٦): يُبدّ أن الصورة والإيقاع لا  
يُلبدان أن يُدمجا في أحدهما هو  
الإيقاع الذي يتركب - كما يقول خوري -  
«من عنصرين: الوزن والقافية من جهة،  
والصورة من جهة أخرى» (ص ٣٦) غير  
أن الإيقاع نفسه هو جزء من التداوي  
(ص ٢٢)، وهذا بدوره «صوت الشاعر»  
(ص ٢٢)، وصوت الشاعر هو قصيدته،  
وبين الشاعر وصوته (قصيدته) تقع  
الذاكرة، ولذلككرة هي التداوي» (ص  
٤٥)

تمضي الدراسة على هذا النمط من  
التشوُّن، مُشمية أن القصيدة تبدأ  
«بانتهالات أمام الطبيعة والهة الطبيعة»  
(ص ٢٤) وإزاء الصورة المثلّة في قول  
السحاب «كأن طفلًا بات يهذي...» يقول

خوري إنّ المشبه هنا «قد قيّد، والمشبه به  
يُنتزع بالمشبه، ولا يبقى سوى الخيالة...  
فالطفل هو المشبه والمشبه به، نحن في  
حلم...» (٤٩) إلى آخر ما يتخلّل في باب  
الترميزات أكثر منه في باب الدراسة  
الموضوعية.

و - الأمر مغاير مع د. عبد الكريم حسن،  
إذ يُكرز مقارنة مختلفة منهجياً وإجرائياً  
لشعر السحاب في كتابه المكثس لدراسة  
هذا الشعر <sup>(٤)</sup> ففي ما يتعلّق الانعادات  
التي لا تصحّ نظرياً أو منطقيّاً ولا تثبت  
قطعيّاً أو إجرائيّاً <sup>(٥)</sup> يُضخّ د. حسن  
منهجه في هذه الدراسة، فيقفّه بوصفه  
موضوعيّاً بنبرويّاً، أيّ بحثاً في الموضوع  
«يُهدف إلى اكتشاف السجلّ الكامل  
للموضوعات الشعرية في كل مرحلة من  
المراحل الخمسرية عند السحاب»  
واكتشاف البنية «التي تتشارك فيها هذه  
الموضوعات الشعرية» (ص ٣٢) ويُفرض  
بالتفصيل الخطوات الإجرائيّة التي  
أثبها في بحثه بناءً على ذلك.  
غير أنّ الناظر في هذا العمل، وفي ما  
يتخلّى تقديره للجهد الضمني الذي بذله

١ - راجع د. إسماعيل عباس، مصدر مذكور، ص ٢٤٥.

٢ - إلياس خوري، دراسات في نقد الشعر (بيروت: دار ابن رشد، الطبعة الأولى، ١٩٧٩).

٣ - د. عبد الكريم حسن، الموضوعية البنوية - دراسة في شعر السحاب (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والبحوث والتوزيع، ١٩٨٣).

٤ - مثل إنكار الباحث اعتداده «بمنهج مسبق الصنع [١]» (ص ٣٦)، وتأكيده «أنّ منهج «البحث العلمي» الذي مارسه لم يبدئه إلا بالتجربة ولم يحصل عليه إلا بالتأمل، وإلّا هو منتزع من دراسة الشعر السحابية وإن كان يصلح لدراسة الموضوع» في كافة الفنون الأدبية وأنواع العمل الأدبي.



جهة ثانية. وهو إذ يُلحَق موضوع الحب بالبحرور الأول (١) فإنه يبالغ الثاني في وحدتَيْن الأولى الثورة «بين الإمكانية والتحقيق» ليُلحَق بها موضوع «الحياة» (٢) والثانية «إخفاق الثورة».

ولما كانت متابعة هذه الموضوعات لا تلتزم سياتاً نصيغاً أو تاريخياً، مؤلفة مقولاتها من عبارات متذكرة من قصائد مختلفة، حتى لتجتمعي في المسألة الواحدة بل في الصفحة الواحدة منتخبات من قصائد تعود إلى سنة ١٩٥٢ (دالموس العمياء) و١٩٥٨ (مدينة السندباد) كي تُؤلف وجهة نظر الشاعر حسب ما يُثبِت الباحث، فليس مفاجئاً استحضار أجزاء من «أنشودة المطر» في هذا الموضوع أو ذاك من الموضوعات المطروقة إلى جانب أجزاء من قصائد أخرى لتكون جميعها سند الرؤية التي تشهدها الباحث إلى الشاعر حسب استعراضه الديوان أو المرحلة كما هو مبيِّن أعلاه. الطريف أن المتابع لهذا الاستعراض لا يفوته أن يُلحَق الإحالة على هذه القصيدة في جميع الموضوعات المطروقة، والأطرف استحضار الأبيات المعنية بالإحالة المذكورة.

الترسيمات ذات نفع يُذكر، هذا إن لم تُحمل شبراً كما هو الحال في الفصل الخامس الخاص بـ «أنشودة المطر»<sup>(١)</sup> فإذا أُضيف إلى ذلك انعدام أي تحليل للأخذ بالمراسل المذكورة في البحث، وغياب أي استنتاج خاص بشأنها، تراهي للناظر فيه الضعف الذي يسميه والذي قد تعطي ملاحظة ما يُذكر فيه بصدد «أنشودة المطر» صورةً أوليةً عنه.

عيباً يُبحث الناظر في هذا العمل عن مقاربة للقصيدة: فليس هناك كما ذكرنا دراسة نصية لأيٍّ من قصائد السيّاب، بل يقوم الباحث إجمالاً بتناول كل ديوان من دواوين الشاعر على حدة، لِيُستعرض الموضوع الرئيس الذي يطغى فيه بناءً على ما يصل إليه من نتائج إحصائية خاصة بمقرراته وما يَجِدُه مُصملاً بهذا الموضوع من موضوعات فرعية. وهكذا تأتي دراسته لديوان «أنشودة المطر» في الفصل الخامس لتمثّل لثوب موضوعاً رئيساً فيه تُشابه أوضاعه وعلاقاته في مستوياته الإنساني والشرقي والعربي والوطني، من خلال تناوله في محورين أو واقعتين متفاعلتين يعبر عنهما الموت والظلمة من جهة، والموت والثورة من

جهة صاحبه، لا يسمعه إلا أن يلاحظ هزال نتائجه إن لم يُكن انفتاحاً إلى القدرة على الإقناع. ولعلّ العلة الأساسية في هذا العمل قائمة في منهجه اللحن الذي لا يُستقيم نظرياً ولا يُلحَق عملياً، وفي انعدام التماسك في سيرورة الإجراءية. فالعمل الإحصائي الضخم المنجز لا يؤدي إلى بلورة رؤية متميزة، بل لا يُشعّن بلوغ رؤية سليمة لأعمال الشاعر: ذلك لأنّ دلالة هذه الأخيرة قائمة فيها بخصوص لا كمقررات. والخلل الأساسي في البحث هو تصوُّل هذه الأعمال ركاساً من المفردات يُتَنَزَع منها ما يُشجعه في مقننات تمثّل للتباع والميعز بمعزل عن سياقها النصي أو التاريخي لتليق ما يقدم باعتباره وجهة نظر الشاعر.

لا تقيد الأسماء البنيوية شيئاً للوهوس بهذا العمل عن انشيساله وتأثيره فائترسيمات التي تُختم الفصول باعتبارها «شبكة العلاقات الموضوعية» لماهية البحث أو بنتها ليست إلا تخفيصاً لوصف خطّي يؤدّه القبض على التعارضات الأساسية المركبة للنصوص ومضاعفات العلاقات القائمة بينها، وذلك لأنّه بالتصديق لا يتناول هذه النصوص بالدرس، ولذلك ليست تلك

١ - يُبدي التفتُّن في «شبكة العلاقات الموضوعية» في ديوان «أنشودة المطر» للثبته ص ٢٢٧ أن «الحب» يتفرّع من «الموت والثورة»، وأن «الثورة [بين] الإمكانية والتحقيق، وإخفاق الثورة يتفرّعان من «الموت والظلمة». يبيّن أن سيرورة البحث التي تُستند هذه الفكرة إليها تتناول «الحب»، متفرّكاً من «الموت والظلمة» (ص ١٩٢)، كما تُدرس الثورة «بين الإمكانية والتحقيق» (ص ٢٠٠) وإخفاق الثورة (ص ٢١٧) متفرّكين من «الموت والثورة» (ص ١٩٩).

فلي ما يفهم «الموت والطغيان» يصلح الباحث على بيت من «الشوذة المطر» (إثم الطفل) «في جانب التلّ تنام نومة للهود» (ص ١٩٢ - هـ ٢) إثر إحسانه على بيت آخر من «غريب على الخليج» (دولوت) أهمُّ من خطيئه، ص ١٩٢ - هـ ١) جامعا تعليقه عليهما في عبارة واحدة وكأنيهما يردن في نمن واحد ومسباق واحد، ومعتمدا في هذا التعليل تاولا للبيت لا يبيحه إلا الإسقاط الذاتي والخروج عن المُطلى النمطي، وبخاصة في ما يتسبب الباحث إلى الشاعر نفسه: «وقد تصيب اسماعه [السبّاب] بعض كلمات العطف والإنساق، ولكه في كلّ هذا وذاك يرى أنّ الموت أهم من هذه الكلمات (هنا) يحيل الباحث على هـ ١]، فيعود إليه هاجس الحنان الأموي المفقود من زمن الطفولة (وهنا يحيل حسن على هـ ٢)».

يُبد أن الأكثر غرابية هو أن يصل الاختلاف حد استعمال البيت ذاته في مقطعتين مختلفتين. فالببيت السابق لاجتزا نفسه تلجا إليه الباحث أيضا ليؤكد موقف السبّاب من الشوذة، فيثبت بكلّ طمانينة: «الشوذة الأمل، إذًا، ليست حاضرة بعينه السبّاب. وإذا فهي غير محدّدة في ذهنه. إنّ لا يستطيع وصفها: كالحب، كالأطفال، كالموتى - هو المطر».

(ص ٢٠٥) وهكذا ما كان هناك تعبيرًا عن تحول الحب مطرًا يُفهم هنا تعبيرًا عن عجز الشاعر عن وصف الثورة؟

ز - من جهة أخرى يقوم د. علي الشرع<sup>(١)</sup> بتحويل القصيدة معتمداً يُقتصر إلى الإقناع نظراً إلى انعدام تماسكه وغياب التحرير للأحكام أو الانطباعات التي تُرى بشأنها. ولعلّ الخلل الأساسي في هذا العمل ارتكاهُ إلى رؤية إلى القصيدة تهشّم بناها وتتشوّه من ثمّ لالاتها وتقيمها الشعرية. فالشرع يُتزعج من هذه القصيدة قسماً كبيراً يُخلّ ريفها تقريباً (٣١ بيتاً بدءاً من البيت ١١: «فستليق ملّة رويحي رعضة البكاء»، حتى البيت ٤١: «كالحب كالأطفال، كالموتى - هو المطر») يُخجّره فقرةً مستقلةً خاصةً في القصيدة. كما يؤكّد أنّ زمنها للربط بالماضي مغاير لزمن الفقرات السابقة للربط بالحاضر: «هذه الفقرة، إذن، فقرة استيعابية (Intro- spective) تمثّل فقرات مبكرة جداً من حياة الطفل. وقد استطاع الشاعر الوصول إليها حينما أصيب بصدمة الانعاش التضامني في قوله: فستليق ملّة رويحي رعضة البكاء / ونشوة وحشية تعانق السمعاء / كتشوة اللؤلؤ إذا خاف من القمر» (ص ٧١) غير أنّ هذه «الفقرة» في الحقيقة هي جماع جزئين من مقطعتين

(الثاني من البيت ٧ حتى الـ ١٢، والثالث من البيت ١٤ حتى الـ ٥٢)، يُزيّط الجزء الأوّل منهما (من البيت ١١ حتى الـ ١٢) بما ورد قبله في المقطع الثاني بملافة سببية. فمن التجني فصل هذا الجزء عن سياقه وأضاء استقلاله عنه. كما أنّه من التجني أضاء ارتباط الفقرات السابقة له بالحاضر وارتباطه هو بوقية «الفقرة» التي يُتّنى إليها بالماضي. فبداية «الفقرة» تأتي بصيغة المضارع المعرّب عن الحاضر، مثلاً مثل بداية المقطع الذي تُكلمني إليه. وهذه الصيغة بالذات هي المعتمدة في ثلاث من الفقرات الفرعية الأربع (الأولى والثالثة والرابعة) التي يحيطها الباحث مكوكاً لهذه «الفقرة». أمّا الفقرة الفرعية التي لا تُتّصمها (الثانية) فلأنها تلجا إلى صيغة تضيف إلى الدلالة على الحاضر ماضياً مستمراً في هذا الحاضر. تماماً كما هو الحال في البيت الثاني أي في «الفقرات السابقة»: «كلّ طفل بات يهني قبل أن ينام» (مطلع الفقرة الثانية) «مائل للقول أو شرفقان راح ينادي عنهما القمر». وفي جميع الأحوال لا يصح القول إنّ هذه الفقرة «ترتبط بالزمن الماضي الكامن في طفولة السبّاب» (ص ٧١). فلا فستليق ملّة رويحي رعضة البكاء» (البيت ١١)، ولا «كلّ أقواس المسحاب تُشرب الفيوم»

١ - د. علي الشرع، «قراءة في» انشودة المطر' للسبّاب»، في أبحاث اليرموك (الأردن)، للعدد الثاني ١٩٨٥، ص ٦٢ - ٨٥.



بالمر (في البيتين ٦٦ و ٨٠ - بشكل خاص) وأن الجوع ليس نتيجة الجذب بل الظلم (راجع الأبيات ٦٧ - ٦٩ ثم لاحقاً ١٠٧ - ١٠٨). وفي المقطع نفسه يُعتبر الباحث أن الوليد الذي يُريد تركه في تشيد المهاجرين (البيت ٩٠) يذكّرنا هنا بالشاعر نفسه وقد فقد أمه. غير أنه لا يُلحظ، بفعل المطر، أن يُضجع ندي أمه [١] (ص ٣١) لتسلط الغالطات على هذا النوال حد العيب.

ط - أمّا د. يوسف حلاوي فيكرس في كتابه (١) قصفاً خاصاً لدراسة «الأسطورة في شعر بدر شاكر السياب» ويحظى «أنشودة المطر» بما يُقرب من نصفها. وهو يرى فيها بعينين: بعداً أسطورياً يتمثل في المضاطبة التي يقرئ الباحث أنها «إلهة الضصب عشتار» (ص ٤٧) والتي يُكشف الشاعر - بحسب الباحث دائماً - سرّاً من أسرارها حين يُذكر (إلى جانب الفرج) العنّ الذي تفرق فيه؛ وبعداً واقعياً يتمثل في حزن ذاتي حقيقي «صانه الشاعر» وافضى به إليه الأسى الشعائري الذي كشفه. وبهذا يصبح «الثقافة دراسة تخيلية» تستند إلى المزاوجة الذاتية أكثر من استنادها إلى المعطى النصي. فإذا أضفيت إلى هذا المنهج العام للغالطات العديدة البارزة في مجرى البحث تبين أي

والتركيبة. فالتعبير الوارد في البيت ٣٢ يُنتزع من سياقه لتُفصل عما هو مُصّل به قبله، ويُتصل بما هو منفصل عنه بعده، كي يُؤمّن انطلاقاً منه حتى البيت ٥٢ مقطع هو الخامس. أمّا المقطع السادس وهو الممتد من البيت ٥٢ إلى البيت ٩٥ فيُعرف توزيعاً داخلياً إلى ثلاث حركات لا تمبا بالوضع التركيبي للتعبير. علماً أن الأبيات الممتدة من ٦٢ إلى ٩٥ تمثل جميعها التشييد الذي يُلقاه المهاجرون في مواجهتهم العواصف والرعدة أثناء إبحارهم في الخليج!

من جهة ثانية يُعتبر الباحث المطر عنصراً من عناصر الطبيعة (ص ٧٩). ثم لا يُلحظ أن يُعتبر كلا منهما كياناً مستقلاً عن الآخر كشكر وانثي، بل يُضخان لتمثيل علاقة الطفل بالأم - إخصاب وولادة - في المقطع الرابع (من البيت ٢٢ إلى ٣٦). ليُحد التناقض بالمفارقة ويضيق المنطق السوي نهائياً. أمّا في المقطع الخامس فيجعل الباحث الصيَّان والشاعر واحداً! (ص ٢٧) وفي المقطع السادس يفسّر الجوع الحاصل على الرغم من المطر (في الحركة الثانية في الأبيات ٦٥ - ٨١) بعدم إخصاب المطر الأرض (ص ٣١): على أن التحنّ يُلحظ بوصفٍ أن الضصب حاصل

(البيت ١٤)، ولا «كأن صيَّاناً حزيناً يُجمع الشبائل» (البيت ٢٢)، ولا «اتطمئن أيّ حزن يُبعث القمر» (البيت ٢٧)، ولا ما أدرج بعدها، متعلّق بما يُشقق مع هذا الانعقاد. لكن د. الشرع لا يُكتفي بهذا الخط فيُقلّعه بالتناقض الفجّ حين يُعتبر هذه «الفرقة» تُؤلف مع ما سبقها القسم الأول من القصيدة، وأن القسم الثاني يمتد من بقية أبيات المقطع الثالث (الأبيات ٤٢ - ٥٢) حتى نهاية القصيدة، وحين يدعي أن الوحدات التي يُؤلف منها هذا القسم الأخير - وهي «وحدات فرعية متعاضدة مع بعضها» - «لا تُختلف في بنيتها عن بنى وحدات القسم الأول» (ص ٧٤)

ج - مع د. زهير سقال يُبلّغ الممارسة النقدية حداً كبيراً من التدهور. ويُمكن أخذاً لدراسة القصيدة السياب (١) عتبة عن الاتصال في مقاربة نص شعري. فهذه الدراسة تقدم ملاحقة طافحة بالأخطاء لثلاثيات الذكورة والأثوثة والحياة والموت بحثاً عن «الدليل». فلو وضعنا جانباً المصنوع بهذا المصطلح الطريف فليس بإمكاننا التغافل عما تثيره الدراسة من تحطّط فتقسيم القصيدة إلى سبع حركات أو سبعة مقاطع لا يُشقق ومطابقتها الدلائلة

١ - د. زهير سقال، «النص: المعنى والغضا: محاولة جديدة لقراءة 'أنشودة المطر'» في كتابات معاصرة كائن الثاني - شباط ١٩٩١، ص ٢٦ - ٢٨.  
٢ - د. يوسف حلاوي، «الأسطورة في الشعر العربي المعاصر» (بيروت: دار الآداب، الطبعة الأولى، ١٩٩٤).



مأساة يُشعر عنها وجه هذا النقد، وأي الذي يلحق بالنص من جرأته. فالباحث يتعامل مع زمن الفعل القائم في القصيدة بصورة غريبة، حتى يبدو أنه يُخترع نصاً جديداً؛ فهو إذ يُلدِّس عليه زمن الفعل في المقطع السادس (بدءاً من البيت ٥٢) يحرك ما هو متعلق ومأمول إلى متعلق وحاصل (ثورة العراق لاجتثاث الطفيلان... ص ٥٢ - ٥٣)، بل إن الباحث يُخسِّي في تناول الزمن المُقَدَّم في القصيدة بشكل مثير للتعجب والاستهراب، إذ يرى في قول الشاعر «أكاد أسمع للخيول تُشرب المطر» (البيت ٥٨) أن أشجار النخيل «الآن تُشرب المطر». ومعنى ذلك أنها أصبحت مهيأة لتلقي بكرة الفلاح من المطر المخصب؛ فالوقت قد حان لإسهالها ثورة تجتث الفساد والطفيلان من جذورهما. وفي هذا إيهام بأن النخيل لم يكن في السابق يتفاعل مع المطر الذي كان عتيقاً مفضياً يصيب الحكام المستبدين، الغريان والأفاعي رموز الشر والفساد، التي عطلت الرجولة في المطر لأنها امتصت خيراته الوطن، شذات القطع والجرار [١].

(ص ٥٣)

غير أنه ليس هناك في الواقع من عتة أو خصي، لا من قبل ولا من بعد. والمطر في القصيدة، هنا، ومن قبل ومن بعد، عنصر إضباب وتوليد وفيرين (راجع الأبيات ٨٠ و ٨٥ و ٨٦...) من جهة أخرى لا يكتفي الباحث بإضافات من قبلة على القصيدة، حين يُعتبر الأثر المخاطبة إلهة المخصب ليتني عليها مثيراً أسطورياً، بل يفكر أيضاً معطيات هذه القصيدة ليتوصل إلى رؤية لا تُستقيم مبدئياً ولا جمالياً، وذلك حين يؤكد أن «القصيدة ذات بنية دائرية لأنها تبدأ بالمطر وتنتهي به» (ص ٥٩) ولكن الحق أن ليس البدء بمفردة - مهما احتملت من شحن دلالي - والانتهاؤ بها كافيين لبل تلك الاستنتاج (بنية دائرية) نظراً لاحتمال اختلاف الدلالات باختلاف السياق... ناهيك بأن القصيدة لا تبدأ أصلاً بالمطر!

ي - لا يَلْ عمل ياسين القصير في شعر السيّاب (١) يؤمّننا عن دراسة د. حلاوي، هذا إن لم يبرزها في ذلك. في هذا العمل يتناول الباحث في فصله خاص مطوّلات السيّاب الشعرية الخمس، ومنها «انثودة

الطر» فيعتمد رؤية منهجية تُسم بلاتجانس المقاييس، وبالحكمية في اختيار النصوص، وبلاجدوى المسار. فالباحث يصادر بدءاً في اعتباره التداخل بين البينتين الشعرية والاجتماعية، مولداً لثلاثة أبعاد يجسدها في شعر السيّاب للكائن - وهي «البعد الماضي» الذي يمتدّه «بالغرفة - الكهف» و«البعد المعاصر» ويمدّه «بالساحة - المجتمع» و«البعد النفسي» - الذاتي» ويمدّه «بالعتية التي تُجمع بين الكهف والمجتمع» (ص ٨ - ٩) وهو بذلك يُخطّط مقاييس التمييز، مغفلاً كون البعد النفسي يتحقّق في ما يخص الماضي كما في ما يتعلق بالحاضر، وكون البعد «المستقبلي» لا يقلّ أهمية عن بعدي الماضي والحاضر. كما أن الخل في الممارسة الإعرابية لا يقلّ تعقيداً عنه في الطرح النظري؛ فالباحث يُخترع في دراسته «انثودة الطر» مقاطع من القصيدة غير حافلة لا باحتمال السياق الذي تُردّ فيه ولا بالنظم التركيبي الذي يَحْكُمها، ولا يتوجّع عن إسقاط أبيات من القاطع المشتارة حين أن يُخصّص مبدئاً لذلك أو تُعتمد إشارة منهية عليه (٢).

١ - ياسين القصير، جماليات المكان في شعر السيّاب (مشق: دار للنص، ١٩٩٥)

٢ - تمكّن مراجعة «النماذج» التي اختارها الباحث لدراسة القصيدة (ص ١٠٥ - ١٠٨) حيث تبو بعض البدايات منزوعة من تركيبها النحوي الذي تُرتبط به، كما هو حال المقطع (د) ص ١٠٧. وتُظهر عياب بعض الأبيات من بعض المقاطع، كما هو الحال في المقطع (ب) ص ١٠٥ - ١٠٦، حيث يُسقط بيت قبل الأخير منه دون أي إشارة إلى ذلك فينتجّر المعنى ويُختلف عن الأصلي، والمقصود، والمقطع (د) ص ١٠٦ - ١٠٧ حيث سُقط ثلاثة أبيات بعد البيتين الأولين اللذين يفتحانه دون أن تُلغى النقاط التي تحل محلّها في سدة فجوة انقطاع العبارة الناتج عن ذلك والتحوّل دون تحريف المعنى الأصلي.



عليها. ولا يُلَبَّد. د. زيتون أن يُعَبر سريتا  
مقطعاً مستلاً من «عرس في القرية»  
(١٩٥٤)، ليتوَلَّف ملحقاً عند مقطع من ١٣  
بيتاً (من البيت ٩٦ إلى البيت ١٠٨)  
يُنزعه من «أنشودة المطر» ذات الـ ١٢١  
بيتاً. وهو في دراسته هذا المقطع يُطلق  
قراءة مغلطة للأبيات، فيَجْعَل للؤلؤ  
الخليج «لفظة اجتماعية» ومحاوَره والموت  
فيه «لفظة أخرى» (ص ٩٤) - وهذا ما لا  
تقبله الأبيات. بل يُمكن القول إنَّ من  
يصيبن للؤلؤ أو المحار أو الموت هم من  
فئة اجتماعية واحدة، هي فئة المهاجرين  
الذين غادروا العراق بحثاً عن رزق  
خُرْمو، أو عن حياة تعذَّرت عليهم فيه،  
ولمَّ كان الصرمان والموت هما ما يرجع  
بلوغه فعلياً. ويقع الباحث في الاضطراب  
والتناقض في محاولته توزيع المعنى  
المجمعي في حقلين دلاليَّين طبيعيَّي  
وإنسانيَّي، حين يجعل الردى في الثاني  
دون الأوَّل (ص ٩٥) - مع أنَّه قائم في  
هذا الأخير منه مثل اللؤلؤ والمحار كما  
يُصبح النصُّ يوضح عن ذلك - ليصل  
إلى استنتاج لا يُلَفِّق ومعطيات هذا  
النص. وهو القول بأنَّ حقل الطبيعة  
إيجابيٌّ مرتبط بالخير الوافِد مقابل  
الإنسان السلبيُّ المرتبط بالقيس والموت.

في هذه الدراسة خُروج عن العلن  
والمعنى: فليس هناك من تناول لنصٍّ  
كامل، بل انتزاعُ لمادة البحث من سياقها  
ووضعها في سياق آخر، على تعقُّر في  
الفهم واختلال في التحليل. وقد يكون  
استعراض المقاربة الخاصة بـ «أنشودة  
المطر» فيها كافياً لإعطاء فكرة عامَّة عن  
المقصود.

في دراسة البعد الاجتماعي في شعر  
السيب المتَّزِم بقضايا الجماعة يبدأ د.  
زيتون بمقطع من ثمانية أسطر (من  
السطر ٤٠ إلى السطر ٤٧) من قصيدة  
من ١٢١ سطراً هي «في المغرب العربي»  
(إذار ١٩٥٦) لتأكيد مذادة السيب  
«بالشورة على كلِّ نوع من أنواع الظلم»  
(ص ٩٣) ولكنَّ الناظر في الأبيات لا يجد  
موقفاً للسيب من جميع أنواع الظلم.  
والرجوع إلى سياقها في القصيدة يرجع  
إشاراتها إلى الدعوات للتحريض ذات  
الجذور العربية والإسلامية لثورة الشعب  
الجزائريِّ على الاستعمار الفرنسي.  
وتكاد القصيدة بمجملها تخلو من أيِّ بعد  
اجتماعيٍّ<sup>(١)</sup> كان على الباحث، حسب  
المنطق الذي يُحكِّم دراسته، أن يدرجها  
في البعد الثاني (القومي) من الأبعاد  
الأربعة التي ورَّع شعر السيب المتَّزِم

والأخطر من ذلك هو تلك العاطفات التي  
يقع الباحث فيها. فهو يُقدِّر للساة  
والشاة والخريف والموت واليلاذ والظلام  
والضياء امكنة. بل امكنة لا يحدها  
زمان. (ص ١٠٨) ثمَّ إنَّ التحليل المخلوط  
الذي يُلجأ إليه يصل به إلى نتائج خاطئة  
بل مناقضة للرؤية التي تُعطيها القصيدة،  
كما هو الحال في تفسيره لما يرد في  
المقطع (هـ) من توازن بين هطول المطر  
وعشب الأرض من ناحية، وجوع الناس  
من ناحية ثانية، بالمعنى الذي يسمُّ السماء  
والأرض: «... في كلِّ عام، تُكسَّر  
والأرض تُكسَّب، ومع ذلك فالجوع باقٍ...»  
هذه الاستمرارية جعلت مكانتي الصورة  
الشعرية السماء - الأرض عقيمان  
[مكلا]» (ص ١١٤)

له - أخيراً ثاني مساهمة د. علي زيتون<sup>(٢)</sup>  
لِاستعميد مغالطات ترتبَّت في أعمال  
سابقة، ولا شأن يُذكر لأسماء منهجية  
فيها تُبرز بدائياً وعمومياً راجعتين. لكنَّ  
الدراسة الإجمالية تُشفي إلى ما هو  
أخطر من ذلك، إذ تغادر الانعادات للغة  
إلى انتفاضة جميعية ذات سمات مدارية  
أولية تُركِّب تحت عناوين مستهلكة  
(المدنية والريف والفرد والجماعة... إلخ)  
شذرات متفرقة لا ينتمى لها سياق محدّد.

١ - د. علي زيتون، السيب - أضواء على الرؤية واللغة الشعرية (د.م.: حركة الريف الثقافية، الطبعة الثانية، ١٩٩٩ [الطبعة الأولى ١٩٩٦]).

٢ - راجع نصَّ القصيدة، وراجع دراستنا الخاصة لهذا النص في كتاب صدر من دار الآداب مؤخراً عن السيب.

وقد لا يكون هذا الاستنتاج المخلوط مرتبطاً فقط بتحويل مواقع الموت بنقله من حقل الطبيعة (الحلج) إلى حقل الإنسان وحده، إذ يبدو للنهج المعتمد نفسه القائم على وصف تراكمي للعنصر المعجمي بناءً على هذين البعدين في أساس الخطأ المذكور أيضاً.

لكنّ الأشدّ طرافةً وإثارةً للأسف ما يورده الباحث من تأويل لغياب «اللؤلؤ» في ما يُرجّعه الصدى من صياح المتكلم بالظليج. فهو يُعتبر أنّ «تخفلاً أن قد حذَف وجود اللؤلؤ من مضمون الصدى» (ص ٩٨) وأنّ المتدخل مستغلٌّ شرير له الغلُف من كلّ شيء وعلى الفقراء الغرْم. ولا يثبت الباحث أن يعبّر المتدخل المذكور في «آلاف الأفاعي» التي تُخرب خيرات العراق: «الأفاعي هي للمسؤولة عن ضياع [اللؤلؤ] من الصدى، وهي المسؤولة عن استغراق البائس المهاجر في الموت، وهي المسؤولة عن نشر الرغمو والحسار دون اللؤلؤ.» (ص ١٠١)، ولست أدري إن كانت مسؤولة أيضاً عن مثل هذا التخليط. ولو تجاوزنا الأحكام الاعتبارية التي يُطلقها الباحث<sup>(١)</sup> فإنّ تحليله آيات «أنشودة المطر» العشرة الأولى يُشمل العديد من المغالطات التي تعود إلى

تساقط المنهج أو الإسقاطية الذاتية على النحو الذي لوحظ بصدد الآيات السابقة من القصيدة ذاتها

كما أنّ الاختلال قائم كذلك في الدراسة التفصيلية للآيات. فالكتنوز زينون يعيد أولاً تركيب «النصر» بصيغة مختلفة عن تلك التي يقوم عليها، وذلك بقراعه في لوحات ثلاث. فيجعل الصورتين الأولىين اللذين تردان في البيتين الآتين في لوحة أولى، ويأخذ من الآيات الأربعة اللاحقة التي تُلخص فيها الصورة الثالثة الآيات الثلاثة الأولى ليجعل منها اللوحة الثانية، ويضمّ البيت الرابع الأخير الذي يُلتمى به للقطّ الأول من القصيدة إلى الآيات الأربعة الأولى من المقطع الثاني المكوّنة للصورة الرابعة في القصيدة ليقدم لوحة ثالثة. هذا في الوقت الذي يُحمل فيه الآيات الثلاثة اللاحقة التي تُكمل ما قبلها ويضمّ بها المعنى للصورة ويتّهم بها للقطّ الثاني. فالحق أنّ البيت السادس الذي يُلتمى إلى الصورة الثالثة يُركّب بالمرح والسعادة اللذين تؤبّيهما هذه الصورة، بينما تُركّب الآيات الأربعة اللاحقة بالحزن والكمد، وكرّر الباحث حين يجعل هذه الآيات جميعاً في لوحة واحدة يُشخّص المعنى الدلالي للنص ويضوّقه.

الخلاصة: جدوى الفقد؟

يُطسّ الناطق في هذه الإسهامات المختلفة إلى جملة من الملاحظات أمثلها ما يأتي:

١ - اشتراكها جميعاً، على تفاوت في عوارض الإسقاط الذاتي والتعمّس، في الأحكام والمغالطة في الرؤية والتحليل. لم تُشخّص لدى أيّ من أصحابها مقارنة ملائمة للنصر الشعري موضوع الدرس، فعمد الانصراف أعمالهم على درجات متفاوتة. لا يُطلى أنّ بعض هذه الإسهامات قد حذَفَ بسمات إيجابية لا تُذكر، بيد أنّ هذه السمات بقيت محدودة ومبعثرة لا يُنظّمها نسق منهجي، لذلك لا يُؤخذ بها إجمالاً. إذ لا يعول في الممارسة النقدية المجدية على فكرة صانعة من هنا أو رأي سليم من هناك، بقدر ما يعول على النهج العام في مقاربة الأعمال الأدبية موضوع الدرس، وهو نهج يبدو تأسفُهُ مسكوكاً بالمنهجية البحثية الفاجعة من ناحية وبتنظيم معطيات النص الكلية من ناحية ثانية. ولعلّ غياب هذا الالتزام تحديداً هو القاسم المشترك بين الإسهامات النقدية للنشار إليها، وهو غياب ألق القول النقدي في فضاء لا حدود له، فمضى يتناسل بالتداعي سراًوحاً بين الهدر والذهيان، دون أن تتكلّم المنهجية من لجه

١ - مثل قوله حياة السحاب مكها سبكاً وتوقاً إلى الأثني (ص ١٠٢)، ودلّ اعتباره الآيات التي يأتي بها من قصيدتي «لحراق» و«من غداً سافلاما» دالّة على الحرمان الجسدي على الرغم ممّا تُخفّل به كلّ منهما من تمايز يُركّب الإشباع الجسدي تحديداً.



ويعد

يصبح من الضروري تنبيهه إلى ذلك، ونقد، واستشارة الحوار معه بشأن القضايا الموروثة التي يُجرى تناولها. وهي قضايا غير ثابتة، والتصورات والأحكام بشأنها غير نهائية. ضمن هذا المنظور يتقدم هذا النقد (نقد النقد) نقداً للذات، في الوقت الذي يتقدم فيه نقداً للآخر، وذلك بقدر ما يتيح طرق هذه القضايا، ولورة المنهجيات المناسبة للمقاربات التي تُقدّمها.

في هذا الإطار تحديداً يُجرى وضع ما ورد أعلاه، على أن اكتماله يُقدّم من ناحية أولى تناوّل الأصول المنهجية التي تشكل مركزات الإسهامات النقدية المختلفة التي جرى التعرّض لها أعلاه، باتجاه نقاش أهدافها ومقارنتها ومدى فعاليتها النظرية والعملية، ويُقدّم من ناحية ثانية دراسة لنصّ تصنيفية السيّاب (دانشنامه الطهر) يتمثّل فيها نقدٌ مختلف، أو على الأقلّ منحنى منهجيّ مختلف، يتخطى المأخذ التي سبّكت على الإسهامات المستخرجة. ولما كان الجالّ هنا لا يتّيح القيام بذلك، فإنّ الرجوع إلى بعض أعمالنا لتقديم هذه مخطّط معال قد يكون مفيداً لتكوين فكرة أولية عن الاتجاه المنهجيّ المذكور وماله (١).

بيروت

فعاليتها ومداها في أن، فقد لا يكون مفيداً للتسهيل لمنهج نقديّ أجنبيّ المصدر، والمصارعة إلى تطبيقه على الأعمال العربية كيفما اتفق. وخلافاً لذلك قد يكون في تقديم لهذا المنهج أو ذاك بما يوضّح غايته ويحدّد أليات اشتغاله كبير فائدة.

٣ - بلوغ الغلّ النقديّ حدّاً من الانتشار ومن العمق يُجلب التساؤل من جدوى النقد الأدبيّ مشروعاً وملاً. فإذا صحت الملاحظات الخاصة بهذه الإسهامات النقدية - ومعظم هذه الإسهامات من قِبل أصحاب اختصاص عالٍ - وكانت بذلك تعطي صورة مُجمّلة عن أوضاع النقد الأدبيّ العربيّ السائد، تبثّ للمراجع أيّ تشويه أو أدّى يُمكن هذا النقد أن يلحق بالأعمال الأدبية الإبداعية خسراً مبرحاً وبالحياء الفكرية والثقافية عموماً. صحيح أن هذا ليس بالطبع هو هدف النقد أو غاية أصحابه؛ ومع ذلك فليست النّيات - على طبيعتها - هي لقياس أو الحكم في مثل هذه الحالة، بل الفعاليّة الإجرائيّة العمليّة في مقاربة النصوص الأدبية. وقد تتمثّل هذه الفعاليّة في مدى أسّاق للنهج البحثيّ وملاسته للعمل الأدبيّ المتناول، ومدى إقناعه بتماصك طرحه وطرافة نتائجه. وعندما يُتصرّف

تماماً، الأمر الذي يُدفع إلى البحث عن تفسير لهذا التفاوت؛ أهمّ عائد إلى المنهج نفسه أم إلى أسباب قائمة خارجه؟

٢ - المفارقة فيها - على تفاوت أيضاً - بين الطروحات النظرية والممارسات العملية، بغضّ النظر عن الأصول المنهجية المتعدّدة المخفّرة من قبل النقاد المعنّين. لعلّ أحدًا لا يُمكنه أن يأخذ على ناقد اعتماد منهج دون آخر، إمّا لا يُمكن في المقابل أيّ ناقد أن يقول بمنهج ولا يتّزعم به. ويأخذ عدم الالتزام إشكالاً متعدّداً تبدأ من التحكّيمات التي يُعمل بها الناقد لتُقرض على النصّ ما ليس فيه (فالنقد الاسطوريّ لا يُشغني أن كلّ أشقى هي عشترت...) ولا تُلّهي عند تطبيق لا يمتّصلة إلى مرجعيّته الملقنة (فالبديويّة) ليست عمليّةً لتخصيص وتجميع. وهذا الوضع السائد يُدفع إلى ضرورة التذكير ببيدهيات النقد الأدبيّ، وأولى هذه البيدهيات تتمثّل في القراءة السلمية للنصّ الأدبيّ. ولما كانت القراءة لا تتمّ من دون منظور محدّد، فإنّ جدليّة العلاقة بين قراءة النصّ ومنهج البحث تُقرض التّكثّر بالبيدهيّة الثّانية المتعلّقة بضرورة التحصيل في المنهج المتّقيّ لبلورة ميدان

١ - من هذه الأعمال: أبحاث في النصّ الروائيّ العربيّ (بيروت: دار الآداب، الطبعة الثانية ٢٠٠٠)؛ وفي النصّ الشعريّ العربيّ - مقاربات منهجية (بيروت: دار الآداب، الطبعة الثانية ١٩٩٩)؛ وجمهورية الحداثة المعلقة - في ظواهر الإبداع في الرواية والشعر والمسرح (بيروت: دار الآداب، الطبعة الأولى ١٩٩٨). كما يمكن العودة إلى بدر شاكر السياب وريادة التجديد في الشعر العربيّ الحديث (بيروت: دار الآداب، الطبعة الأولى، أيلول ٢٠٠١) وهو كتاب لم يُكُنْ قد صدر بعد حين أنجز هذا البحث.

## العرب في مواجهة العولمة: التحركات المنظمة الأولى

□ الآداب

عُقد في بيروت في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) مؤتمران لمناهضة العولمة على هامش المؤتمر الوزاري الرابع لمنظمة التجارة العالمية في الدوحة. وكان قد سبق مؤتمري بيروت (الملتقى العربي الأول لمناهضة العولمة، والمندوب العالمي حول منظمة التجارة العالمية) لقاءات كثيفة في شهور الصيف. وقد شارك في المؤتمرين المذكورين عددٌ من الفعاليات اللبنانية والعربية والعالمية.

الأكراب تعالج في هذا الملفّ الشغرات التي شابت المؤتمرين، والإنجازات التي حققها إنْ كان ثمة من إنجازات. وفيه يتمرّض بعضُ الكُتاب لدور الأحزاب المشاركة، وللمتناقضات الداخلية في صفوف الداعمين والناشطين، ولتخلّف جوانب من الثقافة السياسية التي أدّت - في رأي البعض - إلى فشل التحركات الأولى أو محدوديتها. ويقدمُ الملفّ عرضاً مكثّفاً لمؤتمر الدوحة، كتبه خصّيصاً لـ الأكراب الباحث والناشط البلجيكي رافول مارك جنار، بمثابة «أرضية» للمؤتمرين المذكورين.

وتأمل الأكراب أخيراً أن يشكل هذا الملفّ مقدّمة لورشة حوار ثقافية وسياسية ونضالية حقيقية «عربية - غربية» على طريق «عولمة قضائنا»، كما يقول قاسم عزّ الدين، من أجل تصويب حركة مناهضة العولمة الليبرالية في المنطقة العربية.

بيروت

## مؤتمر الدوحة: كل شيء إلا التنمية

خاص به الأراب

ترجمة: رنا إدريس

□ راوول مارك جتار

ملياراً من الدولارات الأميركية، فيما هما يُشعنان سائر أقطار العالم من مساندة إنتاج السلع الغذائية وتصديرها، ومن حماية أسواقها الداخلية من هذه المنافسة غير الشرعية لم يعط مؤتمر الدوحة أي شيء للفلاحين الصغار. وقد جازف الأتحاد الأوروبي بإفشال مؤتمر الدوحة لحماية الزراعة الصناعية الأوروبية ونموذجها الإنشائي الجالبغ فيه (الذي تُعرف تجلياته: الديوكسين، وجنون البقر، والحصى القلاعية، والتلوثات الهائلة). والتزم مشروع إعلان الدوحة «إنفاص إعانات التصدير تمهيداً لسحبها التدريجي». وقد حصل الأتحاد الأوروبي على قرار يفيد بأنه لن يكون هناك إلزام بالفتائج، وكانت البلدان النامية تطلب إجراءات مختصة بالزراعة الصغيرة، وكان الأتحاد الأوروبي في أقصى المعارضة لهذا «الصندوق الإنمائي».

### الخدمات

يؤكد مؤتمر الدوحة على المفاوضات الجارية والأنجاءات المتخذة والأهداف المتبعة. وبالرغم من المخاوف التي يعبر عنها المواطنون، فليس هناك ما يدل على أن مبدأ الخدمات العامة سيتم حمايته من إرادة الخصخصة.

### حقوق الملكية الفكرية والصحة

إن اتفاق حقوق الملكية الفكرية الفكرية يتناقض مع تطبيق الحقوق الأساسية: الحقوق الصحية، وحق الشعوب في السيادة على ثرواتها الطبيعية. وفي ما يخص بحث الحصول على الأدوية الأساسية، فقد تحقق تقدم ملموس، وكان المفوض الأوروبي للتجارة العالمية، في شباط عام ٢٠٠٠، قد أكد أن براءات الاختراع الصحية ليس لها أي تأثير على أسعار الأدوية. ولكن الإعلان الذي تبنيه مؤتمر الدوحة يؤكد عكس ذلك تماماً. ونحن نرى الشروط الذي تم قطعه، فالنص ينص على تقديم سياسات محسوبة، ولكنه لا يحتوي أية ترجمة قانونية. لقد تم التعرف والاعتراف بالمشاكل التي تطرحها براءات الاختراع الصحية العامة ومكافحة الأدوية.

منذ اتفاقات مراكش، عام ١٩٩٤، لم تتراجع إرادة البلدان المصنعة عن فرض الإيديولوجية الليبرالية المتطرفة. وقد سجل غياب القرار، أثناء مؤتمر «سبائل» الوزاري، بداية مقاومة دول الجنوب، وبفضل التطورات الحقيقية التي أنجزتها البلدان النامية على صعيد خبراتها وتماسكها، فإن المؤتمر الذي عُقد مؤخراً في الدوحة، بالرغم من أنه أهدأ انطلاق سريرة تسليع البضائع والأشخاص، حذ من الطموحات التي أطلقتها الدول المصنعة. لكن للجسم الأساسي لاتفاقات مراكش بقي دين أي تعديلات.

وقد أكد مؤتمر الدوحة أن اللغة المزدوجة للصكوكات الأوروبية ولجنة بروكسيل قد أصبحت حقيقة كونية. ففي لحظة اتخاذ القرار، لا يقف الأتحاد الأوروبي إلى جانب البلدان النامية. وأخيراً، يقدم مؤتمر الدوحة نصاً للتأكيد الحديث (بتاريخ ١٩/١١/٢٠٠١) الذي أوردته فاينانشيل تايمز الزاعم أن «النظام المتعدد الجوانب والمفتوح يعطي للفقر والضعفاء الحقوق نفسها التي يعطيها للأغنياء والأقوياء».

لما نموذجان من المفاوضات في منظمة التجارة العالمية. فهناك المراهقة المتعلقة بالمفاوضات شبه الدائمة كالزراعة والخدمات وحقوق الملكية الفكرية. أما فكرة «الجمولة الجديدة» بمتعلقة بمفاوضات تخصص مزايا أخرى، وكانت الولايات المتحدة وأوروبا قد عمدا إلى «جولة جديدة طموحة» من المفاوضات. ومنذ زمن قصير، وبسبب مناهضة البلدان النامية، كانت قد عرّضتا إعادة تمديد مشروع «ريزنامة من أجل التنمية» دون أي تعديل لحقوى الاقتراحات الليبرالية المتطرفة. وليس برنامج الدوحة طموحاً ولا مركزياً للتنمية.

### الزراعة

إنه الملف الذي يثني الأغلبية الساحقة لسكان المعمورة، وهم الفلاحين الصغار. ولكن الأتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأميركية كلاهما يشعان في كل عام لزارعيهما، وبشكل مختلف، ثلاثمائة وثمانين

بالرغم من شغل أوروبا وأميركا،  
ضبان البلدان النامية قد بدأت تدافع عن  
مصالحها

محسوس بخصوص احترام البلدان الغنية للاتفاق الخاص  
بالأقمشة والملابس، ولا بخصوص التدابير الفاحشة التي اتخذتها  
هذه البلدان نفسها في إجراءاتها ضد الإفراق.  
- إصلاح آلية تسوية النزاعات: إن المرء سيُسَرُّ بالإمكانية المتاحة  
على هذا النحو، في أن يرى من جديد آلية الثارت - بحق -  
انتقادات عديدة جداً.

ينرك المرء أن أهمية البجولة الجديدة محدودة وكان الأمر ليختلف لو  
أُنْ استثمر (إعادة الزخم إلى الاتفاق المتعدد الجوانب حول  
الاستثمار، وهو اتفاق رُفِضَ عام ١٩٩٨) والمفاسدة وتسهيل المبادلات  
كانت على جدول المفاوضات التي ستبدأ أوائل عام ٢٠٠٢. وكانت  
الدول النامية قد أعلنت جماعياً أنها لم تكن مستعدة لهذه القفزة  
الكبيرة إلى الأمام في سياق التبادل الحر. والحق أن صلاية موقف  
الهند هي التي أدت إلى تقصير رسمي للنص كان سيتيح إمكانية  
عرقلة بدء المفاوضات حول هذه الموائمة.

أما القواعد الأساسية للعمل المعترف بها دولياً، فهي تبقي من  
الصلاحية للصمريّة لنظمة العمل الدولية.

وفي الختام، يلاحظ أنه، بالرغم من ثقل أوروبا والولايات المتحدة،  
فإن البلدان النامية قد بدأت تدافع عن مصالحها. وكل شيء من  
الآن فصاعداً سيجري في جنيف، ولا بد من معركة طويلة وقاسية  
تخاض من أجل وضع التجارة في خدمة الشعب، لا أن يكون  
الشعب في خدمة التجارة.

باريس

راوول مارك جنار

استاذ في العلوم السياسية، متخصص في العلاقات الدولية مع تركيز  
على جنوب شرق آسيا والمنظمات الدولية. عمل أول الأمر استاذاً  
للرئيسية، ثم مراسلاً، ومستشاراً للشؤون الدولية لجلاس الشيوخ  
البلجيكي. يعمل في منظمة Oxfam في بلجيكا عضواً في منظمة  
URFIG وجمعية الصداقة الفلسطينية - البلجيكية

وقد عبّرت الدول عن تمهيتها أن لا تُشعّ اتفاقيّة حقوق الملكية  
الفكرية للدول من المصنوع على الأدوية الأساسية. ومُدت عشرة  
أعوام مهلة تطبيق اتفاقية الحقوق هذه على البلدان الأقل تطوراً.  
ولكنها رُفِضت اتّخاذ قرارات ملزمة. ولم تُطرح مسألة مبدأ برامة  
الاختراع. وستُعقد مفاوضات بشأن مسألة استيراد الأدوية  
النوعية génériques. وفيما يتعلّق بحق الشعوب في السيادة على  
ثرواتها الطبيعية، والنضال ضدّ القرصنة البيولوجية، فإن الإعلان  
يطلب بفحص العلاقة بين الاتفاق على الحقوق الملكية الفكرية  
والشعرة المتعلقة بالتنوع البيولوجي، وحماية المعارف التقليدية  
والدولكورية، دون تغيير في الاتفاق القائم.

البجولة الجديدة

سوف تدور المفاوضات حول الموائمة التالية:

- حقوق الجمارك والتعرفة على الموائمة الصناعية. وكانت البلدان  
الأفريقية قد طالبت بعدم إجراء مفاوضات قبل القيام بدراسة  
معقنة عن تأثير تخفيض حقوق الجمارك والقيمة القصوى للتعرفة  
في عدم تصنيع البلدان النامية. ولم يُستجب لطلبها.

- الاتفاقات المدرجة في إطار «العلاءة القديمة حتى عام ١٩٩٤:  
ستتناول المفاوضات الإعانات (كمصائد السمك مثلاً) والاتفاقات  
التجارية الإقليمية.

- البيئة. سيتمّ التفاوض حول العلاقة بين قواعد منظمة التجارة  
العالمية والاتفاقات الدولية في أمور البيئة. ولكن هذه المفاوضات لن  
تُجرى البلدان التي لم توقع على هذه الاتفاقات. وهكذا تبقى الولايات  
المتحدة الأميركية حركة في التصرف كما يحلو لها. وسيتمّ  
التفاوض أيضاً على خصخصة الخدمات العامة البيئية (إلياءه،  
الحفاظة النفايات...).

- كذلك سيتمّ التفاوض على أشكال تطبيق الاتفاقات القائمة. وهو  
مطلب طالبت به بشدّة البلدان النامية. على أنه لم يُحرر أيّ تقدّم

# المنتدى العالمي حول منظّمة التجارة العالمية: من بيروت إلى الدوحة

□ زياد عبد الصمد

## اللقاء اللبناني حول منظّمة التجارة العالمية

انسجاماً مع هذه الدعوة دعت «شبكة المنظمات العربية غير الحكومية للتنمية»، وهي عضو في هذا التحالف العالمي، من خلال اعضائها في لبنان، تجنّب الهيئات الأهلية التطوعية وهيئة تنسيق الجمعيات العاملة في تجمّعات الفلسطينيين في لبنان إلى تنظيم منتدى عالمي حول العملة والتجارة العالمية في بيروت بين الخامس والثامن من نوفمبر.

ولهذه الغاية، ويدعو من «التجّعة» و«الشبكة»، نفس اللقاء اللبناني حول منظّمة التجارة العالمية. وقد ضم هذا اللقاء ممثلين عن النقابات العمالية والزراعية والجمعيات الأهلية والاجتماعية والبيئية والمهنيين والطاعات النسائية والطاوية والتعليمية في مختلف المراحل. وأصدر ورقة مبادئ عامة تحدّد من خلالها موقفه من القضايا المعروضة على الاجتماع الوزاري الرابع للمنظمة، وهو موقف رافض للاقتراح القاضي بإطلاق دورة اجتماعات جديدة للمفاوضات حول اتفاقيات جديدة قبل أن يصر إلى تقوم المرحلة السابقة من عمل المنظمة ومن ثمّ إعادة النظر في الاتفاقيات المعقودة فيها وفي الاتّات عملها ولاسيما آلية فضّ النزاعات، وكذلك النظر في المبادئ العامة التي تحكّم عمل المنظمة كالمعاملة التفاضلية والمعاملة الوطنية وإزالة الدعم والحوافز التجارية أمام للتجات الأجنبية الخ. كما حدّث ورقة المبادئ الأهداف المباشرة للقاء، ولاسيما لجهة إطلاق نشاط ذي بعد دولي في لبنان.

وأعلن «اللقاء اللبناني» عن نيّته تنظيم «المنتدى العالمي حول العملة والتجارة الدولية»، وذلك على هامش اجتماع تحضيريّ دولي نظّمه في بيروت يوم ٢٧ تموز (يوليو) بحضور ٦٠ شخصاً يمثلون التحالف الدولي «عالمنا ليس للبيع» ومنظمات دولية أخرى. وقد تخلّل ذلك الاجتماع زيارة لرئيس الجمهورية اللبنانية ومؤتمر صحفي عُقد في مقر نقابة الصحفيين.

فور إعلان منظّمة التجارة العالمية قرارها تنظيم اجتماعها الوزاري الرابع في مدينة الدوحة بين التاسع والثالث عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) دعا التحالف الدولي المناهض للعملة الرأسمالية «عالمنا ليس للبيع»، ويضمّ عشرات التجمّعات الدولية، إلى تنظيم نشاطات ترفي كل انحاء العالم احتجاجاً على جدول الأعمال الذي اقترحه البلدان الصناعيّة للسيطرة على قرار المنظمة وتجنّبه الإدارة العامة وعرضه على المجلس العام، ليصبح بذلك جدول أعمال الاجتماع الوزاري الرابع لمنظمة التجارة العالمية.

## التحالف الدولي «عالمنا ليس للبيع»

أصدر التحالف بياناً تحدّد فيه مطالبه المحددة، وهي تقضي بإعادة النظر في الاتّات عمل المنظمة وقضايا تطبيق الاتفاقيات القائمة كالزراعة وصناعة النسيج والألبسة وحقوق الملكية الفكرية والخضروات، والمعروفة بـ «قضايا الأوروغواي»، والنظر كذلك في الاتّات فضّ النزاعات وتيسير للتجارة وفتح الأسواق، فضلاً عن الاتّات اتخاذ القرار في المنظمة. كما أكد التحالف في بيانه على ضرورة دعم البلدان النامية وتمكينها من تفعيل مشاركتها في اجتماعات المنظمة وفي قراراتها، بدل الانصراف إلى فتح دورة جديدة من المفاوضات تنتهي بضمّ اتفاقيات جديدة إلى المنظمة، كاستثمار والمناخ والمناخ والمناخ في المشتريات الحكومية وسياسات العمل والبيئة، وهي المعروفة بـ «قضايا سنغافورة».

لجّت نداء التحالف الدولي حركات شعبية، فدعت إلى تنظيم المظاهرات يومى التاسع والعاشر من نوفمبر، أي في يوم افتتاح المؤتمر في الدوحة ويوم بدء المفاوضات فيه، وذلك في كل من الولايات المتحدة وكندا وأوروبا وآسيا وإفريقيا وأمريكا الجنوبية والوسطى. وقد شارك في هذه المظاهرات مئات الوف المظاهرات عبر العالم.



شكل -المنتدى العالمي- في بيروت أول ظاهرة من نوعها في المنطقة العربية في إطار الحركة الدولية المناهضة للعولمة

المزارعين المناهضة للعولمة الرأسمالية جزوي بونيه؛ ومسؤول العلاقات الدولية في منظمة «اتاك» الفرنسية كريستوف أميتون؛ ووزير المالية اللبناني السابق الدكتور إلياس ساي.

نظم المنتدى خلال ثلاثة أيام خمس جلسات عامة تحدث فيها ما يربو على الثلاثين محاضراً، وخمس عشرة ندوة شارك فيها ما يزيد عن ٤٥ خبيراً وخبيراً، وحضرها مئات الشخصيات والباحثين والكتابيين وممثلي للمنظمات غير الحكومية من بينهم ١٢٠ شخصاً جاؤوا من خارج لبنان: ٥٥ من البلدان العربية، و٦٥ من مختلف القارات.

ارتدى المنتدى أهميته خاصة لجرده انعقاده في المنطقة العربية، وفي الشرق الأوسط تحديداً، في ظل الظروف الدولية الراهنة حيث يشهد العالم حرباً يشنها التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية على الشعب الأفغاني مع التهديد بإمكانية توسيع نطاق هذه الحرب لتطول شعوباً وبلداناً أخرى من بينها دول عربية، ولتطوّل كافة القطاعات كالإقتصاد والسياسة والثقافة. وتستغل الحكومة الإسرائيلية هذه الأوضاع لتتخاضع من ممارساتها الإجرامية والعنصرية ضد الشعب الفلسطيني، فتشعن في سياسات التطهير العرقي والأغتيالات لناشطين ومناضلين فلسطينيين، وفي هذا الوقت أيضاً يستمر المصاعب العاشق على الشعب العراقي.

كما شكّل «المنتدى» في بيروت أول ظاهرة من نوعها في المنطقة العربية في إطار الحركة الدولية الناشئة والمناهضة للعولمة الرأسمالية، بحيث أسهم في انخراط المجتمع العربي فيها وفق أهداف محددة وواضحة تستهدف متطلبات مواجهة التحديات التي تُشكلها هذه العولمة على شعوبنا العربية. وشكّل أيضاً ظاهرة لافتة تعكّلت بالقدرة على جمع التنوع الذي تتألف منه الحركة العالمية المناهضة للعولمة الرأسمالية، فاستطاعت أن تتجاوز اختلافاتها في

المنتدى العالمي حول العولمة والتجارة العالمية في بيروت كان من المقرر أن يشارك في «المنتدى العالمي» الوفّ من ممثلي الحركة العالمية المناهضة للعولمة الرأسمالية والمعارضين لسياسات منظّمة التجارة العالمية، التعبير عن رفض جدول أعمال المفاوضات المقترح على الاجتماع الوزاري الرابع لهذه المنظّمة والمصدرة إلى إصلاح النظام العالمي وبخاصة الاقتصادي والتجاري بتأجرام أكثر عدالة وديمقراطية وشفافية. إلا أنّ أحداث ١١ أيلول، التي سبق أن دانها «اللقاء اللبناني» كما دأب رندون الفعل عليها، دفعت به إلى إعادة النظر في حجم المنتدى مشدداً على أهميته ل انعقاده في بيروت في تلك الفترة بالذات للتأكيد على أنّ معالجة الاختلالات في النظام العالمي - التي سيناقشها المنتدى - تشكل أساساً قوياً لمعالجة الأزمات المولدة لردود الفعل الإرهابية، ومن ثمّ فإنّ محاربة الإرهاب تكمن في معالجة أسباب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لا في التوجّه إلى ظواهره. كما رأى «اللقاء اللبناني» أنّ تنظيم «المنتدى» في المنطقة العربية، وتحديداً في بيروت، إنّما يُعْمَل دلائل كبيرة لعل أهمها التعبير عن التضامن الدولي مع شعوب منطقة الشرق الأوسط - أوائل ضحايا الإرهاب الصهيوني والإمبريالي في العالم.

افتتح «المنتدى العالمي» حول العولمة ومنظّمة التجارة العالمية أعماله عصر نهار الخامس من نوفمبر في جلسة افتتاحية في إحدى قاعات الجامعة الأميركية في بيروت، حضرها مئات اللبنانيين وممثلي المنظّمات الدولية للمشاركة تحت شعار «عالمنا ليس للبيع» ولا لحيرة اجتماعات جديدة في النجعة» وتحدث في هذه الجلسة كلٌّ من الرئيس الجزائري الأسبق أحمد بن بلة، أحمد أبرنّ للوجوه المناهضة ضد الاستعمار والهجمة الأجنبية على المنطقة العربية وعلى مستوى البلدان النامية عمومها. وتحدث فيه أيضاً الدكتور سمير أمين، الباحث الاقتصادي المعروف ورئيس منتدى العالم الثالث ومنتدى البلدان؛ والمناضل الفرنسي المشهور وممثّل حركة

## المنتدى العالمي حول منظمة التجارة العالمية:

### من بيروت الى الدوحة

بيروت وتمكنت من خلق جو ساد فيه روح المسؤولية وتميّز بجدية المناقشات.

وتناول «المنتدى» أبرز القضايا المعروضة على جدول أعمال الاجتماع الوزاري في الدوحة، كما توقف عند آثار العولمة على العالم الثالث وعلى البلدان العربية على وجه الخصوص. وتطرق إلى النزاعات العسكرية في ظل العولمة وظاهرة التسككة في النظام العالمي. وانتهى إلى مناقشة سبيل مواجهة هذه التحديات. كما نُظِّمَت نشاطات ثقافية. على امتداد ايام المنتدى الاربعة. كان أبرزها الحفل الفني الذي تلا جلسة الافتتاح مباشرة في قاعة الجامعة الأميركية في بيروت للفنان اللبناني شربل رحانا. وشهدت بيروت، في اماكن متعددة منها، في هذه المناسبة معارض رسوم ولوحات فنية وصور وعروض مسرحية واحتفالات موسيقية. وقد عرضت «الموت» منتجات غذائية من للقرى اللبنانية ترمز إلى رفض غزو المنتجات للصناعة الأجنبية لاقتصادنا الوطني.

انتهى «المنتدى» بعد أربعة ايام من النقاش، الذي شارك فيه أكثر من ألف شخص، بـ «إعلان بيروت» حول العدالة والسلام. وقد تضمن هذا الإعلان مواقف للمشاركين من الأوضاع الدوائية بعد أحداث ١١ أيلول. وتوقف عند الحرب على أفغانستان، فحجبها بشدة. كما بحث في الوضع في الشرق الأوسط، وتعميداً في فلسطين، مطالباً بوقف العدوان على الشعب الفلسطيني، وإزالة الاحتلال، وتأمين الحماية الدوائية، وتطبيق قرارات الشرعية الدولية، والاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وإقامة دولته على أرضه، وحق عودة كافة اللاجئين إلى ديارهم الأصلية. كما توقف الإعلان عند الحصار المستمر منذ أكثر من عشر سنوات ضد العراق مطالباً بوقف مسالة الشعب العراقي من خلال إزالة الحصار للفرض عليه ووقف القصف الجوي الذي تتعرض له المدن والقرى العراقية.

وأصدر «المنتدى» إعلاناً ثانياً وجهه إلى الوزراء والموفدين الرسميين إلى الدوحة للمشاركين في الاجتماع الوزاري الرابع لمنظمة التجارة العالمية، أكد فيه رفضه إطلاق دور جديد للمفاوضات تأتي إلى المنظمة باتفاقيات جديدة حول الاستثمار والمنافسة والشفافية في المشتريات الحكومية ومعايير جديد للعمل والبيئة ليست من اختصاصها. وطالب بالنظر في المطالب المشروعة للبلدان النامية، والتي تقضي بتقويم الاتفاقيات الحالية في المنظمة بتقويم أليات عملها والبادئ العامة التي تحكمها.

ويعد انتهاء أعمال «المنتدى» انتقل إلى الدوحة وقد ضم ١٧ شخصاً من مختلف المناطق في العالم ليشارك في النشاطات التي ينظمها فيها التحالف الدولي «عالمنا ليس للبيع» حاملاً معه البيان حول السلام والعدالة والإعلان الختامي الذي تحول عريضة دولية وقع عليها عشرات الوف المنظمات والحركات المنضوية في إطار الحركة العالمية للمناخفة للعولمة الرأسمالية.

#### ما هي أبرز المخاوف في الدوحة؟

انعقد في الدوحة الاجتماع الوزاري الرابع لمنظمة التجارة العالمية واستمر ستة أيام، بعد أن سُدِّ يومًا إضافيًا نتيجة للخلافات والانتقاسات الحادة في المواقف.

وكانت البلدان الصناعية قد أصدرت على تعاملها مطالب البلدان النامية، التي رفضت بوجها إقرار المقترحات التي جاء بها رئيس المجلس العام ورئيس المؤتمر والمدير العام لتلبية لمطالب البلدان الأربعة للكبار في المنظمة – الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وكندا واليابان – ما لم يؤخذ بمطالبها.

وأبرز للتباينات في المواقف كانت حول التدابير المضادة للإغراق وهي تدابير تتخذها الولايات المتحدة لحماية منتجاتها الوطنية من المنافسة الأجنبية؛ وبحول إصدار الأربعة الكبار – وخاصة الاتحاد

مسينخروم: اللقاء اللبناني: حول م.ت.ع في التحضيرات للنشاطات المارضة للعولمة بعد توسيعه وتعميق البعد العربي فيه

الغرفة الخسراء التي تكوّنت بشكل انتقائي للضغط على ممثلي البلدان النامية الرافضة، انتهى الأمر إلى تسريبات تنازلت بموجبها الولايات المتحدة عن إصدارها على عدم البحث في تدابير مكافحة الإغراق وفي دعم الألبسة والنسيج، كما وافقت على استثناء أمراض الإيدز والملاريا والسل وغيرها من الأمراض الوبائية. غير أن للمفاوضات فشل في التوصل إلى إجماع نتيجة لاستمرار الهذ في موقفها الرافض لإطلاق جولة مفاوضات جديدة، فكان أن انفردت البلدان الصناعيّة مع الهند في اجتماع استمرّ ساعات طويلة، تمت خلاله ممارسة كافة أنواع الضغط، وصوّروا إلى الاتصال المباشر من قبل الرئيس الأميركي ورئيس الوزراء البريطاني ورئيس الوزراء الهندي، إلى أن سُوّيت الأوضاع وتمّ التوصل إلى الإجماع المطلوب لإقرار الاعلان الختامي للاجتماع.

وبذلك تكون قد انتهت المفاوضات التي استمرت ستة أيام إلى إقرار مشروع لإجماع المشاركين في الاجتماع الوزاري الخامس لإطلاق دورة جديدة للمفاوضات لاعتيرها الاتحاد الأوروبي «اجندة تنمية» في العام ٢٠٠٢، يتم فيها البحث في سبل تسهيل التجارة وفتح الأسواق والاتفاق على سياسات جديدة للمنافسة والاستثمار والمزيد من الشفافية في المشتريات الحكومية ومعايير جديدة للعمل وللبينة. وهذا ما يعتبر إنجازاً جزئياً حققته البلدان المتقدمة، وتراجعا لوقف البلدان النامية.

وتقرر إجراء تعديلات على الآليات تطبيق اتفاقية حقوق الملكية الفكرية لاستثناء براءة صناعة الأدوية الخاصة بمرض فقدان المناعة المكتسبة والملاريا والسل والأمراض الوبائية الأخرى. أمّا وقف الدعم عن الصادرات الزراعية في البلدان الصناعيّة، وخاصة في بلدان الاتحاد الأوروبي، وتعديل نظام الحصص في اتفاقيّات الألبسة والنسيج، وخاصة في الولايات المتحدة، والوقف بالنسبة إلى تدابير مكافحة الإغراق، فلم تصل إلى نتائج ملموسة ملزمة وقيمت معلقة بانتظار مفاوضات تجري لاحقاً.

الأوروبي والولايات المتحدة... على إطلاق دورة جديدة للمفاوضات للاتفاق على سياسات المنافسة والاستثمار والشفافية في المشتريات الحكومية ومعايير جديدة للعمل والبيئة. وفي مواجهة ذلك، أصدرت البلدان النامية على مطالبتها ببحث تدابير مكافحة الإغراق، وعدم التزام الاتحاد الأوروبي بإزالة الدعم عن الزراعة، والتزام الولايات المتحدة نظام الحصص في صناعة النسيج والألبسة - وكلها يُعتبر موجّهاً ضدّ منتجات البلدان النامية. فكان أن رفضت هذه الأخيرة البحث في المنافسة والاستثمار والمشتريات الحكومية قبل إعادة النظر في الاتفاقيّات السابقة، ومعايير البيئة والعمل، لكنها ليست من لخصائص المنظمة. كما أصدرت على ضرورة إعادة النظر في اتفاقيّات حقوق الملكية الفكرية التي تشكل تهديداً حقيقياً لصحة شعوبها ولأمنها الغذائي.

وقد جاءت نتيجة المفاوضات على الشكل التالي:

- ١ - رُفِضَت الولايات المتحدة البحث في مواضيع البيئة وتدابير محاربة الإغراق واتفاقيّات الألبسة والنسيج.
- ٢ - رُفِضَ الاتحاد الأوروبي البحث في اتفاقيّات الزراعة، وأصدر على البحث في الاتفاقيّات الجديدة ومعايير البيئة والعمل.
- ٣ - أصدرت اليابان على البحث في تدابير محاربة الإغراق.
- ٤ - رُفِغَت غالبية البلدان النامية البحث في أية أمور أخرى جديدة قبل البحث في قضايا تطبيق الاتفاقيّات السابقة وإقرار تعديلات على حقوق الملكية الفكرية، وخاصة إلغاء براءة صناعة الأدوية وبحث اتفاقيّات الزراعة والألبسة والنسيج. ومن أبرز هذه البلدان لمجموعة الإفريقيّة، ومجموعة البلدان الأقل نمواً، ومجموعة بلدان إفريقيا والباسيفيك والكاريبي، فضلاً عن كل من الهند وباكستان وماليزيا ومصر.

وبعد جولات من المفاوضات في المجلس العام، وفي اللجان التي شكلها رئيس المؤتمر برئاسة ما عُرف بـ «اصفخا» الرئيس، وفي

# المنتدى العالمي حول منظمة التجارة العالمية: من بيروت إلى الدوحة

## مشاركة المنظمات غير الحكومية

على الرغم من إعلان دولة قطر إلتاحتها المجال أمام مشاركة المنظمات غير الحكومية والحركة المناهضة للعولمة الرأسمالية، فإنها سارعت إلى الإعلان عن محدودية قدرتها الاستيعابية. فكان أن اختُصرت المشاركة على هامش اجتماع الدوحة إلى ٢٨٨ شخصاً، من بينهم ٢٥٠ شخصاً يمثلون المنظمات غير الحكومية في كافة أنحاء العالم، ومنهم ٧٥ ينتمون إلى التحالف العالمي «عالمنا ليس للبيع»، أما الآخرون فيمثلون قطاعات إنتاجية واقتصادية وهيئات استثمارية.

انتقل من بيروت إلى الدوحة ١٢ شخصاً شاركوا في أعمال المنتدى العالمي. يعملوا الإعلانيّين اللذين صدرا عنه إلى الدوحة، ومن بينهم ممثلون عن «شبكة المنظمات العربية غير الحكومية للتنمية» و«اللواء اللبناني»، وقام تحالف «عالمنا ليس للبيع» بتنظيم نشاطات يومية منها مظاهرات رمزية تعبر عن الاحتجاج على الاجتماع، وتنظيم اجتماعات مع ممثلي الوفود الرسمية. وقد نظم التحالف اجتماعات يومية للتنسيق بين أعضائه وإتاحة المعلومات والتشاور، وعل على إصدار نشرة يومية من الدوحة، وألح ببيانات أن فيها مواقف من التطورات وقامت الصحافة والوسائل الإعلامية الموكاة لأعمال القمة بنشرها. وتحوّلت مكاتب المنظمات الأعضاء في التحالف في كل من واشنطن وبروكسل إلى غرف عمليات تُنقل أحدث المعلومات وأخرى للمواقف إلى العالم حول ما يجري في قصر المؤتمرات في الدوحة من خلال الأشخاص الموجودين في الداخل.

ومن بين النشاطات الثلاثة التي جذبت انتباه الوفود المشاركة والإعلام هو ما قامت به منظمة «السلام الأخضر» على متن مركبها الذي جاء من كندا ورسا طيلة أيام القمة في مرافق الدوحة حيث نظمت اجتماعات ولقاءات، وأطلقت إذاعة خاصة بمؤتمر الدوحة قامت بدين مقابلات وشهادات من مختلف أنحاء العالم عن مخاطر العولمة، ومنها ما كانت قد سجلته في المنتدى العالمي الذي نظمه «اللواء اللبناني» في بيروت.

## تحديات المتابعة

يُعتبر «اللواء اللبناني» حول العولمة والتجارة العالمية تحالفاً وطنياً لكونه يتشكل من ١٩ تجمّعاً واتحاداً تمثل منظمات المجتمع المدني من مختلف القطاعات النقابية العمالية والزراعية والحركة النسائية والمنظمات الأهلية والجمعيات البيئية والاجتماعية والشبابية. وهو الأول من نوعه في لبنان يُنشأ كإطار لا يجمع الأفراد بل تجمعات واتحادات وتماثلات لتتقن على مبادئ عامة وأهداف مصدرة تتناول تحديات العولمة وما تملّيه على لبنان والمنطقة العربية من سياسات اقتصادية واجتماعية، ويعلن الانضمام إلى التحالف الدولي المناهض للعولمة الرأسمالية، ويؤيد المنتدى العالمي حول العولمة والتجارة العالمية في موازاة الاجتماع الوزاري الرابع لمنظمة التجارة العالمية في الدوحة.

وسينخرط «اللواء اللبناني» في التضمينات الوطنية والعربية والدولية للنشاطات المعارضة للعولمة الرأسمالية بعد أن يصار إلى توسيعه وإلى تعميق البعد العربي فيه على أساس ورقة المفاهيم والمبادئ العامة التي سبق أن أصدرها، وكذلك على أساس الإعلانين اللذين صدرا عن «المنتدى العالمي» في بيروت، في الثامن من نوفمبر حول جدول أعمال الاجتماع الوزاري الرابع لمنظمة التجارة العالمية وحول السلام والعدالة الدولية. وذلك بهدف رفع وعي المجتمعات العربية بفرض العولمة وتحدياتها، ومن ثم رفع مستوى القدرة على المشاركة في تصديق القرارات ورسم السياسات والانتخا في حملات ضغط على الحكومات لتبنيها

## زياد عبد الصمد

الدير التنفيذي لشبكة المنظمات العربية غير الحكومية للتنمية. ومنسق اللواء اللبناني حول العولمة والتجارة العالمية.

## قراءة لتجربة مناهضة العولة الليبرالية في لبنان

□ جوزيف عبد الله

الأميركية (وبالتالي النفوذ السياسي للولايات المتحدة الأميركية). كما تمتاز قطر بـ «شيء» من الديمقراطية يجعلها، كنظام، أقل عرضةً لنقد الديمقراطيين الغربيين مما هي عليه باقي أنظمة الخليج العربي. هذا فضلاً عن أن حركة مناهضة العولة الليبرالية في الوطن العربي في الأضعف في العالم، بل هي غير موجودة أصلياً، باستثناء بعض الحضور في المغرب العربي وبعض الحالات النادرة التي تتجلى بموقف نقابي في الصحف أو على الإنترنت. لهذا كانت قطر المكان الأكثر ملاءمةً للمؤتمر الوزاري الرابع لـ م. ت. ع. لجهة كونها المكان الأقل عرضةً لضغط الشارع، ولأنها أن أقوى العولة الليبرالية تُبذل الجهد لتزمر مشاريعها وتخططها بقلل حجة شعبية ممكنة ويصمت يكاد يكون شطياً، وشعارها تجلُّبُ الشكافية والعمل في الظلام، الأمر الذي دلع بالبعض إلى وصفها بـ «نراكولا».

لا نقول ذلك لتعزّز فشل سيئات فقط إلى حدٍّ وضخامة المعارضة الشعبية التي واجهها هذا المؤتمر، بل لنؤكد أن حركة مناهضة العولة الليبرالية ونشاطها شجلاً، في بلوغ هذا الفصل، عنصرٌ أساسيٌّ من بين عناصر أخرى (كالتناقضات الداخلية بين مثلث العولة الليبرالية - الولايات المتحدة الأميركية واليابان والاتحاد الأوروبي - والمواقف المتصلّب من قبل العديد من بلدان العالم، كالهند والبرازيل وإفريقيا، خلف جملة من المطالب المتعارضة مع مشاريع العولة الليبرالية).

تحريض من الحركة العالمية لمناهضة العولة الليبرالية  
تقوم «الحركة العالمية» المناهضة للعولة الليبرالية بحشد قواها واستنفاذ الفئات والطبقات الاجتماعية والشعوب في وجه أنشطة قوى العولة الليبرالية. وجعلت من لقاءات الكبار السبعة أو الثمانية

شهدت بيروت في الأشهر الستة الأخيرة سلسلة لقاءات ومداولات انتهت، في مطلع آب (أغسطس)، بعقد مؤتمري مناهضة «العولة الليبرالية». ولعله بدعي طرَحَ الأسئلة حول منبع هذه الحيوية المفاجئة في معارضة العولة الليبرالية، وحول مآلها ومستقبلها، ولأنها أيضاً أن حضور «العولة» أو «العولة الليبرالية» (كمفهوم) والمواقف منها (كقضية تستحق الدعم أو المناهضة) كانا غائبين عن عموم الشارع اللبناني وقواه الأممية والسياسية المعارضة للنظام السياسي (باستثناء القليل من الكتابات الصحفية غالباً)، بينما كانت ممارسات العولة الليبرالية تُشَقّ طريقها على يد أهل الحكم منذ أكثر من عقد، من خلال إجراءات الحكومات المتعاقبة، ومن خلال جملة من اللقاءات والمؤتمرات المباشرة بضرورة إلحاق بركب العولة مخرجاتاً حتمياً لازمة السلطة والمجتمع اللبنانيين.

فمن أين أتت هذه الصويبة المناهضة للعولة الليبرالية؟ وكيف عبرت عن نفسها؟ وما هي طبيعة القوى التي مارسها؟ ولماذا عجزت عن بلورة حركة موحدة وأقامت مؤتمريين بدل مؤتمر واحد؟ وما هو من ثم، مستقبلها؟

### المؤتمر الوزاري الرابع لمنظمة التجارة العالمية

انتهى المؤتمر الوزاري الثالث لمنظمة التجارة العالمية (م. ت. ع.)، المعروف بمؤتمر سيئات (١٩٩٩)، بفشل كبير في إطلاق جولة جديدة من المفاوضات حول المزيد من تحرير التجارة العالمية وتوسيعها. وترافق هذا الفصل مع مظاهرات شعبية واسعة للقوى العالمية المناهضة للعولة الليبرالية. وما لبثت الأمور أن استقرت، في إدارة م. ت. ع.، على تعيين الدوحة (قطر) مقراً للمؤتمر الوزاري الرابع. بالطبع لم يكن اختيار الدوحة بريئاً، فقطر (ومعها الخليج العربي) من أهم المراكز التي توجد فيها القواعد العسكرية

## قراءة لتجربة مناهضة العولمة الليبرالية في لبنان

الحركة الجماهيرية. كما تفاوتت في طبيعة صلتها بالحركة العالمية المناهضة للعولمة الليبرالية.

١ - فمن حيث الصلة هذه، تلتقي «شبكة المنظمات غير الحكومية العربية للتنمية» (برئاسة زياد عبد الصمد) في الطليعة، إذ سبق لها أن شاركت في عدة لقاءات عالمية وبنيت لها موقعاً على الإنترنت. ولكنها عديمة الفاعلية التمهيدية والنضالية على المستوى الشعبي، وليبرالية في تعاملها مع القضايا القومية والاجتماعية

٢ - تليها في الأهمية من حيث العلاقة مع الحركة العالمية مجموعات صغيرة جداً من المناضلين المتعدي للحدود المهادرين إلى أوروبا (خاصة فرنسا) والذين ينشطون - كمجموعات صغيرة - تقتصر إلى التنسيق - بأشكال متفاوتة وفردية في أنشطة وفي بعض مؤسسات مناهضة العولمة هناك: كالكونفدرالية الفلاحية (جوزيه بوليه)، وأورفيغ (راؤول مارك جنار)، وبعض مواقع «اتاك» وبعض الناشطين العرب والفلسطينيين. ويسهم هؤلاء في تجنيد طرح القضية الفلسطينية (والقضايا العربية عامة) في وسط الحركة العالمية المناهضة للعولمة الليبرالية، ويشكّلون أرقى وأفضل صلة وصال نضالية معها حتى الآن.

٣ - مجموعات «شبابية وطلابية» تتكون من عناصر مضجرة في العمل السياسي وأخرى حديثة انضمامها موقفة بقدر عام من النظام السياسي الطائفي ومن الأحزاب «الوطنية والتقدمية» وتسعى إلى تكوين ملاحم بدائل في العمل السياسي.

٤ - «التجمع الوطني للإنقاذ والتغيير» وما له «حركة الشعب» فيه من موقع «محرّض» يستمد أهميته من نفوذ الاحترام الذي يتمتع به نجاح واكيم محلياً وعربياً. ومن المفيد هنا ملاحظة أن واكيم كان أول من طرّح في المجلس النيابي ضرورة مواجهة سياسات الحكم في لبنان لأنها التعبير العملي عن العولمة الليبرالية. ولهذا

ومن اجتماعات المؤسسات الإقليمية للعولمة (منطقة التبادل الحر في القارة الأميركية، اسيان، الشراكة الأوروبية - المتوسطية...) ومن الاجتماعات الدورية للبنك الدولي وصندوق النقد الدولي، مناسبات نضالية لمواجهة مشاريع العولمة الليبرالية. وجمعت هذه الحركة العالمية من م. ت. ع ومؤتمراتها ميداً مركزياً لنشاطها لاعتبارها إيماناً بمبادئ «حكومة العالم الاقتصادية». وهكذا تصاعد النضال ليبلغ ذروته في مسياتل (١٩٩٩). فبدأً عن تأسيس المنتديات والمحافل لمواجهة منديات العولمة الليبرالية. وهذا ما انتهى بمنتدى بورتو اليفيري.

حين تقدرت الدعوة مقرراً للمؤتمر الوزاري الرابع لـ م. ت. ع راحت قوى الحركة العالمية المناهضة للعولمة الليبرالية تبحث عن مكان لممارسة معارضتها، وذلك استناداً إلى معرفتها باستحالة القيام بتحرك واسع في قطر. وبعد سلسلة اتصالات عربية قرّ رأياً على أن لبنان يصلح لهذا الأمر بحكم طبيعة نظامه السياسي والحيوية النسبية لبعض «القوى» والمجموعات الصغيرة والأفراد الذين يشتركون في تجربة متفاوتة في فهم العولمة الليبرالية وفي مناهضتها وفي عقد الصلات مع بعض المواقع العالمية للمناخضة للعولمة. وتعددت الاتصالات بتعدد مرجعيات الحركة العالمية المناهضة للعولمة الليبرالية، وتعمّدت اتصالاتها اللبنانية والعربية. وهكذا نشأت الحيوية التي شهدناها في الأشهر الأخيرة، فكانت محصلة التحريض العالمي والاستجابة اللبنانية.

### تنوّع الحركة اللبنانية المناهضة للعولمة الليبرالية

تنوّعت الحركة اللبنانية المناهضة للعولمة الليبرالية على أربع «مجموعات» أساسية، جميعها خبوية، وإن تفاوتت في عزلتها عن

لم يشكل كل ما شهدته الساحة اللبنانية أكثر من مظاهرة استعراضية في مواجهة العولمة الليبرالية

الأخرى فقد ظلت حبراً على ورق، ورث العمل المهرجاني الاحتجاجي على الدولة، للطائرات والاعتصام، المسيرة نحو الجنوب، الاستراتيجية الطويلة الأمد.

لقد جرت الأمور، على الرغم من تقديرنا للأهمية انعقاد «الملتقى العربي الأول المناهض للعولمة»، بدرجة من الضعف وانعدام الحسّ بجديّة وضروية إنجاز العمل الجماعي كعمل مشترك، ففي الحوارات من أجل بلورة أوراق العمل والمنطلقات غلبت نزعة العصبية الشللية بحيث كان البعض يُرفض مجرد قراءة ورقة ولو تمّ تقديمها قبل غيرها، منتطحاً إلى ادعاء امتلاكه ورقة ناجزة. وهذا ما عكس تعددية المرجعيّات الضاربة التي لم تُفصّل عن نفسها وموقعها لكي يستوي الحوار على مستوى مصادقة النضال والشفافية المنضوية. وبدت الأمور كما لو أنّ هناك من ادعى «امتلاكه» الساحة اللبنانية المناهضة للعولمة وقدرته على توظيفها في صلاته، وكان البعض الآخر يسعى إلى مجرد «تهريب» عبارة في الأوراق، ولو من خارج حقل النقاش، كما وُتدّ مثلاً في البيان التأسيسيّ لـ «تجمع عربيّ مناهض للعولمة»: «يعتمد التحرك للزمع إطلاقه طابعاً سياسياً ديمقراطياً قاعدياً» ليوجّه «العمل القاعدي» نفسه (لا الآخرين طبعاً) بأنه مفتاح التحرك.

كان لغياب الشفافية، وهي شرط للمصادقة في أي عمل مشترك، أثرها الكارثي في إعلان البيان النهائي لـ «الملتقى العربي الأول المناهض للعولمة» والذي جاءت صيغته الأولى متعارضة مع كل المنطلقات التي قام عليها «الملتقى» الأمر الذي أدّى إلى نقاشات حامية بلغت حدّ توجيه التهم إلى البعض بمحاولة تهريب هذا البيان الختاميّ وهو ما استدعى - من ثمّ - تأجيل صندوره من ٢٠٠١/١١/٨ إلى ٢٠٠١/١١/٩.

والتجسّع أهميّة الفعلية في تجربة مواجهة العولمة الليبرالية كونه الجهة الوحيدة التي لها «صلة» ما فعلية بالأساط الشعبية بفضل الدور الذي يلعبه فيه الحزب الشيوعي اللبناني، بالإضافة إلى وجود التنظيم الشعبي الناصري، هذا علاوة على مجموعة من الشخصيات والفصاليات المستقلة

#### أثر هذا التثوّج على التجربة

يبدو غريباً عن البيان عزّ هذه القوى المناهضة للعولمة الليبرالية عن الوصول إلى برنامج عمل مشترك، فقلب الفكر والتضارب وسادت الطغيمة. ومن هنا شهد بيروت مؤتمرون منفصلين لم يُكمل واحدهما الآخر: «الملتقى العربي الأول المناهض للعولمة» (٣٠/١١/٢٠٠١) و«الملتقى العالمي حول منظمة التجارة العالمية» (٥/١١/٢٠٠١). وبينما سعت «شبكة المنظمات غير الحكومية» إلى التجميع العشوائي لثلاثي القوى على حساب الموقف السياسي الجذري لكي تبدو أمام حلقة صلاتها العالمية ممثلة لأوسع القطاعات اللبنانية ولتبرّز احتكاكها تمثّل الحركة للحياة المناهضة للعولمة الليبرالية، سعت المجموعات الأخرى إلى تشديد النقد لموجة الموقف السياسي وإلى توجيه «تهم» مسلّكة لـ «الشبكة» اعتراضاً على احتكار التمثيل، واتجهت الأمور إلى تشكيل تجمع عربيّ مناهض للعولمة.

لم تتمكن المجموعات المعرضة على توجه «الشبكة» من تجاوز تناقضاتها إلا بمصعوبة كبيرة. وانجبت سلسلة لقاءات الحوار في ما بينها عن تشكيل «التجمع الأهلي المناهض للعولمة» كجمعية لبنانية، وعن مشروع تشكيل «التجمع العربي المناهض للعولمة» كمنظمة عربية. كما تمّ وضع برنامج عمل من سبع نقاط لم تتّخذ منه غير نقطة واحدة: «عقد الملتقى العربي الأول» أما النقاط

## قراءة لتجربة مناهضة العولة الليبرالية في لبنان

### الخلاصة

لم يشكّل كلٌّ ما شهده الساحة اللبنانية أكثر من مظاهرة استعراضية في مواجهة العولة الليبرالية. وهي مظاهرة بقيت معزولة في حدود القوى والشخصيات التي اشتغلت بها. ولا نستطيع اعتبار ما حصل نقطة انطلاق جدية أو علامة فارقة في مسار النضال بوجه العولة الليبرالية. وتكفي في هذا السياق الإشارة إلى حقيقة أن كلَّ ما تمَّ طرحه لم يستند إلى أي قراءة جدية لواحدة من انعكاسات العولة الليبرالية لا على الصعيد اللبناني ولا على الصعيد العربي... هذا اللهم غير الخطاب النظري والعام الذي لا يستند قيمته ومشروعيته إلا من امرؤ:

أولاً، استكماله في قراءات تفصيلية لانعكاس العولة الليبرالية على قطاعات الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية، وفي قراءات تفصيلية أيضاً لعناصر كلِّ قطاع من قطاعات الحياة هذه، كلُّهم - في ما يخص الاقتصاد على سبيل المثال - ما يصيب الزراعة وكيف وأين، وما يصيب الخدمات وكيف وأين، وما هي البدائل المقترحة.

ثانياً، العمل الجدي على خلق الأطر والمؤسسات التي تكفل استكمال هذه الأبحاث، وخلق الأطر والمؤسسات التي تعمل على التعمية والحشد استناداً إلى نتائج ما تتوصل إليه هذه الأبحاث من تحليل للواقع ومن اقتراح للتحول، من أجل أن تكون محاوراً مناهضة العولة الليبرالية مشروع تغيير فعلي لا مجرد إضافة إلى نهج العمل الوطني والديمقراطي السائد حتى الآن.

ولا نبالغ إذا قلنا إنَّ العلة الأساسية لذلك تكمن في الافتقار إلى قناعة بـ / وفهم لـ / حقيقة أنَّ الحركة العالمية المناهضة للعولة الليبرالية إنما نشأت لتعلاء الفراغ الذي عجزت عن ردمه الأحزاب اليسارية والديمقراطية في الغرب. وهي بالتالي مشروع الجديل

العالمي الراهن لقوى التحرر العالمية. وهذا ما يستدعي تخلي القوى التي عملت على صنع هذه المظاهرة المواجهة للعولة الليبرالية عن معظم أساليب تفكيرها وعملها السابقة، والانخراط في عملية عولة مشروعة في الشكل والمضمون والمجال.

عكار

### جوزيف عبد الله

استاذ في الجامعة اللبنانية (معهد العلوم الاجتماعية)، وعضو هيئة التنسيق في حركة الشعب، ورئيس تحرير سلسلة شهرية بعنوان العولة تُمنى بمواجهة العولة الليبرالية



## حركة مناهضة العولمة الليبرالية في المنطقة العربية: أسباب جمودها وطبيعة المهام الملغاة على عاتقها

□ قاسم عز الدين

السياسية لطبيعة العمل المشترك انحصرت أهميّة النشاطات إلى غايات سياسية مطبّعة عند البعض، وإلى مقاصد ذاتيّة عند البعض الآخر، ويرهنت أنّ مناهضة العولمة الليبراليّة في المنطقة العربيّة تتطلب ارتقاء سياسيّة إلى مستوى المهمّات التي تُقرضها العولمة الليبراليّة - وفي هذا أن تكون النوايا الطيّبة كافية.

ومهما يكنّ من أمر فقد أعلّنت طرْح الموضوع ما يُشبه رمي حجر في مُستنقع راكد، وجرى تداوله في اجتماعات القاهرة قبل «المنتدى الدولي» في بيروت. كما أُجرب المشاركون العرب في هذا المنتدى عن استعادهم لتطوير جهودهم بالجاه العمل على إنشاء حركة عربيّة مناهضة للعولمة الليبراليّة. وأسفر لقاءً بيروت الآخر عن فناعة القوى السياسيّة العربيّة بأهميّة بلورة رؤية سياسية عربيّة، فعكس بعضهم إثر اللقاء على إعداد ما تُقدّمه هذه الرؤية، فيما راح البعض الآخر يتجاهى بإنجازاته الخاصّة بما لا يدهو للقيام إلا إذا تطلّعت الطموحات السياسيّة إلى الحدّ الذي عبّر عنه أحد ناشطي هذا اللقاء بقوله: «كان ذلك، في الكثير من اللّحظات، بمثابة تعارفٍ رُحّشت بهذه الصورة المباشرة للمرّة الأولى [على اعتبار أنّ لقاءات التعارف الأخرى تُحدّث بتبادل الصور]». ورُيّا أمّكن عزّ الكثير الكثير من نواقص التنظيم أحياناً، واحترام النقاش [بين النظميين طبّقاً] أحياناً أخرى، إلى هذا التفرّع غير المسبوق [حذار، للمكبّة الفكرية مسجّلة] وإلى الرغبة في المحافظة على الطابع الحرّ للبرنامج...» (الضيافة، ١١ تشرين الثاني/ نوفمبر، صفحة ٦٢، وتيارات، والمحقرون لكتاب هذه المقالة).

والواقع أنّ وسائل الإعلام أسهبت في تداول موضوع العولمة الليبراليّة على نطاق واسع، وأخرجته من مجالس الفرف الضيّقة، فأسهبت في عرض نشاطات حركة المناهضة للعالمية، وحاولت العديد من الناشطين العرب في موضوع مازال أشبه بالطلاسم على الرّمح من أهميّة في تقرير مصير البشرية بأسرها. وفي هذه

هدفت الجمعيات والتنظيمات الدوليّة المناهضة للعولمة الليبراليّة في مطلع الشهر الفائت منتدى في بيروت، جرّياً على عاتقها في ملاحقة مؤتمرات مؤسسات العولمة الليبراليّة ومناهضتها باقتراحات ويدائل أخرى، وقد اختارت بيروت رتداً على مؤتمر حكومة العولمة الليبراليّة ممثّلة بـ «منظمة التجارة العالميّة» في الدوحة، التي اختيرت لمرمان النظمات من الوصول إليها بهدف عزل دول العالم الثالث عن صهوتهم الجماهيرية وفرض جولة جديدة من المكتسبات لصالح الشركات المتعدّية الجنسية.

في أثناء التحضير لهذا المنتدى طرحّت مشكلةً سياسيّة على المنظمين العرب، إذ إنّ مطالب المنطقة العربيّة لا تُغطّى بلعبيّة بين مطالب النظمات الدوليّة. وقد حاول المنظمين العرب إيجاد حلّ تقنيّ بإضافة قضيّة فلسطين في إحدى ورشات العمل، فتبيّن أنّ قضايا المنطقة العربيّة ليست مسألة يُمكن «إضافتها» على هذا النحو، بل هي مرهونة بإنشاء حركة عربيّة مناهضة للعولمة الليبراليّة تبلور رؤية سياسيّة تُقرض نفسها في إطار الحركة العالميّة المناهضة للعولمة الليبراليّة. لذا ارتأت بعضُ الليبراليين السعي إلى عقد لقاء سياسيّ عربيّ يتبنّى مسؤليّة تشكيل نواة الحركة العربيّة المنفردة، وصياغة قضايا المنطقة العربيّة في مطالب محدّدة تُقرض نفسها على أعمال منتدى للمنظمات الدوليّة في بيروت وتتفاعل معها في تطوير العمل المشترك في النشاطات اللاحقة.

غير أنّه سرعان ما تبين أنّ هذه المهمة أصعب من الأولى. ذلك أنّ القوى السياسيّة لم تُكلّف طرْح على عاتقها عملاً مشتركاً في المنطقة العربيّة بغير تصدير البيانات، فكيف يُمكنها اختراق المحيطات والأياف في عمل مشترك مع منظمات دولية لم يُستبق أن علمت عنها شيئاً غير ما رأت على شاشات التلفزيون من احتجاجات جماهيرية صاخبة؟ وفي غياب الحدود الدنيا من الرّؤية

## حركة مناهضة العولة الليبرالية في المنطقة العربية: أسباب جمودها وطبيعة المهام الملحقة على عاتقها

الثقافة تتميز برِدود الفعل العفوية، واحتقار الرؤية السياسية البعيدة المدى أو الرؤية السياسية للركبة - وهو احتقارٌ شبيه باحتقار العرب الرُّحل للعمل البدوي قياسيًّا إلى تبجيل الخطابة والشعر. فهذه «الميزات» المشوَّمة لا يَسُحُّها أن تتراكم كي تتسنى لها مواجهة تعقيدات الواقع للركب في حياة شعب من الشعوب، فكيف لها - والحالة هذه - مواجهة مرحلة انتقاليَّة شديدة التعقيد على مستوى نظام عالمي يتميَّز بصراع الشركات المتعددة الجنسيَّة مع شعوب الكرة الأرضيَّة؟ في هذه الحالة لن تكون معاناتها أفضل من معاناته تائه مرعوب في أحد الأدغال، حيث لا يَبْقَى أمامه غير رفع صوته لطماننة نفسه. والدلالة على عمق أزمة هذه الثقافة تتمرُّص لموضوعين مختلفين يتمتَّعان بإجماع هذه الثقافة: «صراع الحضارات» والنظام الشرق أوسطي».

صراع الحضارات موضوع اكتشفه خطباء المنابر وبعض المثقفين إثر أحداث نيويورك وواشنطن، ثم راح أطراف الثقافة السياسيَّة يربطونه لتبليد على غطرسة الغرب واحتقار ثقافات الشعوب. غير أنَّ غالبية من رَجَّحوا نظريَّة «صراع الحضارات» لم يقرأوا كتاب هانتنغتون، والأهمي أنَّ هذه الغالبية نفسها تَتَّفِق مع ما ذُكِرَ إليه صاحبُ الكتاب من أنَّ صراع الاقتصاد والإيديولوجيات قد انتهى بانتهاء القرن الماضي، وأنَّ القرن الجديد يتميَّز بالصراع بين الحضارات الثماني - ومن ضيبتها صراع الحضارة الغربيَّة مع الحضارة الإسلاميَّة. والأهمي من ذلك كله أنَّ هذه المقولة تنبئها في الغرب أطراف غير مؤثِّرة، وتجاوزها قوى وأطراف أكثر شراسة، ونَحْطُها في قوى أخرى من مواقع مختلفة. فالقوى التي تنبئها في الغرب هي التي تُشَدِّد أنَّ اختلاط الثقافات في المجتمعات الغربيَّة من شأنه أن يشكِّل خطرًا عليها،

الفترة، وأثناء التحضير للقاء ببيروت، ابصرتُ نشرًا للعولة «النور»، وهي أوَّلُ نشرة عربيَّة طرحت على نفسها مناهضة العولة الليبراليَّة في المنطقة العربيَّة، فحاولتُ أن تُرَبِّط من العدد الأول بين الحركة العالميَّة ومناهضة العولة الليبراليَّة في منطقنا، متوخِّئًا الإسهام في تشكيل حركة عربيَّة في إطار هذه المناهضة، ثم خَمَلَ العدد الثاني مشروعيًّا من القناعات والأهداف لمُكرِّمه للثقاف والحوار.

لكنَّ كلَّ هذه الجهود مازالت في بداياتها، ومازالت المنطقة العربيَّة بين اصقاع قليلة في هذه المعمورة عاجزة عن تحمل مسؤولياتها في مناهضة العولة الليبراليَّة. على الرُّغم من توافر الطاقات والرغبات والاستعداد الكبير بين الطاقات الشابة، وعلى الرُّغم مما أسبغها من العولة الليبراليَّة من كوارث اقتصادية واجتماعية وسياسية.

وبالنظر إلى طبيعة المواضيع التي عالت محاضرات تشكيل إطار عربيٍّ فاعل، يتَّضح أنَّ العمل الجدي لمناهضة العولة الليبراليَّة في المنطقة العربيَّة مرهون بتكثيف الجهود لتجاوز الثقافة السياسيَّة السائدة في المجتمعات العربيَّة وقواها السياسيَّة والاجتماعية، ومرهون بالارتقاء السياسي إلى مستوى ما يُلَمُّه غيرتنا في فهم طبيعة الأزمات التي تعيشها المجتمعات في نظام العولة الليبراليَّة، والتخلُّص من تجارب الآخرين ومن تجاربنا طبيعة تطوير العمل المشترك.

### أسباب جمود حركة المناهضة في منطقنا

إنَّ تخلف المنطقة العربيَّة عن مناهضة العولة الليبراليَّة، أسوةً ببقية مناطق خَلْق الله، هو لنكاس لواقع الثقافة السياسيَّة السائدة في المجتمعات العربيَّة وقواها السياسيَّة والاجتماعية. ذلك أنَّ هذه

إن تحلّف المنطقة العربيّة عن مناهضة العولمة هو انعكاس لواقع الشكافة السياسيّة السائدة في المجتمعات العربيّة وقواها السياسيّة والاجتماعيّة

لذا فهي تُعمل على ترويج ادعائها أنها مدمومةٌ بظلمات المنابر في بلادنا وبيعض مسلكيّات الهجرة لكي تطالب بترحيل المهاجرين إلى بلادهم والعمل على إعادة إعمار البلاد المهجورة واستقرارها للحدّ من اخفاق حضارة المجتمعات الغربيّة.

وهكذا فإنّنا حين نزالق بقشرة ألون هذه، بمسبب ريدو الفعل السريعة وبسبب جهلنا بالّيّات عمل المجتمعات الغربيّة، فإنّنا نصبّ ساحتنا في طاحونة تلك القوى. والأخطر من هذا أنّنا بذلك نتوسّم محاربة العولمة الغربيّة، في حين أنّ هذه العولمة تتجسّد بما تُفعله الحكومات الغربيّة ومؤسسات العولمة الليبراليّة، لا بما تقول به تلك القوى المتعنّبة لجهلها بالحضارات.

لما تُفعله الحكومات في فرض غطرستها على الشعوب يُطلق من نظرة أخرى مختلفة تمام الاختلاف من مسألة صراع الحضارات، وهي أقرب إلى مفهوم الصراع بين روما والبرابرة، أيّ: بين ما تُعتبر مدينةً تمثّلها حضارة السوق، وبين البرابرة الجند في كلّ العالم الذين يُعتبرهم يقفون حَجَر عثرة في وجه مدنيّتها اجتماعيّاً وسياسيّاً وثقافيّاً وأمنيّاً أيضاً. فهي تُشترّب انفتاح الأسواق وفق معاييرها حضارةً مطلقاً تُشمل الخير المطلق لكلّ البشر. وعلى أساس هذه المعايير ترى غطرستها ولجأً حضاريّاً، لكنّ خيبرها المطلق يُنسّق للمسلمين والمسيحيّين واليهوديّين والعلمانيّين... في مواجهة الشرّ المطلق الذي يضمّ باقي خلق الله من مسلمين ومسيحيّين ويهوديّين وعلمانيّين... الخ.

والناس في الغرب في ما يُتشكّسون مذاهبٌ وتيارات، تُضلّلت ثقافتهم من تاريخ مجتمعاتهم وعلاقتها بالمجتمعات الأخرى، فالتجسّد مزيجاً متناقضاً من الأفكار لادنيّة والدينيّة والاستعماريّة والديموقراطيّة ومن الفعل وريدو الفعل. وإذا كان لنا أن نأمل في مناهضة العولمة الغربيّة أو العولمة الليبراليّة مناهضةً فعليةً فإنّه يتعيّن أن نُسمّى إلى التأثير في موازين القوى. وهذا يُقتضي

تحديد طبيعة القوى التي نأمل في مناهضتها وتحديد أهدافها، ومستألفاتها، وكذلك تحديد طبيعة القوى التي نطمح إلى استعمالها أو تصييدها أو مشاركتها. لكنّ قبل هذا وذاك يُقتضي أن نعيد الطمانينة إلى نفوسنا، بغير مسيرة الطغيان والصراخ للزلازل، بحثاً عن الحقائق ولراكلت معقّدة.

**النظام الشرق أوسطيّ** هو الموضوع الذي طُرِح أثناء تدمير العراق لجُزّ العرب إلى التحالف مع أميركا. وقد توجّه حينها الحكومات الغربيّة ومؤسسات العولمة الليبراليّة دعم سلام إسرائيل والدول العربيّة، على أساس مصادقات مدريد، بشروطات اقتصادية تتويج فيها إسرائيل إنشاء السوق الاقتصادية الشرق أوسطيّة وتمثيلها في التبادل مع الشركات للمعدّلة الجنسيّة، بما يؤمّن لإسرائيل موقفاً إستراتيجيّاً قوياً يُستند إلى سوق اقتصاديّة مخافة أن تُهبط أسهم محاملة الطائرات بعد أن ظهرت إمكانيّات هبوط هذه الأسهم إثر انهيار الأحصاء السوفييتيّ، غير أنّ هذه الفكرة لم تُبرهن طويلاً بهامت مع مروت رابين، عندما تبيّن أنّ محاملة الطائرات، تلك لها دور إستراتيجيّ استعماريّ في أذن النفط وفي قمع البرابرة، وأنّ السوق الاقتصادية المزمع إنشاؤها يمكن أن تُشرّد الكيان الاستعماريّ وفق أحكام حقائق التاريخ. وهذا هذا بخرافات الاحتلال الاستعماريّ إلى العمل على تنفيذ خطة سياسيّة أخرى لما لهم من نفوذ في العلاقة مع الشركات للمعدّلة الجنسيّة المصنّعة لأسلحة التقنيات العالية، ولما لهم من تأثير في سياسة العولمة الليبراليّة وأساليب طبع القرار وترويجه في المجتمعات الصناعيّة.

فقبل أن تُثَقّق إسرائيل مع الدول العربيّة وتحظى، مقابل تنازلاتها عن الحرب، بتمثيلها مع مؤسسات العولمة الليبراليّة لإنشاء سوق اقتصاديّة واسعة تتحكّم فيها إسرائيل، اتفقت هذه العولمة مع مؤسسات العولمة الليبراليّة على الاحتفاظ بدور إستراتيجيّ يُغني بأن تُفرض مؤسسات العولمة الليبراليّة على كلّ دولة عربيّة بمفردها

## حركة مناهضة العولمة الليبرالية في المنطقة العربية: أسباب جمودها وطبيعة المهام الملحّة على عاتقها

الاجتماعية وحرمان مجتمعاتنا من إمكانية مواجهة مرحلة العولمة الليبرالية عبر تخصيص الأرضية للمادية، مثلما تُعَمَلُ الثقافات السياسية في المجتمعات الحيّة حين تعمل على بلورة أنجع الطول أو تعيّن السبل التي يُقتضى انتهاجها لتوفير البديل.

إنّ كل المجتمعات التي عملت على إنجاز المهام الوطنيّة والوحدة القوميّة أثناء مرحلة صراع القوميات بالفت في إنتاج ثقافة شعبيّة أخلاقيّة استندت إليها في إنجاز المهام. لكنّ ثقافتها السياسيّة تجاوزت الثقافة الشعبيّة إلى العمل على تطوير مصالح القوى الاجتماعيّة، التي لم يكن لها أن تتطوّر بغير توحيد الأسواق وتعزيز التراكم الداخليّ والإنتاج، لكي تتمكّن من توسيع أسواقها على حساب القوميات الأخرى أو الاحتفاظ بأسواقها وإنتاجها إذا لم تتمكّن من التوسع. ذلك أنّ هذا اكتشاف الآلة الصناعيّة أصبح نظام الإنتاج والتوزيع عالمياً أكثر فاعليّة، ويؤدّ على كل الشعوب والأمم حتميّة انخراطها في هذا النمط الإنتاجي العالمي إمّا من موقع قدرتها على المنافسة والتبادل أو من موقع التبعيّة. وعلى أساس هذه القاعدة الماديّة نشأت الأنظمة السياسيّة ونشأت الإيديولوجيات وحركات التحرّر. وعلى هذا الأساس أيضاً صنعت بعض الأنظمة العربيّة لحل المسألة الزراعيّة وقضية التنمية، وحاولت توحيد السوق القوميّة التي كان من شأنها السعاع بتطوير العمليّة الإنتاجيّة وتحسين مواقع المنطقة العربيّة في المنافسة الدوليّة. لكنّ هذه الحاولات ضُربت في مهدها، وسيطر عليها الخطاب السياسيّ الأخلاقيّ الشعبيّ بسبب ضعف القوى الاجتماعيّة القادرة على تطوير طاقتها وربطها بإنجاز هذه المهام، وبسبب الهزيمة السياسيّة والعسكريّة التي مُنيت بها المنطقة العربيّة حين كانت الظروف الدوليّة مائزلة تسمح بمشع للصراع بين القوميات.

افضت هذه الهزيمة إلى ترويج ثقافة سياسيّة «واقعيّة» ضيّقة، قوامها أن يُسمّى كلّ بعمر من البلدان العربيّة بعفريه إلى الانخراط

تسريع أبوابها وتسهيل ما يسمّى «الاستثمار» وتفكيك كرافق العامة بالخصخصة المشوانيّة وتهميش المجتمعات العربيّة من قوام ما يُمكن أن يُساهم في لُحمتها تطويعها. ويجري تطبيق هذه السياسة يوماً بعد يوم، وقد قطع شوطاً كبيراً على طريق تحقيق ما يسمّى الشراكة الأوربيّة - العربيّة، واتفاقيات منظمة التجارة العالميّة والمعاهدات الأخرى، أو هي بالأحرى قطع شوطاً على طريق تفكيك ما كان يُحفظ من استقرار هفّ في المجتمعات العربيّة التي باتت أكثر عرضة للتشرذم والتبعيّة.

فكيف تواجه ثقافتنا السياسيّة هذا الواقع السياسيّ؟

تواجه بـ «إدانة» إسرائيل الراضية للسلام، وبـ «التنديد» وبـ «دعوة» إسرائيل إلى الالتزام بالاتفاقيات الدوليّة. وتواجه برفض العولمة والنظام الشرق أوسطيّ رفضاً لا يُقبل السلوّة أو التنازّل الإراديّ. وتواجه بالمقاومة ومجاوبة الاحتلال. لكنّ هذه الثقافة لا تواجه من حيث يمكنها التأثير في مجريات الأحداث في اتجاه تفيد منه القوى الاجتماعيّة العربيّة وتخصّص به للمجتمعات العربيّة. ذلك أنّ التأثير يقتضي الارتقاء من ردود الفعل إلى رؤية سياسيّة تُربط الواقع الاجتماعيّ - الاقتصاديّ في المنطقة العربيّة بالواقع السياسيّ - الثقافيّ، أي رؤية سياسيّة تُربط الواقع الماديّ الحقيقيّ بالإرادة وبالحفاظة على الحقوق نظراً إلى أنّ إرادة الشعوب مهما قويّت لا يُمكنها أن تُنقّز حقوقها إذا كانت مرتعّنة بقلعة عيشها.

إنّ ثقافتنا السياسيّة لا تعير أدنى أهمية لهذا الترابط، إذ إنّها لا تُبحث عن حلول فطليّة لازمة لتطوير المجتمعات بمقدار ما تُبحث عن تحصين نفسها بملكال متّعّنة من الخطاب الأخلاقيّ الغيبيّ. وبهذا المعنى أسهمت ثقافتنا السياسيّة في هزيمة مجتمعاتنا وزيادة عجزنا عن تصديد أهداف هذه المجتمعات أثناء مرحلة صراع القوميات، مثلما سُهم اليوم في تشتيت طاقاتها وقوانا

الأزمات التي تعانيتها المجتمعات العربية يستحيل إيجاد حلول لها في مرحلة العولمة الليبرالية إلا باعتماد عالمي في داخل المجتمعات الصناعية نفسها

ويحدث بذلك جهود كل الشعوب للسمي إلى انتزاع حقوق تتحمم بها قوى واحدة موحدة.

جنباً إلى جنب مع كل حركات مناهضة العولمة الليبرالية في العالم، تتخفي مناهضة العولمة الليبرالية في المنطقة العربية أن تصرّب باتجاه هذا الهدف وإن تتفاعل مع القوى الاجتماعية والسياسية في المنطقة العربية على أساس تطوير هذه المهمة الأساسية، لأسباب متعددة منها:

١ - أن العملية الإنتاجية العالمية وصلت إلى مرحلة عالية التقنية لم يُعد من الممكن للعالم بها بناءً على قاعدة إرساء التراكم الداخلي في المجتمعات الإنتاجية للتخلفة صناعياً. علاوة على ذلك، فإن العملية الإنتاجية العالمية قد أُنجزت سيطرتها على كل الأسواق العالمية، واستطاعت تكييفها مع متطلباتها بما لا يترك لشعوب المجتمعات التخلفة صناعياً غير السمي إلى نيل حصتها من العملية الإنتاجية العالمية نفسها التي نمت وتطورت بجهود كل شعوب العالم.

٢ - إن حصار السوق، فضلاً عن كونها غطسة اقتصادية وسياسية وثقافية، هي غطسة أمنية وعسكرية أيضاً. ولهذا الغاية طورت الشركات المتعددة الجنسية العاملة في قطاع إنتاج السلاح تقنية عالية وأبنا منها أشكالاً من القنابل «النكية» والقنابل النووية غير الخصبة وأشكالاً من «الحروب النظيف» والإبادة غير المرئية. فإنتاج هذه الشركات لا يسعه إلا أن يتنامى في مرحلة العولمة الليبرالية، نظراً إلى نقل شركات السلاح في مواقع الشركات المتعددة الجنسية، ونظراً إلى اعتماد الشركات «المدنية» على مخبرات شركات السلاح وتطوّرها التقني.

هذا الواقع يتّكمن على بلدان العالم الثالث وضعفها الساعية إلى حقوقها إذا لم يتّمسك لهذه الشعوب امتداد عالمي في داخل المجتمعات الصناعية نفسها. وغني عن البيان أن هذا الامتداد لا

في طريق تنمية تخلف الإنتاج «الاقتصادي» الاقتصادي. وافضت في المقابل إلى إبعاد فعل شعبية تُشعَى إلى استكمال إزالة الاستعمار ومواجهة الاحتلال. لكنها افضت في الحالتين إلى تكريس انهيار طموحات السمي إلى توفير المؤنات الاجتماعية - الإنتاجية التي يُمكن أن تُستند إليها المنطقة العربية للانتزاع حقوقها الوطنية وتحسين مواقعها في الصراع بين الأمم.

#### المهام المطروحة على عاتق مناهضة العولمة الليبرالية

إن مناهضة العولمة الليبرالية في المنطقة العربية ليست نشاطاً يضاف إلى النشاطات الأخرى التي أفرزتها ثقافتنا السياسية منذ هزيمة طموحاتنا في إيجاد موقع اجتماعي وسياسي بين الأمم المتصارعة. فهي، مثل غيرها من حركات مناهضة العولمة الليبرالية في العالم، ولأسبابها العالم الثالث، تُشعَى إلى البحث عن حلول فعلية لازمة مجتمعاتها على ضوء ما وصل إليه النظام الرأسمالي العالمي في مرحلة عولمة الليبرالية. وتُشعَى في سبيل ذلك إلى التفاعل مع القوى السياسية والاجتماعية المعنية بالمناهضة لبلورة أدوات معرفية تتناسب مع التطورات العالمية ولتورّك أدوار عمل تتناسب هي الأخرى مع طبيعة الأزمات العالمية وتجسيدها في واقع بلدانها.

فالأزمات التي تعانيتها مجتمعاتنا العربية هي امتداد لعجزها عن إنجاز مهام إزالة بقايا الاستعمار والاحتلال، وإنجاز مهام تطوير بنيتها الاجتماعية والعملية الإنتاجية الداخلية. لكن هذه الأزمات في مرحلة العولمة الليبرالية باتت يستحيل إيجاد حلول لها بحلم عودة التاريخ إلى صراع القوميات، أو بحلم انتفاخ صراع القنطين أو الاقطاب. وبهذا المعنى فإن العولمة الليبرالية هي ثورة تاريخية على الرُغم من كل اللبس التي تُضللها للشعوب، وعلى الرُغم من شراسة الغطسة التي تُقرضها على للشعوب الأكثر ضعفاً. فقد وُضحت الهدف الذي يمكن أن تصرّب إليه كل شعوب العالم،

## حركة مناهضة العولمة الليبرالية في المنطقة العربية: أسباب جمودها وطبيعة المهام الملحّة على عاتقها

الطاقات الفاعلة، ولاسيما الطاقات الشابّة. وعلى ضوء هذه الرؤية أيضاً تُشمل مع القوى الاجتماعية في بعض القطاعات أو بعض المناطق على تطوير إمكانيّاتها وتكييف قطاعاتها في عمل مشترك على المستوى العربيّ أو العالميّ.

لقد حاولنا أثناء التّصغير للقاء ببيروت إرساء بعض الأولويّات التي تُسمّح بتطوير العمل المشترك بين القوى السياسيّة العربيّة والمنظّمات الدوليّة. فهانا اللقاء، وهانا مناسبة انعقاد المنتدى الدوليّ، قبل أن تنتبه القوى للسياسيّة العربيّة إلى أهميّة هذا العمل المشترك في الإسهام في حلّ أزمتنا بلادنا. لكنّ القطار لم يفتُهِ وصمى أن لا تفتوح محطة أخرى.

باريس

يُمكن بلوغه، بتعميم مقولة «صراع الحضارات» أو ببعض الإنتاج الثقافيّ الذي انتجناه منذ بداية عصر النهضة ابتهاجاً بالعدالة العربيّة وديمقراطيّتها أو رجماً بالكثير من المادّيّة والاستعماريّة. وعلى العكس من ذلك يمكن بلوغه بالعمل المشترك وفق اليّة هذه المجتمعات التي لم تعد غربيّة إلا في سياستها الرسميّة والتي يُمكن أن يُسمّهم في تغييرها اقتناعاً للواطنين العرب بممارسة حقّهم الانتخابي مع شيء من التنظيم وتعيين الأهداف.

إنّ تصويب مناهضة العولمة الليبراليّة في المنطقة العربيّة بأنّحاء الهدف العالميّ، أو على الأصحّ بأنّحاء عولمة قضايانا، يتكامل في بلادنا مع السعي إلى عولمة حقّها في مقاومة الاحتلال وإزالة الاستعمار. لكنّ هذا السعي لا يُفصل عن مقاومة انهيار البيئة الاجتماعيّة العربيّة وتقويتها وبشرنة مداهما الاجتماعيّة. وهذا العمل الحثيّ يَسْتدعي بلورة بدائل وحلول على مستوى المنطقة العربيّة بأسرها.

ففي الوقت الذي يشهد فيه العالم، والعالم الثالث ضيقه، إنشاء تكتلات اقتصاديّة، يشدّ حكام العرب عن هذه القاعدة ويَقفون في أحسن الأحوال اتفاقيّات تجاريّة لتسهيل حركة انتقال البضائع المستوردة بشكل يتوافق مع دور إسرائيل الاستراتيجي وضغط من قوى العولمة الليبراليّة. ويُمكن القوى السياسيّة العربيّة والقوى الاجتماعيّة أن تُسمّهم في تغيير هذا الواقع المأساويّ إذا اقتضتْ بجدوى العمل المشترك من أجل أهداف وبدائل أخرى لا تُخالف عما تقوم به المناطق التي تحمّس مجتمعاتها في مواجهة الانهيار الاجتماعيّ سواء بمبادلة فتح الأسواق مقابل التنمية المشتركة، أو بإعادة تأهيل القطاعات المنتجة واليد العاملة مقابل اتفاقات للشراكة وتوازن التبادل في التجارة العالميّة.

على ضوء هذه الرؤية فإنّ قوى مناهضة العولمة الليبراليّة في المنطقة العربيّة تُشمل على تعميم تجارب المناهضة في العالم وتطوير بعض التجارب المحليّة والانتداب في عمل مشترك مع

قاسم عزّ الدين

كاتب سياسيّ لبنانيّ، يفضّل بمسائل الهجرة والعولمة والعلاقات الدوليّة.

## أسئلة الفرنكفونية

□ الآداب

لقي الملف الذي نشرته الآداب في العدد الماضي، وعنوانه «اقتنعة الفرنكفونية»، ترحيباً شديداً من معظم قرائه. وقد يعود هذا الترحيب إلى أن المجلة كانت أول منبر (وربما الوحيد أيضاً) الذي كسرت في سنة الاحتفال بالقمّة الفرنكفونية في بيروت جو «السنويزم» الذي يتّبع ببعض الناطقين بالفرنسية إلى الاستعلاء على المخترعين إليها، وبعض أصعاب عقدة للنقص إزاء الحضارة العربية إلى الانقراض. وقد حاول الملف السابق أن يكشف الاقتنعة التي تتسمّر بها الفرنكفونية (كولعبها برفع شعارتي «حوار الحضارات» و«التعدد أو التنوع الثقافي») لترويج المصالح الاقتصادية والبضائع الثقافية الفرنسية، على ما أجمع ثلاثة كتاب من بلجيكا ولبنان والولايات المتحدة وقسمته «أرقام الآداب».

وقد ندّعنا ذلك الترحيب إلى توسيع ملفّ الفرنكفونية (ولاسيّما أننا مازلنا نحْتَفل بانشطتها في بيروت رغم تأجيل قمتها). وكانت مصطلحات الان في المغرب حيث تكتشر اللّغة الفرنسية انتشاراً كبيراً في الإدارة والإعلام والتعليم برغم وجود 8/10 ينطقون بها فقط بحسب حسن الصميلي.

ولا حاجة في الختام إلى أن نذكّر أن هذا الملف سيبقى مفتوحاً لأن أسئلته وقضاياها شائكة وتُشتمل وجهات نظر كثيرة.

بيروت

## الفرنكفونية واللغات الأدبية المحلية

□ عبد الكبير الخطيبي

ترجمة: فريد الزاهي

### الفرنسيّة بوصفها لغة حب

لكلّ لبنّاء من الحاضر يُلَبِّية دراسة الماضي، لتُلمّظ من الواقع العينيّ للفرنكفونيّة، ومن خلفيّتها اللّغويّة المحليّة. إنّ بآدان الفرنكفونيّة يكاملها تميش ازديالًا لغويًّا من نوع خاصّ، هذا إذا لم تكن تُشرف التّعدّد اللّغويّ، ففي كل مكان، هناك علامات شامدة على التّمازج والانصمام اللّسانيّ والروافدة، وعلى التّراتبيّة بين اللّغات المحليّة.

وأنا، بوصفي كاتبًا مغربيًّا، لا يُمكنني الصّمت على واقعيتيّ مهمّتين<sup>(١)</sup>

- فالتكوين اللّسانيّ الفعليّ في المغرب عربيّ وبربريّ، فرنسيّ وإسبانيّ ولا يشكل هامشيًّا من جهة؛

- أمّا من جهة ثانية، فاللسان العربيّ منوع اللّغة، إذ هو موزّع بين تقليديّين اثْنَيْن، يعود أحدهما إلى الذاكرة المكتوبة، فيما يعود الآخر إلى الحكاية الشفويّة.

هذا هو ما يفسّر احتواء المغرب أربعة أداب متوازنة، أحد هذه الأداب مكتوبة بالعربيّة ويحيل على الأمّة العربيّة الإسلاميّة (وابس عليها وحدها) وجينيالوجيًّا النصّيّة، والثاني يسري ويترحل بين الشعر الشعبيّ والخرافة، والغناء، والممارسة السحرية والصوفيّة، نظرًا إلى كونه مصوغًا بالعربيّة الشفويّة، ولم يصب بالتقييد والكتابة. أمّا الادب البربريّ، وهو الأدب الأصقّ والأقدم، فهو بالرّغم من كونه خَصَصَ للصّبح، يترحل أيضًا بين فضاءات ثقافيّة مُحفظة من الثقافة الشعبيّة. وأخيرًا هناك الأدب الفرنسيّ اللّغة، وهو وجينيالوجيا مزدوجة، فليس من الصّدف أن يكون الكتاب للغاريّون أسرى السيرة الذاتية؛ ذلك أنّ الكتابة بلغة أجنبيّة تُشكّل طريقة لتأسيس مشروعيّة فعل الكتاب.

منذ مئة يدور الحديث لا عن الأدب الفرنسيّ في وحدته، وإنّما عن الأداب الفرنكفونيّة، وهذا الرأي يُلتزَم وجودًا فعليًّا للتّعدّد والاختلاف في اللّغات الأدبيّة المحليّة. إنّها تعديّة ذات منمى نشيط، ذلك أنّه لا يُمكن وجود تجربة عالميّة وثقافيّة شاملة من دون وجود أعمال تتشكّل في حضان هذه اللّغات المحليّة، كلّ على حدة. ولنا الحقّ في طرح سؤال أوّل: هل هذه التّسمية (اعني الأداب الفرنكفونيّة) مجرّد تمصيل حاصل، أم أنّها تعيش وشعبيّة جديدة كليّة وجوهريّة، وشعبيّة قد تعرّض للخطر لا الأدب الفرنسيّ وحده وإنّما، وبصورة أكثر جذريّة (اعني للجنون وتباين الجنون)، اللّغة الفرنسيّة في مبدل هويّتها؟ إنّنا نأخذ هذا التعبير الأخير في بنيته اللّسانيّة والثقافيّة والسياسيّة (الموطنيّة والدوايّة)، من دون أن تُنسى البعد الإعلانيّ الذي غدا دوره راسخًا بشكل متزايد. لذا سيكون هذا المجموع الهيكليّ، الذي يتّكّ هذا المبدأ أو ذاك من الصّلاية والانصمام، أحد محاور حديثنا.

يبدو في تمحيصنا الأوّل أنّ تسمية «الأدب الفرنكفونيّة» تقتضي أنّ في تعديّة اللّغات المحليّة نموذجًا مرجعيًّا هو الأدب الفرنسيّ في مبدل هويّته. إنّ هذا مبدأ سوف تُلتَمّح وتُلتَمّح به لغات محليّة أخرى (مكتوبة وشفويّة): اللّجهة اللاويّونيّة والرومنديّة والكنديّة والمغربيّة، ولغة الكريل، من دون أن تُنسى اللّجهة البروطانيّة والكورسيكيّة، ومجموع الخصائص اللّغويّة التي يضمّها التّراب الفرنسيّ. إنّ هذه اللّغات المحليّة، كلّها في ذلك مكان مجاز الشجرة، تُزهر كما لو كانت قد استُنبِطت حول هذا النموذج المرجعيّ، أي حول مبدأ الهوية ذاته، الذي حدّته الشاعريّ الفرنسيّ إيل برتولا مياستاره فاعدة تُشعّي نحو لطاقيّة بين الواقع والفعل، وتُمكن من تقادي الشّلة في كون اللّسان يُعكّس، ويبدّل، وفي بنيته نفسها، هذا العقلّ intelligible<sup>(٢)</sup>.

١ - انظر L'improbable et autre essais (اللاستعمل وأبحاث أخرى) غاليليان، ١٩٨٠، ص ٣٦٠.

٢ - انظر كتابا Figures de l'étranger (صورة الأجنبيّ في الأدب الفرنسيّ) دويول ١٩٨٧، ص ١٠.



يقترح دوبوسي خلق توجه جديد للفرنكفونية  
يتماشى مع مبدأ احترام تنوع اللغات المحلية،  
ومبدأ عالمية متعدد الأقطاب

والتسجيل للقيمي في الجمارك، وله كذلك حراسه وتخزيه  
وطايله، هذا من دون أن ننسى الإصدار الفاضل الهادف إلى  
إحكام الطرق، فكل عنصر في الحب محاسبه. وأن نحس، ولو  
جزئياً، مسألة تتطلب التجسس والتفكير. وهو سر لا يخفى على  
أحد، فإمكانه أن يخضع للتدبير، إذ هو يملك اقتصاده الطقوسي  
الموارث أياً عن جذبه<sup>(١)</sup>

ونظراً لملك الكاتب لغة حب مستقلة من تقليد اجنبي، فسوف  
يكون مضطراً إلى ممارسة ازدواج اللغوي. هكذا سوف يجد  
نفسه في بلده الأصلي يتكلم أحياناً لغة ويكتب بأخرى، في العجم  
نفسه، فالازدواج اللغوي، سواء كان معيشياً بشكل نشيط، أو  
بشكل يتنجس للعرض، يمكن الكاتب من كسفر آخر؛ فهو يترك في  
آخر اللطاف أن لغته ليست لغة أمّاً ولا لغة أباً... وأنها، بوصفها  
تجربة كتابية لغة غير شخصية، غير شخصية نعم، ومعنى  
مزيج؛ فاللغة، من جهة، لا تنتمي لأحد؛ وهي، من جهة أخرى،  
تتخذ قناتها باعتبارها حيانه من قبل مجرعه أو بلرم صوريه  
للخيارات الرمزية التي يتبادلها. إن الألفبائية تلك تشكّل يوناني  
الكاتب، أو بالأحرى مظاهراً. أمّا على أرض الواقع فالأشياء تكون  
أكثر تعقيداً على التناول، فالكاتب الذي تحاول هنا رسم صورته  
يحص أنه قد تعرض، بشكل أو بآخر، لفقدان جزر من ذاته. إنه  
يجس نفسه هامشياً فيما يفتقره حساساً وشغولاً بفرنسا من غير  
أن يكون كذلك، ومن غير أن يكون مطابقاً لذاته أو فرنسيّاً حقاً. لذا  
فهو يتعرض لإنكار وتجاهل مصوريين أحياناً بالمحاكاة.

ما الذي نمانيه في الفرنكفونية؟ وبطش شكايه يتعلق الأمر  
خصوصاً إذا نحن انطلاقنا من المعنى الأصلي للفعل الفرنسي  
doulouir الذي اشتق منه كلمة douleur: شكوى - عتاب

فالكاتب باللغة الفرنسية يقول في البدء: هذه هي ولادتي، ولكنكم  
اسمي، وهذه أرضي، ولكنكم «قلبي الذي لا يُلبس إلا لكم». إنه  
ينظر إلى هويته وهويته شعبه عبر ما يُخشي إثنولوجيا أدبية. كلما  
توغل في هذا المسار اكتشف محاسن الغربة والاضطرابات التي  
تُلقها، فيمقدار ما تعيد اللغة الفرنسية بُنية اللغة الأم، ينصاع  
الكاتب للغة الغريبة هذه. إنها غواية الكلمات وهي تتلطم فيما بينها  
في لغة حب تحافظ على قواعد اللبابة.

يحص ذلك الكاتب بمفارقات لغة الحب هذه (الآتية من مكان آخر  
ومن ذاكرة أخرى)، من غير أن يتمكن من تطويرها وبلورتها. اليس  
مطالبا بتغيير جينالوجيته النصية من خلال التماهي مع هذا  
الكاتب الفرنسي أو ذاك؟ وفي الوقت نفسه، اليس هذا التعويض  
في صلب الذاكرة خطأ، وهذا بصرية لا تُصاغي؟ اليس فعل  
الطبيعة مكوناً من مكونات كل فعل أدبي جديد؟ فقط، يتبني  
صياغة الأشكال، وإبداعاً واستكشافاً ما ظل صامداً في لغة الحب  
هذه. ويأتي اليوم الذي يُحص فيه هذا الكاتب أنه غدا متأكداً إلى  
حد ما من إمكاناته، ليمتلك اللغة الفرنسية. إنه يقوم بذلك على  
طريقته الخاصة، وغالباً بجموح عارم. هكذا يُقدّر أن شيئاً ما  
جديداً يتبني من أصاق ماضٍ إصعاري. إنه شيء جديد وفوق قابل  
للتحديد، ربما كان ذلك شيء من لغة ماء، شيء سوف تُكشف لهذا  
الكاتب النقي أن كل لغة خاضعة لقوانين تجارية. ولكن ما الذي  
يتغاضر للكاتب بصده مع رفيقت في الحب؟ أم جسدها، أم  
روحها، أم نفسها؟ الحب، كما البذرة، مسألة كتابية وترجمية للقيم  
التبادلية؛ فالحب اقتصاده أيضاً من تمويل واستدانة وتسديد  
وتخفيض وعجز وصرفاء. وله كذلك حقوقه المكتسبة في العتار  
التجاري، وحق التملك المثل، وحق امتلاك الأسهم، وحق المنفعة

١ - أنظر Nouveaux discours sur l'universalité de la langue française (خطبات جديدة حول عالمية اللغة الفرنسية)، عالمبار ١٩٨٨

## الفرنكفونية واللغات الأدبية المحلية

### عن القومية والعالمية في الأدب

عادة ما نقول إن وطن الكاتب هو اللغة، فهل يوجد إذن، في ما وراء تعدد اللغات المحلية للفرنكفونية، وطن أدبي، أو بالأحرى وطن مشترك trans-nation يكون القلب النابض للفرنكفونية؟

لقد قدم تييري ديويسي Th. de Beaucé، بوصفه كاتباً ووزيراً في الحكومة الفرنسية، جواباً ممكناً عن هذا التساؤل. ففي كتاب عنيف، يحلل ديويسي الفرنكفونية باعتبارها لساناً عالمياً بقوله: «نظراً لدعوى العالمية التي تتمتع بها اللغة الفرنسية، بوصفها اللغة الأولى، يتحتم عليها إعطاء المثل في المقاومة، وتصديق الاستراتيجيات المشتركة الجديرة بحماية التعددية. فمن يقال إن اللغة الفرنسية تُفني فرنسا، يتم الخلط بين مصالحي الشعب والدولة ومصالح تمثيل لسانتي معين. والحال أن مناخ اللغة الفرنسية ليس مناخ فرنسا قط، مع أن فرنسا تقوم فيه بدور خاضع وفريد». وذلك هو النحى الذي سنتلخذه مدخلتنا بدورها.

يتنامى انتشار اللغة الفرنسية في العالم بوتيرة آتية من وبيرة تعميم اللغة الأنجلوأميركية الذي يساير التجارة والثقافة. يُقترح الكاتب، إزاء تقنية المصاداة المهيمنة هذه، خلق توجّه جديد للفرنكفونية، وذلك تيمناً لاستراتيجية غير دفاعية هذه المرة، وإشاً مرنة ونشطة ومتنامية مع مبدأ مزدوج: مبدأ احترام تنوع اللغات المحلية، ومبدأ عالمية متعدي ومتعدد الاقطاب. هكذا ينتهي بحث المراكز والمركز العرقي، الذي يتحكم في الحضارة الفرنسية، في اندماجها وتوحيدها حول موقع جغرافي معين ودولاً وإيديولوجيا محدّتين: إن فرنسا هذه يتبعها المؤلف، بالامتدادية.

ولكن لكي يقدّم مبدأ الفرنكفونية هذا فاعلاً، يتطلب الأمر وجود قواعد لعبة بين الأطراف المعنية تكون شاملة بما فيه الكفاية، ويتطلب أيضاً وجود قوانين ضاغطة في اللغة التي تنقسمها تلك الأطراف وتُنقسم داخلها. إنها ضاغطة في غير محاباة، ويحدّ عن هوية تكون

بدورها في حالة صيرورة. فإذا ما نحن قبلنا بفكرة هوية لا استقرار لها في الماضي، فإنّ بإمكاننا التوصل إلى تصور أكثر صواباً لهوية في حالة صيرورة. وأنا أعني هوية تكون إرثاً من الآثار والكلمات والتقاليد، وتتحول مع الزمن للمحدّد لصيانتنا بعضيتنا مع بعض ومع الآخرين. ذلك أنّ الإنسان الذي لا يحافظ على حياته، بفضل ماضيه المشرق وحده، يُبقي ميثاً محطاً، أي ميثاً قد لا يكون عاش أبداً.

هكذا يتوضّح أنّ الهوية لا تتحدّد من خلال بنية أدبية، بل هي - حسب رأينا - محكومة بعلاقات متفاعلة بين الزمن والمضاء والثقافة التي تهيكّل حياة مجموعة بشرية أو عرقية أو حياة مجتمع ما. إنها ترجمة لحركة الوجود ومرورته وتكيّله مع الأحداث، ومع طاقته الخاصة في التجسد. تعني «الضيافة» هنا إنصافاً للآخر باعتبارها آخر، ومن ثمّ الإنصات له من أجل التمكن من استقباله في فراغه. إنها كلمة أتية من مكان آخر بعيد، ومراس لهويتي الخاصة في تبلورها، ومراس لمدوحي الخاص إلى العالمية، كينما كنت: أسسكاً بالقرّة أم محروماً منها، امتدعاً باستراتيجية قويّة أم محروماً منها.

يتعلّق الأمر فعلاً بمبدأ لتعدّد اللغات المحلية، لكن لماذا كيف يكون ذلك التعدّد شراً لغوياً لا فراً في الواقع؟ لنأخذ لغة الكريول نموذجاً. إن ما يتّبع هذه اللغة قيمتها هو، بالتعبير الشائع، تكيّلهما المحلية وتبرئها الغنائية والراقصة ومرتلانها الغرائبية، كما هو للشبان بعض الشيء مع «السكّا» scat مع موسيقى الجاز، باعتبار أنّ فعل scater يعني تالية متتابع غنائية عبر محاكاة آلات تلك الموسيقى.

لكننا نكلم أنّ جيمس جويس، وهو من بين الكتاب المرموقين في هذا القرن، قد ابتدع هذه لغات محلية ومن بينها لغة «السكّا» الأدبية في روايته يقظة فينيجان Pinnegan's Wake. إن ما نُقصده هنا هو أنّ لغة الكريول عبارة عن رطانة Pidgin أي هي مزيج من اللغات؛ ونحن نلخّص عمل أدبي ما على عاتقه هذا التمارج فإنه يقدّم مختبراً للإبداع الأدبي، فالكريول ليس قضية محلية

اللغة الفرنسية تكبت قوتها الضميرية  
كما كبتت منذ خمسة قرون تنوع لغاتها  
المحلية

نموذجاً ومقياساً هوية بالنسبة للفرنسيين. إنه نموذج فرنسا حول  
مركزية البلد والدولة واللغة والدين. وإدراكاً من أن هذه الهوية من  
الذات إلى الذات من خلال أنظمة من القواعد الشكلية التي ما تزال  
تتحكم فيها، وكأها الهيكل السامي للغة الفرنسية. غير أن اللغة  
الكلاسيكية، التي غدت ذات مزج إنساني منذ عصر الانوار،  
تعرضت لأولى التقلبات مع الثورة الشعرية التي عاشتها فرنسا منذ  
بداية القرن التاسع عشر. فقد استطاع بوليفر، باستيعابه للغة  
الكلاسيكية ولأشكالها في أكثر مظاهرها الإنسانية الشهيرة، أن  
يقود الأدب الفرنسي نحو حداثة لا مثيل لها. وحقق تلك اللغة بشكل  
مزيج. وربما كان ذلك آخر شاعر عذري في فرنسا، متطافراً - ويا  
للحيلة الكبرى - بأنه شاعر كلاسيكي منقطع. أما أن يكون اسم  
ملارمي، بعد بوليفر، علامة على تحريرة نموذجية، فهو شيء لا  
يفاجئ أحداً. إنه من دون شك المنظر والممارس والشعر الغالب،  
غير أننا ننسى أنه كان ملك وعياً حاداً وموتاً جيداً بنهاية الكتاب  
المشامل Le Livre. لقد كان يترك وعياً دقيقاً بالوجود المعتمد  
للتقنية. ففي حزمة زردة تكون للقصيدة عبارة عن لعبة فضاءية بين  
قراءات عديدة متراكبة على مستويات مختلفة. كان ملارمي يرغب  
في كتابة قصيدة ذات صياغة كالغرافية ولباعية، قصيدة تكون  
منسقة للروح وسينوغرافية رؤياً وفكرًا نابضاً للفرح. إنه الأدب  
باعتباره اقتضائاً متدرجاً للمضيء والمغمض بعيداً عن الفضاء  
(التشكيل البصري واللوني للكلمات) مجال تولد لإبداع. لما عن  
رامبو، شاعر الهجرة باختيار، فلما تترك الكلمة لأطوان رايو  
A. Raynaud الذي يجدد شعره باعتبار ما يمكن تسميته انتفاخاً  
في الحكاية. فلما كانت الحكاية تشتمل على بعض الأسرار، فلن كل  
اشتغال النص ينصب بالضرورة على جولة إلى الانشقاق.

إن هذا الانشقاق يشكل في نظره إمكانية استخراج وتحريك طاقة  
جديدة في النص... وفي هذا السياق يلزمنا فهم كلمة barbare  
كما يستخدمها رامبو، لا بمعنى الهمجية التي يدّم الحديث دائماً

فقط ولأما يشكل الإمكان الأصيل لكل لغة كي تتغلب من اللغات  
الأخرى وتبقى بفضلها، وذلك من غير السقوط في الهذو أو العودة  
إلى الصرخات الهمجية. إن جويس، وهو الإيرلندي الأصل، لم  
يخض للدمج بالإنجليزية، وهي اللغة الكونية، إلى حدود العمى.  
ومع ذلك، فإن النقد الميترولوجي (الحواشري) يحتفل بجويس  
ويجاهل الكروي. فالأمر يتعلق بوزنات وميكانيك. ينسى هذا النقد  
أن الكتابة هي تركب بصمات الصوت والعاطفة على رسوم الكلمات؛  
ولذلك هو تصوريًا للادب، إذ التماسج الأول للكتابة موزع بين  
الصوت والمكتوب. إن كل لغة تفتن قواعدنا التعبيرية، غير أن  
السنن يدوي في حضرة الإبداع

نحن نتحدث عن الضيافة في اللغة، مع أن الواقع معقد، حسب  
مطلق التاريخ، من قبل التراثية ومهمة لغات على أخرى، وكذلك  
غير تحديثية الأمتصاصية والمتبانية. وهو ما يؤدي إلى نفي اللغات  
وهلاكها وتشتيت اللغات المحلية، وإلى كلمة بعضها  
والصمت المحيط ببعض الآخر. إن كل هذه المكابدات تشكل أيضاً  
جزءاً من الفرنكوفونية.

يعاني الفرنسيون التلخرف الذي تعيقه لغتهم، بالمقارنة مع التعبير  
العالمي باللغة الأنجلو أميركية. هذا في الوقت الذي يشكر فيه  
الفرنكوفونيون من وضعهم معبرين أنفسهم موضع تجاهل متجذر  
من قبل الميترولوج. لقد غدت اللغة الأنجلو أميركية اللغة المشتركة  
العامة في جميع المجالات، الصناعية والتقنية والسياسية  
والبيولوجية والثقافية والإعلامية... وقد تسرعت هذه التوتيرة لأن  
اللغة أصبحت وسيلة لتطوير الإعلاميات، وشفرة صدى وتناظرية، أي  
تقنية إعادة إنتاج للزمن بوصفه ذاكرة لسطحية. أما الكتاب، بوتقة  
للتراث المكتوب، فقد أضاع موقعه الاستراتيجي في مجال المعرفة.  
ويلزمه من الآن أن يتكيف بدوره كمنصهر ومهبط للتواصل الإعلامي.

لكن لنعد إلى اللغة الفرنسية التي حطيت منذ العصر الكلاسيكي  
باستمرار رائع أكيد. فاللغة الكلاسيكية لاتزال إلى يومنا هذا

## الفرنكفونية واللغات الأدبية المحلية

الفرنكفونية مشروع واسع ومعقد وطموح، وهي بالنسبة إلى البعض شيء طوباوي. وبإمكاننا التساؤل بالفعل عما إذا كان اتباعها قد منّحوا أنفسهم الوسائل المادية والثقافية لتمكينها من قواعد صلبة. أفلا يوجد بين الشمال والجنوب لاتوازنٌ بديهيٌّ جداً؟ اليس هذا اللاتوازن مؤثراً بين احتكار البعض وفقر البعض الآخر؟ ولمسهدى المنصرة الحق في التساؤل: «هل تشكّل للفرنكفونية وسيلة للعلاقات الدولية؟ وإذا كان الأمر كذلك فما هو الجديد فيها؟»<sup>(١)</sup>

يجيب المنصرة بالسلب، وضمناً الردّ على المعطيات الواقعية: كالعديد للحدود للناطقين بالفرنسية (١٠٦ ملايين نسمة)، وضغط الوزن الاقتصادي للعالم الفرنكفوني، ولاتوازن الناتج القومي الضام بين كندا وفرنسا من جهة (٨٣٪) والبلدان الإفريقية من جهة ثانية (٥٨٪).

كثيرة هي العوائق التي تشهّد على وضعية جدّ غامضة مورثة عن تاريخ استعماريٍّ طويل، وناتجة عن تفكير لا يفتأ يتزايد حدّة. أين نحن الآن؟ ما هو حال الفرنكفونية بوصفها محور ثقافة واستراتيجية دولية؟ إننا لانزال في فجر التساؤل من التقسيمات الجديدة بين اللغات، ومن سرعنة التقنيّة وأثار التدويل déterritorialisation.

الدار البيضاء

عبد الكبير الخطيبي

من كبار كتّاب المغرب الأقصى. من كتبه الحب الشفائي للغة، والذاكرة الموشومة

عنها، وإنما في المعنى المرجّح في نهاية القرن التاسع عشر، أيّ تهديم النظام القائم، وتشغيل حركة طاقة معينة. إنّ الهجيين هم، بهذا المعنى، الدّم الجديد للذين ياتون ويُسرون روما. وهو من ثمّ محاولة أي، بالأحرى، تحقيق نظام جديد يكون محملاً بممكّنات جديدة.<sup>(٢)</sup>

لقد أتينا على ذكر لحظات تطلّخ عاشتها اللّغة الكلاسيكية، ونحن نفكر في أنّ هذا التطلّخ الذي استمرّ – وبطريقة متباعدة – حتى القرن العشرين لا يزال فاعلاً سواء في فرنسا أو خارج حدودها، وكذلك في لغات أدبية محلية هي في طور التكوّن لكنّ قد يقول قائل: عمّ تتحدّث؟ من يقرأ الشعر الآن في فرنسا؟ إذ الشعراء مامشور الأدب الفرنسي. ونحن نعيش المفارقة التالية: فاللّغة الفرنسية تكثرت قوّتها الشعرية كما كثبت منذ خمسة قرون تنوّع لغاتها المحلية. غير أنّها في الوقت نفسه لم تُعمل بما فيه الكفاية على التحوّل إلى لغة معيّة standard كي تُعمل على تنشيط عالميّتها الأدبية. سواء في العالم الفرنكفوني أو في بلدان أخرى.

تشكّل فرنسا بلداً أوروبياً ومتوسّطياً وفرنكفونياً في الآن نفسه. وتلك هي العناصر الثلاثة المكوّنة لهويّتها. لهذا السبب يُعتقد الآن دوكو A. Decaux، الوزير والأديب، أنّ الهوية التبلورة لأوروبا تُعَن في ممارسة التعدّد اللّغوي<sup>(٣)</sup> باعتبار أنّ هذه الممارسة ستكون في صالح التوازن بين الشمال والجنوب والشرق والغرب. هكذا يدافع دوكو عن تعليم لغتين، وعن أنماذج لغويّ يسمّى أنماذج «الحوار» كمثل الألفانيّة في شرق فرنسا. إنّها طريقة لخلق أماكن مرور وتبادل، غيرت تعقيد التواصلات بين الناس.

١ - انظر Imaginaires de l'autre (متخيّلات الآخر) لرامطان، باريس ١٩٨٩.

٢ - انظر مقاله «أوروبا وتحدي اللّغات، جريدة لوموند، ١٤ سبتمبر ١٩٨٩.

٣ - المغرب العربي والفرنكفونية، مجلة Economica، باريس ١٩٨٨.



## حوار مع حسن الصميلي حول الفرنكفونية

أجراه: عبد الحق بليض

□ حسن الصميلي

ما يؤكّد هذا الترجمة مبادرتنا العملية والطلبة التي تجسّدت في تأسيسنا - داخل اللجنة العربية - قسم الترجمة، ومن أرواثة تقريباً مشارب الثقافات المختلفة فيما بينها. وهكذا قمنا بترجمة مؤلفات فرنسية وإنجليزية إلى اللغة العربية، أو العكس. وكان دورنا الأساسي في ذلك كله هو التعريف بصورة الحضارة العربية والإسلامية في الغرب، كي لا تظلّ هذه الصورة منقولة عن المستشرق فقط، ولما تكون منبثقة من مصطلحات وفهمها عرب ومسلمون عن طريق الترجمة. إلّا أنّه بعد حرب الخليج الثانية سنة ١٩٩١ وقعت قطعة بين «اللجنة العربية» والجمعية، وكنت شخصياً قد جمعت عضويتي في «اللجنة» إلى غاية ١٩٩٢، حين ظهرت مسأولة جديدة لتفعيل عمل اللجنة، وبُعِثني إلى اجتماع في مدينة بيروت سنة ١٩٩٣، ووجدنا نَشْتَغِل من جديد. إلّا أنّ للمستجد البارز هو ظهور تراجع في اتجاه حوار الثقافات، وظهر هناك تشبُّد من بعض الفرنسيين والكيبيكيين والبلجيكيين في هذا الموضوع.

المؤسسة الثانية التي انتهت إليها، كما ذكرت، هي «وكالة التعاون الثقافي والتقني»، وهي وكالة فرنكفونية حكومية. إذ إنّ الأعضاء المنتمين إليها يمثلون حكوماتهم. وكان المغرب عضواً ملاحظاً في هذه الوكالة. وبالإشارة، فقد كان انتمايي إلى هذه المؤسسة الفرنكفونية بصفة شخصية، بوصفي خبيراً في الشؤون الإدارية.

حوار الثقافات، شعار ترفعه القمة الفرنكفونية القادمة التي يُرنَمع عليها في خريف ٢٠٠٢. وهذا يعني أنّ المؤسسة الفرنكفونية بدأت تميّز دور التعددية الثقافية في إضفاء عنصر التواصل بين أعضائها. فهل هذا التحول ناتج جزئياً عن نضالاتكم ونضالات أمثالكم السنابيه؟ أم أنّه وليد تحولات بنموية في مسار المؤسسة الفرنكفونية ذاتها؟

المؤسسة الفرنكفونية، ولسنوات عديدة، كانت مؤسسة ثقافية في المقام الأول. والدليل على ذلك وجود الجهازين الثقافيَيْن اللذين

بدأت علاقتهما بالفرنكفونية منذ ١٩٨٣ حين انتصبت إلى مؤسستين فرنكفونيتين هامّتين هما: «جمعية الجامعات الدولية الناطقة كلياً أو جزئياً باللغة الفرنسية»، و«وكالة التعاون الثقافي والتقني»، كيف يُمكنكم تلوين هذه التجربة؟ بدأت علاقاتي بالفرنكفونية، كما أشرت في سؤالك، منذ سنة ١٩٨٣، عندما شاركت في الجمع العام لـ «جمعية الجامعات الناطقة كلياً أو جزئياً بالفرنسية» مندباً من قبل الجامعة المغربية. وكنت لحظتها رئيساً لشعبة اللغة الفرنسية وأدائها في جامعة فاس. ثمّ انتُخبت في اجتماع لومي ضمن اللجنة العربية. إلى جانب العديد من الأعضاء من مختلف الدول العربية الناطقة كلياً أو جزئياً بالفرنسية.

ومن أهمّ مشاريع العمل التي اقترحتها في هذه اللجنة، بعمية أعضاء من أميركا اللاتينية، مشروع بحث الجمعية على الانعقاد بمسألة «صوار الثقافات». ومازلت ألتكّر الصراغ للرؤى الذي خضناه مع بعض الأعضاء الفرنسيين والكيبيكيين والبلجيكيين الذين كانوا يمارسون توجهاتنا في الموضوع ويُسَوِّقُون بقوة إلى فرض رؤاهم. إلّا أنّنا، رغم كل الصعاب والصراخ، نجّشنا في فرض الأجاء الذي كنّا ندافع عنه ومما ساعدنا على العمل ما رُصِد من ميزانيات كانت تُصرف على الأعمال والأنشطة والبرامج التي كنّا نقوم بها داخل اللجنة العربية. وهكذا اقترحت إنشاء معهد مثقل للسانديات، بل عقبتنا دورات علمية باسمه في كلّ من تونس والمغرب والفاصرة وبمشق. وقد كانت هذه الدورات مناسبة علمية ثمينة استقبلنا فيها أن كُجَم لفيقاً من الأساتذة الباحثين والطلبة المتخصصين في اللسانيات العربية ليتدارسوا قضايا اللغة والثقافة في الوطن العربي. كما أتاحت لنا هذه الدورات فرصة دعوة كبار الباحثين في اللسانيات والشأن اللغوي من فرنسا ومن أميركا ومن العالم العربي. وقد تمكّن في عملنا هذا مبدأ جوهري كان يقام على أساس مسألة حوار الثقافات، وتعزيز مكانة اللغة العربية أيضاً.

## حوار مع حسن الصميلي حول الفرنكفونية

والاقتصادية عن طريق رفع شعارتي التحدّد الثقافي وحوار الثقافات. فالفرنكفونية كانت ومازالت جهازاً لصماية مستقبل فرنسا الثقافي والسياسي، وهذا ما أكده الخبراء مستشرقين قوة الهيمنة الأميركية المرتقبة آنذاك. فأميركا ظهرت وتتنمّر أكبر مرشح لقيادة العالم بدلاً من اللغويين التقليديّين: فرنسا وإنجلترا. وكان هؤلاء الخبراء متيقّنين من أنّ هذه القوة الجديدة ستكتسح العالم بلغتها وهافتها، وهنا كانت المعضلة التي تواجه القوة الفرنسية المترجمة. لذلك نشأت فكرة «الفرنكفونية» للدفاع عن اللغة والثقافة الفرنسيّتين. بل إنّ المفكر الذي نظّر لهذا الفهم كان يقول إنّ اللغة الفرنسية عندما تكون خارج فرنسا وليجيكاً والكيبك تكون فقط لغة نخبية والقبضة في تبذل مستمرة ولا يُمكننا أن نُفخمن استمراراً اللغة. وأعلى مثالاً على ذلك روسيا التي كانت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تتكلم الفرنسية؛ حتى إنّ اللغة الفرنسية كانت في لغة البلاد، ولغة النخبة المسيطرة سياسياً واقتصادياً وثقافياً. لكنّ ما إنّ جاءت الثورة البولشفية سنة ١٩١٧ حتى تمّ القضاء على اللغة الفرنسية في الأضواء السوفياتية، وهكذا، فإذا استمرت اللغة الفرنسية لغة نخبية كما في العديد من البلدان الفرنكفونية ومنها المغرب، فإنّ مصيرها سيؤول إلى الزوال.

إنّ شعارتي «التحدّد الثقافي واللغوي» و«حوار الثقافات» شعاران بدون دلالة في سياق السياسة الثقافية التي تنتهجها فرنسا بمعونة القبطيين الآخرين في المنظمة الفرنكفونية، الكيبك ويليكا. إنّ الفرنكفونية هي أصلاً وسيلة مؤسساتية لمحاولة التوسّع من أجل التخلّص الفرنسي في أوسال للجنة المدني لكافة الدول الفرنكفونية، وذلك من خلال خلق جمعيات وهيئات متعدّدة الاعتمادات مثل «جمعية الصحفيين الفرنكفونيين» و«جمعية الجامعات الدولية الناطقة جزئياً أو كلياً بالفرنسية»، و«جمعية عمدة المدن الفرنكفونية». بل سمعت المؤسسة الفرنكفونية

ذكرها أيضاً. لكنّ التحولات الكبرى والمتسارعة التي عصفت بالعالم، ففككت الإمبراطورية السوفياتية وأطلقت مفهوم العولمة في فضاء التفكير والتعامل العالميّين ونصّبت الولايات المتحدة قائداً وحيداً للعالم، غيرت أبنّ انشغالات الفرنكفونية وبخفها إلى الاهتمام بالمعنى السياسي. فتحوّلت نتيجة لذلك، إلى مؤسسة سياسية ذات أهداف وغايات سياسية نفعية ترتكز من أجلها كلّ الوسائل الممكنة. وفقاً للمقتضيات الوضعية السياسية العالمية. وهكذا، ابتداءً من قسّ روساي العام ١٩٨٦، برزّ المنزغ السياسيّ توجّهاً عاماً وإساسياً في اهتمامات المؤسسة الفرنكفونية. وبلغ هذا المنزغ أوجه في قسّ جزيرة موريس عام ١٩٩٢، وذلك في الخطاب الذي ألقاه الرئيس فرانسوا ميتران أمام أكثر من سبعة وأربعين ممثلاً لدولة ناطقة كلياً أو جزئياً بالفرنسية، ونكّر فيه بالصور الذي تلعبه المؤسسة الفرنكفونية في تمثيل التعدّية الثقافية واللغوية، وحدّد بوضوح أهداف أميركا في فرض ثقافة أحادية عن طريق مبادئ العولمة وقوانين الفات، وأنهى خطاباً الشهير هذا بطلب مساعدة الدول الفرنكفونية لترنّسا في نصها التعدّية الثقافية واللغوية وفي دعم فضائها من أجل استثناء الإنتاج الثقافي من قيود منظمة التجارة العالمية.

لا أخفيك أنّ الأمر بدا لي غريباً ساهتها، وكنت قد عبّرت عن ذلك في مقالة نشرتها وصيغت فيها على خطاب ميتران، متسائلاً عن مضمون هذا الطلب الذي تقدّم به والمتعلّق بالاستثناء الثقافي من معاهدة منظمة التجارة العالمية. وقلت لحظتها: كيف يُمكننا أن نتفاعل مع هذا الطلب أو الاقتراح الصادر عن رئيس دولة لا تخترم التعدّية الثقافية واللغوية في علاقاتها بمستعمراتها السابقة؟ وكيف تطالب فرنسا المجتمع الفرنكفونيّ بصحابة التعدّية الثقافية واللغوية، وهي الدولة التي تجنّد موارد طائلة من أجل مصارعة التعدّية في الدول الفرنكفونية، بل ودخل فرنسا نفسها؟ وخلصت في نهاية المقال إلى التأكيد على هدف فرنسا البحت وراء هذه الحملة، والذي نسمي من خلاله إلى خدمة أغراضها التجارية

كيف تطالب فرنسا المجتمع الفرنكفوني بحماية  
التعددية الثقافية والقوية، وهي التي تحارب التعددية  
في الدول الفرنكفونية بل وداخل فرنسا نفسها؟

تُلخص من خلالها دور اللغات الوطنية العربية والامازيغية. وهي  
بذلك في نظرنا ذرعة استعمارية إمبريالية، فكان رد فعل الضمير  
إيجابياً جداً. ما معنى ذلك؟ معناه أن اللغتين والمفكرين الفرنسيين  
يتركون أكثر مما أن الفرنكفونية ذات منزع استعماري إمبريالي.

يُثبني علينا في العالم العربي أن نتعامل بحذر شديد مع دعوى  
الفرنكفونية. وأن نرى إلى مصالحنا، وأن نُعتبر مصلحتنا  
الجمهورية كاملة في تعزيز دور اللغة العربية بيننا كدول وكشعوب  
عربية، خصوصاً أننا لا نصالح أيّ مشاكل لغوية حين نُتلقى  
التواصل فيما بيننا. إن لنا، نحن العرب، قوة لغوية قد لا تتحقق  
لسوانا بسهولة. فالأشكال الأوربية مثلاً، ورغم ما حلقه من تقدم  
ومن وحدة، ما يزال مواجهاً بمعضلة اللغة. فكل دولة متطبعة بلقنها  
لا تحيد عنها. الأمر الذي يؤدي إلى صرف ميزانية ضخمة في  
إعداد أوراق العمل والاتفاقيات والتوصيات، لأن كل ما يقوم به  
الأشكال الأوربية لا بد أن يترجم إلى خمس عشرة لغة.

إن مستقبنا قائم في مدى قدرتنا على خلق تكتلات إقليمية  
وجهرية وقومية تُبرز قبة اللغة العربية ودور الثقافة العربية في  
ترسيخ شعار حوار الثقافات. وفي تعزيز دور التعدد اللغوي  
والثقافي في بناء نظام عالمي متوازن وديمقراطي.

يبقى ما للتصوم عن المؤسسة الفرنكفونية خطاباً عاماً  
دارجاً في الأوساط السياسية والاقتصادية والثقافية. غير  
أنه قد يكون أكثر دقة وموضوعية إذا قدمتم للفرايز  
أسباباً مناهضةكم للفرنكفونية اليوم بعد أن كنتم واحداً  
من أعضائها الفاعلين؟

أسباباً مناهضة اليوم للفرنكفونية متصلة بتطور المؤسسة ذاتها.  
فقد تطلعت إلى هذه المؤسسة من بوابة الجامعة، مؤمناً في البدء  
أنها مؤسسة للتعاون الثقافي والفكري بين الجامعات المنتمية إلى  
الفرنكفونية. كان هدفنا افتتاح الجامعة المغربية على محيطها

إلى إحداث دورة رياضية فرنكفونية. ومع ذلك ظهر لأقطاب  
الفرنكفونية، وعلى رأسهم فرنسا، في قمة ١٩٩٢ أن هذه المحاولات  
غير كافية. فتم الاتفاق على تحويل المؤسسة الفرنكفونية إلى  
مؤسسة سياسية، فجاء بأمين عام له وجه سياسي بارز دولياً وهو  
بطرس غالي ليرسخ بذلك التوجه السياسي للمنظمة الفرنكفونية  
والمتمثل في ترسيخ رغبة الهيمنة السياسية والاقتصادية لفرنسا  
عن طريق الهيمنة اللغوية والثقافية.

فحين ظهر كل علامات حوار الثقافات الذي من أسميه نبدأ الهيمنة  
وقسّم المجال لتفاعل الثقافات فيما بينها، بعيداً عن لغة الاحواء  
والهيمنة والتوجيه المؤلج، بل ما بالغا نذهب بعيداً في افتراض  
النسطة والمقاربات، ونحن عندما كنا داخل مؤسسات الفرنكفونية  
ندافع عن حوار الثقافات وعن اللغة العربية وثقافتها بالتحديد كنا  
نواجه بمقاومة شديدة بلغت في كثير من الأحيان حد اللول الصريح  
من لدن مسؤولين فرنسيين وبلجيكيين وكينيكيين: أنتم يا عرب لستم  
مفكرين في المؤسسات الفرنكفونية بالدفاع عن اللغة العربية وثقافتها.  
لكم السعوية ودور الخليج تُعَم لتكم والثقافتكم. أنتم منا معزّون  
للانفتاح على اللغة الفرنسية والإفادة منها. وكنا نرد عليهم قائلين:  
ليس لدينا مانع من الانفتاح بواسطة اللغة الفرنسية إذا كانت تُعَم  
مصلحتنا الوطنية والقوية. أمّا إذا كانت الغاية أن تكون هنا لخدمة  
أهداف فرنسا وغاياتها فنحن لسنا مستعدين لذلك.

ويبدو لي من خلال تجريتي الخاصة أن المسار الذي اتبعته  
المؤسسة الفرنكفونية لو منزع رجعي يدركه المفكرون والمثقفون  
الفرنسيون قبلنا. فقد حضرت لقاء في باريس داخل مدرّج في  
جامعة السوربون تصور حول قضية الفرنكفونية. وجاء متحدث من  
كيبك يدافع عن الفرنسية كقوة للمقاومة وكسبيل للتخلص من  
جبروت الثقافة الانكلوفونية الأميركية. فحدث عليه قائلاً: إن  
موقفكم من الثقافة الأميركية هو موقفنا نحن في المغرب العربي من  
الثقافة للفرنكفونية. فنحن نُشعر أن لغة هيمنة لغة الفرنسية

## حوار مع حسن الصميلي حول الفرنكفونية

الأخيرة حين فهمت الكيبك أنها قد تستفيد اقتصادياً من وجود اللغة الفرنسية في بعض البلدان؛ وهذا ما يؤكده توافق شركات كندية على مناطق النفوذ الفرنسي مثل شركة بيل - كندا في المغرب التي استغلت من تطلُّل الثقافة الفرنسية في هذا البلد. كل هذا جعلني أدرك أنَّ شعار «حوار الثقافات» الذي تحمله المؤسسة للفرنكفونية قد تراجع حالياً وصار مجرد خدمة لأنَّ الهدف الأساس وراء هذا الشعار هو تكريس حضور الفرنسية وتوسيع الهيمنة الفرنسية من أجل أغراض اقتصادية وسياسية.

### ما هي وضعيّة الفرنكفونية داخل المغرب؟

أعتقد أنَّ السياسة أو اللامسياسية المتبعة في المغرب جعلت اللغة الفرنسية تُنمَّو بطريقة فوضوية ورجعية ولاديمقراطية. وما نلاحظه أنَّ هناك مفارقة كبيرة جداً، فإذا قمنا بإحصاء دقيق ومضبوط للناطقين باللغة الفرنسية في المغرب لن نجد سوى ٨٪، ودخل هذه النسبة نُخْشِر على تفاوت كبير في طريقة استعمال اللغة. إذ يُدرَج داخل هذه النسبة ذلك الشخص الذي لا يُتقن من اللغة الفرنسية إلا كلمات معدودة من قبيل Bonjour وBonsoir وMerci، وذلك الشخف الذي لا يُتقن لغة سوى الفرنسية اداة للتواصل. وبين النُمُونَيْن تُخْصِر سلسلة من الاستعمالات المتفاوتة للفرنسية.

السؤال الذي يُطرح بهذا الصدد هو: كيف تُكَبِّل هذا الغرَق الفاضح للغة الفرنسية في الإدارة والتعليم ووسائل الإعلام واللوحات الإشهارية، تجرُّ وجود نسبة ٨ ٪ من المغاربة الناطقين باللغة الفرنسية؟ إنَّ وضعيّة كهذه تُفْرض علينا إعادة التفكير في مَحْصَلة السياسة اللغوية بخصوص الوضعيّات اللغوية في المغرب، وفي مقاييس التفاضل بين اللغات.

إلى جانب المعضلة اللغوية التي نعيشها في المغرب جزءاً هيمّة اللغة الفرنسية نواجة بشكله ثقافي مستحصية تتمثل في فهمنا المفهوم

الدولي، واستفادتها التفتُّه من هذا الانفتاح. والجامعة المغربية كانت حاضرة في مجمعيّ الجامعات الدولية الناطقة كلياً أو جزئياً بالفرنسية منذ الستينيات. وابتداءً من ١٩٨٢ بدأ يعلو وعينا في اللجنة العربية التابعة لهذه الجمعية في اتجاه ترسيخ مبدائي «حوار الثقافات» وه التعلُّد الثقافي واللغوي» والعمل على صياغة هذين المبدئين من خلال إجراءات عملية. ومن أجل هذه الغاية كان حضور المغرب في اللجنة العربية حضوراً طبعياً، وما يزال حاضراً إلى الآن داخل هيئاتها.

غير أنَّ حضوره في هذه الجمعية مكثني من معرفة المؤسسة الفرنكفونية عن قرب. كما فرصت خطابات المبركين الأساسيين لهذه المؤسسة من خلال وصولها ومتابعها. وترضني أنَّ العاملين الحقيقيين في المؤسسة الفرنكفونية هم فقط المتتمون إلى الدول الناطقة كلياً بالفرنسية، عني: فرنسا وبلجيكا والكيبك. فرنسا تُعْتَقَد، ولأسباب تاريخية وحضارية، أنَّ حضورها الاقتصادي والسياسي ومن الحضور الثقافي واللغوي. أمَّا الكيبك فلنَّ له مشاكل كثيرة مع الآخ الأبجولوني الأكبر، إذ إنها تبتى هي المنطقة الألفري في دولة كندا، وتَمَلُّ اللغة الفرنسية هذا الأتجاه الفقير والمهمش فيها. فالناطق باللغة الفرنسية هو اللقير؛ وفي المقابل فإنَّ الناطق باللغة الإنجليزية هو الأكثر غنى وريّة وتفتُّاً، وله علاقات طبعية بأميركا. وهكذا فإنَّ وضعيّة الناطق بالفرنسية في الكيبك هي وضعيّة اللقارم الذي يناضل من أجل فرض شخصيته وفرض ثقافته وترسيخ جذوره الفرنسية. وأما بلجيكا فتعيش وضعاً لغوياً صعباً يُمكن أن يُخْصِف بها كدولة. وانضواء الفرنكفونيين داخل بلجيكا في المؤسسة الفرنكفونية هو تعزيز عالمي للوجود والهوية.

هذه الانتطاب الثلاثة هي الحركة الأساسي للفرنكفونية، ويتنظمون داخلها تبعاً لمصالحهم. وقد عشنا ولاحظنا قوّة الصراع بين فرنسا والكيبك، تحركه تضارب مصالح اللقطين في العديد من اللّحظّات، وإنَّ كانت حدث هذا الصراع قد تراجع في السنوات



المطلوب منا (كمغاربة) الانسحاب من  
الفرنكفونية، أو على الأقل اتخاذ موقف موضوعي  
منها مثلما فعلت تونس

والواقع حاليًا أن اللغة الفرنسية لم تعد تلبي متطلباتنا لا من حيث  
الانفتاح الحقيقي - إذ نحن منطلقون داخل الثقافة الفرنكوفونية -  
ولا من حيث التنمية الشاملة التي نحن بحاجة إليها في هذه  
الظروف التاريخية. فاللغف أو رجل الأعمال الغربي عندما يتجاوز  
جبل طارق يجد نفسه أمام صعوبة التواصل مع الآخرين بسبب  
انغلاقه داخل الثقافة الفرنكوفونية وجهله للغة الإنجليزية. وأمام  
تراجع الثقافة الفرنسية وتدور الاقتصاد الفرنسي، نجد أنفسنا  
أمام ثقافة مغربية تواجه معضلات عديدة وأمام اقتصاد متخلف.

وأخطر من كل هذا ما يشهده المجتمع من تفلن للغة الفرنسية.  
فأطفالنا، وبخاصة أطفال النخبة الصغيرة التي تتكلم في حياتها  
اليومية اللغة الفرنسية، يتعلمون الفرنسية باعتبارها لغة الأم في  
التعليم ما قبل الابتدائي، ويتكلمون في البيت اللغة الفرنسية وهذا  
وهذا مسلسل خطير جداً يهدد مستقبل اللغات الوطنية. والمغرب،  
كدولة، يجب أن يتقدم نفسه ويعطي الأولوية للغة الرسمية داخل  
مؤسساته السياسية والفكرية والاجتماعية، وأن يختار الانفتاح على  
اللغات بما يحقق مصالحه الوطنية الاستراتيجية. فالدولة لا يمكنها  
أن تكون متعبدة للغات، بل هي دوماً صاحبة اللغة. ونحن نختار، أو  
يفرض علينا، أن تكون مزججة اللغة فإن ذلك يضر بكيانها  
السياسي ويؤزمها تبعات خطيرة أهمها التكلفة المالية، بحيث تكون  
جميع خطباتها وقراراتها وأعمالها ومشاريعها بلغتين. وهذا ما  
هو واقع في المغرب اليوم ونخاف أن يستمر في المستقبل.

المطلوب منا رفض الانسحاب من الفرنكوفونية. أو على الأقل اتخاذ  
موقف موضوعي منها، وذلك من خلال إعانة النظر في الوضع  
الثقافي واللغوي داخل البلاد، وأن نتخذي في ذلك حدود تونس  
التي استطاعت بجدارة وشجاعة أن تكون موقفها الموضوعي من  
الفرنكفونية وأن ترفض أي ضغط خارجي. ونحن في المغرب لدينا  
القدرة على سنّ مثل هذه السياسة إذا نضجت المسيرة  
الديموقراطية ونظّم الانفتاح السياسي داخل البلاد.

والعدالة. وفي إصرارنا على ربطه بالسباق الفرنسي دون غيره من  
السياقات المتعددة له. ومن الضروري أن يكون لهذا الوعي بمسألة  
العدالة وتحديد هويتها تأثير في مستويات التنمية المجتمعية  
والسياسية والثقافية داخل المجتمع، كما داخل مواقع القرار فيه.  
والأهم من ذلك أن هذا التوجيه ليس اختياراً ذاتياً وإنما هو  
مفروض علينا من الخارج فالفرنكوفونية كمؤسسة سياسية تفرض  
علينا هذا الوضع وتضغط علينا في اتجاه التفرع داخله. لنتكلم ما  
نقّ في الجزائر عندما أعلنت رغبةنا في تعميم سياسة التعريب؛ ألم  
تنظم مظاهرات في باريس ضدّ هذه السياسة؟ ألم تصارح وسائل  
الإعلام الفرنسية والمؤسسات والدوائر الرسمية للفرنسية هذه  
الإرادة بكل الوسائل غير الديموقراطية؟ فإين هي إرادة الشعب في  
تقرير مصيرها الثقافي واللغوي والسياسي التي تكفلها القوانين  
والأعراف الدولية والمؤسسات الحقوقية الدولية؟ أليس هذا دليلاً على  
أن المؤسسة الفرنكوفونية هي مؤسسة سياسية استعمارية إمبريالية؟  
لقد كان الوضع اللغوي والثقافي الذي أعيشه في بلدي، والذي  
الاحظه في بعض دول المغرب العربي الأخرى، سبباً مباشراً في  
مناهضتي لفكرة الفرنكوفونية وفي محاربة مؤسساتها.

أخيراً ذلك أن الموقف من الفرنكوفونية هو موقف سياسي  
إيديولوجي من اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية؟

بالقطع لا. إن تكويني المعرفي مُشكّل بالأساس من الثقافة  
الفرنسية. وأنا أمارس حالياً التعليم الجامعي باللغة الفرنسية. ولا  
أذكر إعجابي باللغة والثقافة الفرنسيين، مثل إعجابي باللغة  
والثقافة العربيين وبالله والثقافة الإنجليزيين. وأحفظ إعجاباً  
بالعديد من الكتاب الكبار الفرنسيين الذين استلذت منهم كثيراً في  
حياتي المعرفية، مثل بلزاك وموبسان وسارتر وغيرهم.

يجب ألا نخلط هنا بين الانفتاح على ثقافة معينة والانغلاق القسري  
داخل لغة محدّدة جزءاً هيمنة أو نزعة استعمارية إمبريالية.

## حوار مع حسن الصميلي حول الفرنكفونية

المؤسسة الفرنكفونية من أجل مساندة بعض دول أوروبا الشرقية المصوبة تاريخياً على الفرنكفونية مثل رومانيا؛ الوقائع تؤكد أنّ شيئاً لم تستطع الفرنكفونية، وعلى رأسها فرنسا، القيام به في هذا الشأن. فرومانيا تأخّر دخولها إلى الاتحاد الأوروبي، وهذا يعني أنّ فرنسا ومؤسستها الفرنكفونية لا موقع مؤثراً لهما في الاتحاد الأوروبي نفسه. مال آخر هو لبنان: ماذا استطاعت فرنسا والمؤسسة الفرنكفونية أن تقدّمه للبنان في حربه الطائفية؟ وهل كان لها دور في إثارة تسوية؟ العكس هو الذي حصل: فتسعة عشر عاماً من الحرب شهد فيها لبنان تطوّراً لغوياً وثقافياً كبيراً خارج المؤسسة الفرنكفونية.

أخيراً، كيف ترون مستقبل الفرنكفونية وإقبالها في المغرب؟ إذا كان هناك تطوّر ديموقراطي في المغرب فلن يكون الهشاشة الفرنكفونية. ذلك لأنّ هذا المسار لا بدّ أن يكون مصاحباً بحملة تعويّة مهمة لمحاربة الأميّة قصود توعية المجتمع وتنسيبه وتشجيع اللغات الوطنية. وكل ذلك سيكون لصالح اللغة الرسمية التي هي العربية. لكنّ هذا لا يعني أنّ اللغة الفرنسية ستندثر، ولا أحد يترقب في ذلك، وإنّما ستحتل مكانتها وتلحق جميعها الطبيعي داخل المجتمع إلى جانب لغات أخرى متعدّدة تتنافس معها لتحتل مكانها الوطني وتنفذ غاياتها في التنمية الحقيقية والشاملة.

الدار البيضاء

### حسن الصميلي

المعيد السابق لكلية الآداب والعلوم الإنسانية في الدار البيضاء، وأحد الأسماء البارزة في الساحة الثقافية المغربية؛ يشغل بالبحث اللساني والفقوي. وله العديد من الدراسات والأبحاث المنشورة في الصحف والمجلات المغربية والعربية والدولية عضو سابق في «جمعية الجامعات الدولية الناطقة حدياً أو كلياً باللغة الفرنسية»، وخبير دولي سابق في «وكالة التعاون الثقافي والتنمية».

إمام غياي أيّ تكثّل عربيّ شامل وقويّ وفشّل كلّ محاولات بناء الأحاد مغاربيّ عربيّ منسجم ومتلاحم، وإزاء استحالة خطر العولمة ويتنامى التجمّعات الدولية القويّة، يجلي التكتّل الفرنكفونيّ بديلاً من لون أحلاهما مرّ إذ قد يغيد بعض دول المغرب العربيّ في إيجاد بعض التوازن في علاقاتها الدولية.

مرة أخرى أقول إنّ هذه مغالطة كبرى، لأنّ المؤسسة الفرنكفونية لا وزن لها على المستوى العالميّ. ذلك أنّ الوزن العالميّ الأكبر هو رافداً للولايات المتحدة الأميركية. شنتا أم أينما؛ بل إنّ وزنها هو أكبر من وزن الأمم المتحدة نفسها. ويؤكدنا أنّ نمطاً في هذا الصدد بالعديد من الأمثلة السياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة الراهنة.

إنّ للرهان على التكتّل الفرنكفونيّ هو رهان خاسر في نظريّ، فوجودنا داخل المؤسسة الفرنكفونية لن يفيدنا شيئاً، إنّ لم يكن قد أثر فينا شيئاً. فالمؤسسة الفرنكفونية لا تحتلّ موقعاً متقدّماً في السياسة العالميّة وتسمح لها بالمشاركة في تنظيم العالم وفرض مظهرها، وإلاّ فلماذا لا نسمح شيئاً من تحركات المؤسسة الفرنكفونية في الحرب الدائرة اليوم على أرض أفغانستان؟ بل من يترقب موقف السيّد بطرس غالي الأمين العام للمنظمة العالميّة للفرنكفونية من التحوّلات المتصاعدة في العالم ومن بؤرة الصراع المتوقّعة سواء في أفغانستان أو في الشرق الأوسط؟

هذا الوضع نفسه تعيشه منظمة الكومنولث.

الكومنولث مؤسسة تُقرّف حديثاً وتهتمّ بالاقتصاد أكثر من أيّ شيء آخر. أمّا الفرنكفونية فإنّ لها مظهرًا سياسيًا كبيرًا، مع أنّ المظهر لا يناسب وضعها الحاليّ. وأقدم هنا مثالاً على محدودية تأثير الفرنكفونية في القرارات السياسيّة العالميّة بمسألة دخول دول أوروبا الشرقية في الاتحاد الأوروبي، وهو الفضول الذي يخضع لاولويّات وإثرائيات؛ فهناك دول ستلجج بوابة الاتحاد الأوروبي، وأخرى ستستأثر خمسين سنوات. فمادام كان تأثير



## ملتقى «يمنى العيد ناقدة أدبية»

زهرة الجلاصي

تشير إلى أنَّ الفصل بين الموسيقى والمسورة هو مجرد فصل إجرائي، مؤكدة أنَّ القصيدة تنبني وتتطور كلٌّ، ومن هذا المنظور اعتبرت التلغُّع يرمز أسطورية وشخصيات تاريخية امتداداً لتجربة التحديث الأولى مع نازك الملائكة والسياب، لكي تُستخلص أنَّ التلغُّع في القصيدة العربية الحديثة لا يُعزى إلى عامل الثقافة. وفي سياق التليل على تصليل تجربة التلغُّع في القصيدة العربية ذُكرت أنَّ معنى حديثها انبنى على مواقف تداخلت فيه علاقات: علاقة الشاعر بالشعر، حيث يتجلى رفض الشاعر للساند من القيم والتقاليد، سواء تلك التي تُشعل بتمسكه لذاته أو لبلبي الضعيفة التقليدية أو بموروثه الضعيف. ومن جهة أخرى هناك علاقة الشاعر بالعماء وبما يمانيه على أرض الواقع بتفكيره التاريخي والحضاري والسياسي وهزائمه الكبرى (تكية فلسطين ٤٨، هزيمة حزيران ٦٧، الحرب الأهلية في لبنان)، الأمر الذي يُلد في نفس الشاعر العربي مشاعر الهزيمة والافتراق النفسي والجماعي وخيبات الأمل.

كلُّ هذه العوامل الموضوعية شكَّت حافزاً ل طرح السؤال الجوهري حول علاقة الشاعر بذاته، فتبين أنَّ الشعر الغنائي، شعر الأنا الواحد، لم يعد قادراً على التعبير عن تلك القضايا، وهو ما جعل الشاعر مدفوعاً إلى اللجوء إلى الرمز بهدف بناء عالم بديل أو خلق عالم يستعير له الشاعر الأساطير ويستخدم في بناءه الرموز. وعلى هذا النحو فسرتُ المحاضرة هذه الظاهرة التي سبقت ظهور قصيدة القناع وألغها زانيتها، لكنَّ بون أن يتحول الرمز إلى قناع.

### مصطلح القناع، حنوده ومحوالاته

وقد قصتُ المحاضرة حدود مصطلح القناع وتاريخه ومحوالاته وصولاً إلى إشكالياته. فسالتُ تعريف البيهاني الذي رأى في القناع «تعبيراً فنياً يتجاوز فيه الشاعر ذاته»، فيما تتجاوز القصيدة محنوية ومنها، واعتبرت أنَّ ثمة شخصيات تصلح بون

انتظام في كلية الآداب بالقيروان ملتقى يمى العيد ناقدة أدبية، إيام ٥ و ٦ نيسان (أفريل) ٢٠٠١ بمدينة من قسم اللغة العربية وأدائها. وقد تضمنتُ أعمال الملتقى محاضرتين ألقتهما العيد على مدارج الكلية التي غصت بعدد وفير من الطلبة والأساتذة والمثقفين. إلى جانب مجموعة من المحاضرات القاهها الأساتذة المشاركون في هذا الملتقى العلمي، وتوزعت أعمال الملتقى على محورين اثنين: تقديم معنى العيد لحاضرتين، تتعلق الأولى بالشعر والثانية بالسرد الروائي؛ وتجربة يمى العيد النقدية من خلال أعمالها المنشورة. وقد أغضب الجلصاص الطليعة حواراً نقدياً ثرياً دار بين الناقدة والأساتذة الحاضرين والطلبة.

في افتتاح الملتقى، قدم الأستاذ رضا بن حميد الناقدة العيد مؤكداً أهمية تجربتها النقدية التي تُعتبر بمثابة سلم بارز في سيرة النقد العربي الحديث، يشهد على ذلك ما حققته من تراكم كمي ونوعي على امتداد سنوات طويلة، وهو ما تنم عن مؤلفاتها العديدة (في معرفة النص، الراوي، الموضع والشكل، تقنيات السرد الروائي، الكتابة: تحول في التحول...)، إلى جانب مدخلاتها في النوات العلمية المتخصصة وإسهاماتها في نقل النصوص الأصول إلى اللغة العربية.

وإثر ذلك أجملت الكلمة على الملتقى بها لتلقي محاضرتها الأولى الموسومة ب: «حديث القصيدة العربية وتقنيته القناع». وقد تضمنتُ قسمين اثنين: اهتمت في القسم الأول بالجانِب النظري، وخصصت الثاني للجانِب التطبيقي ممثلاً في قراءة لقصيدة «وجوه السندباد» للشاعر خليل حاوي.

اثارت الناقدة في النخل النظري قضية مفهوم الحديث في القصيدة العربية بوصفها مهاداً لا معنى بتقنيته القناع. وقد رصدت في هذا السياق مرحلتين أساسيتين للحديث العربي:

١ - المرحلة الأولى، واعتبرت التاريخ لها يبدأ من سنة ١٩٤٥، وهي المرحلة التي شهدت التحول لموسيقى الشعر الحر أو شعر التفعيلة مع نازك الملائكة والسياب.

٢ - ولما المرحلة الثانية فهي تلك التي شهدت مسالة للتحول للصورة التي بها ارتبط ظهور قصيدة القناع. ولم يُذكر المحاضرة أنَّ

غيرها للتعبير عن الحنة الاجتماعية والكينونة، وسعى هذه الشخصيات أقتنعاً لأنها تتيح للشاعر خلقاً وجوهر مستقلاً عن ذاته. وعن أول قصيدة جرت تسمية الشخصية المستعارة فيها بالقناع ذكرت المحاضرة قصيدة «المسيح بعد الصلب» لسياس.

وأشارت الناقدة من ناحية أخرى إلى أنَّ ما يشغلها يتجاوز التسمية في حد ذاتها لينتقل في مستوى المصطلح وبمسألة تمييز القصيدة في حدثاتها على أساسه، والدخول في قراءتها من منطلقه، الأمر الذي حدا بها إلى مزيد من تعمق معنى القناع، وذلك بالبحث عن أصل المصطلح ومما طرأ عليه من متغيرات عبر تاريخ استخدامه وذلك بالعودة إلى المسرح الإغريقي حيث كان يعني تنكراً لألبس القناع لشخصه قصصاً للتحامي في رمز يمثله. ويثبت أنَّ القناع تقنية قابلة للأشكال ومعانٍ من التوظيف باعتبار مرجعيته الأسطورية والوهمية والفنية وصولاً إلى اليوم والخيال القائلان ليس عنصران من عناصر تكوين العمل الفني، بل تقنية في الأداء هي علاقتها بالشخصية أو بيوبيتها.

ولعلَّ أبرز إشكاليات طرحتها الناقدة هي تلك التي تتصل بذلك السؤال الجوهرى حول إمكانية انتزاع معنى للقناع من كل تاريخه المرتبط بالمسرح واستخدامه في الشعر، ومدى محافظة المصطلح على المعنى ذاته.

وقد رصدت من ناحية أخرى تحولات المصطلح في حقل آخر هو علم النفس التحليلي، بحكم أنَّه يشير لكل الإشكاليات المتصلة بخلافة الأنا بذاته. وهو ما قادها إلى اكتشاف تشبُّهات معاني المصطلح باعتباره يتوَّاجس مع أكثر من فعل في حقول المعرفة والفن (علم النفس، الفلسفة، السرديات، المسرح، التراث، الأسطورة).

ورأت المحاضرة في تعدد المرجعيات تفسيراً لما كتبت، استخدام المصطلح من أرتيكا وتداخل وعدم وضوح. وهذا من الأمسيات التي جعلت التعريفات تتمتع وتتنوع لدى النقاد العرب. فقد اعتبر جابر عصفور القناع أحد الوسائط الأساسية التي يحاول بها الشاعر المعاصر اقتحام الواقع القائل في تعريف عصفور هو وسيط ورمز واستعارة موهبة وصوت جديد متميز. وحسب وجهة نظره، لا يُخفي القناع وجه الشاعر - والشاعر هو غير المثل - لأنَّ صوت شعريّ يُشغل موقفاً من عصره ووقفاً لزمته. وهذا الصوت هو صوت القصيدة، وبمسألة العلاقة التفاعلية القائمة على التجاوب بين صوت الشخصية المباشر وصوت الشاعر الضمني، وهو الذي يحدّد معنى للقناع في القصيدة. ويكون القناع في استخدام أدونيس أحد الوسائط لإخمال الواقع في شبكة الرمز فتوسّع حقل الإشارات. أمّا إحسان عباس فيؤكّد مصلح «مرآة» على مصطلح «قناع»، لأنَّ المرأة حسب وجهة نظره أشدُّ واقعية من القناع وأشدُّ حيادية نظرياً. وفي هذا الإطار لا يستعمل جبرا إبراهيم جبرا القناع ويُعتبر الشخصيات الأسطورية رموزاً استخدمها الشاعر في فترة تلاميذ المدات. ويُعتبر معنى العيد أن تعدّد التعريفات وعدم وضوح حدود المصطلح وثيقا الصلة بمسألة نقل مصطلح القناع من سياق تاريخيّ فنيّ إلى

سياق تاريخيّ أدبيّ مختلف. فالغريب قد نقله من المسرح إلى الشعر في سياق وثيق الصلة بثقافته، بينما اكتفى نحن بنقله من ثقافة إلى ثقافة أخرى وكأني بالنافذة هنا تميل إلى ترجيح تأثير عوامل الثقافة على عوامل التواصل التي تحدت عليها في ما تقدّم من محاضراتها هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى وجدت الناقدة نفسها تواجه قضية لم تنتهيها لها، بحكم أنَّها تتجاوز إشكاليات المصطلح لتشير للمسألة الانشائية، أي انتقال القناع من جسد المسرح إلى جنس الشعر.

وفي هذا السياق يبدو أنَّ الحدادة العربية - من وجهة نظرنا - لم تتعدّ بالوضوح المطلوب مسألة الحدود الفاصلة بين الأجناس، قبل الإقدام على بعضها. فالتقسيم التقليدي الذي عرفته نظرية الأدب منذ أفلاطون ثم أرسطو قام على ذلك التصنيف الثلاثي الذي ميز بين ثلاثة أنواع من المحاكاة عنها نتجت الأجناس الأدبية. فقد اتخذ كتاب الشعر لأرسطو من اللحمة والمسرح والشعر الفئانيّ تنويعات (أساسية) للشعر: الشعر الفئانيّ يمثل شخصية الشاعر ذاته.

- في الشعر للمحمي (أو الرواية فيما بعد) يتكلم الشاعر باسمه الخاص بوصفه راوياً، ويتيح فرصة الكلام لشخصه بواسطة الأسلوب المباشر (الحوار). وهكذا يتوقّر الحكيم المختلط (السرد والحوار).

- في المسرح يُخفي الشاعر خلف الأدوار التي يكون قد ورعها على الممثلين في مسرحيته (١) يلجئ في الاعتبار أن مصطلح «Poësis» بالأدب يُعني الشَّعر فقط، بل كان يُعني أيضاً مفهوماً أشمل وهو الإبداع بواسطة اللغة إذا صارت حاضنة للمحاكاة، ولذلك تُرجمت للفلاسفة العرب المحاكاة الأرسطية «Mimesis» بالتحثيل. فالغة تتحول إلى أداة إبداع إذا توصلت إلى اختراع قصص أو توصيل قصص سبق اختراعها. فعند أرسطو لا يتجلى إبداع الشاعر في مستوى البنية الشكلية بل في مستوى التحثيل. وهو يرى أنَّ الشاعر لا يكون صانع قصص أكثر منه صانع أبيات شعريّة. وإنَّ للتحليل الشرطيّ كان موجوداً في عصر أرسطو لما تردّد في إدراجه ضمن كتاب الشعر.

فالمشترك بين اللحمة والمسرح والشعر الفئانيّ هو التحثيل الشعريّ. ومع تطور ثقافة المحاكاة بدايةً من عصر النهضة الإيطالية والإسبانية (القرنان ١٥ و ١٦ للميلاد) أعيد توزيع حقل البويطيقا إلى أصناف ثلاثة. وقد حافظ اثنان منها على ميزته المحاكاة أو التحثيل، واستبعد الصنف الثالث. والصنف الأولان هما: ١ - السريديّ أو اللصحيّ. ٢ - والروائيّ أو المسرحيّ. أمّا الصنف الثالث فهو الشعر الفئانيّ الذي أفضى من حقل المحاكاة باعتبار أنَّ الشاعر يُجسّد على علاقته مسؤوليّة خطاب.

ولمّا بقيت على القول الشعريّ لما يميزها المحدث لفعل التواصل في القول العاديّ أو الواقعيّ، ومن ضمنها الاستفهام النفعيّ وهو جاس للصديق أو الحقيقة وتخيّل الواقع لكن، حكم التطور المأزق للغة المحاكاة، راجعت المدات في الغرب مقاييس استبعاد الشعر الفئانيّ من حقل المحاكاة ليصبح قابلاً للمحاكاة، سواء لا يتوقّر عليه من

عناصر سردية أو قصصية أو في تعبيره عن مشاعر وأحاسيس قد تكون هي الأخرى مخفية. فانا القصيدة الغنائية بمقوماتها السردية قد لا تحصل بالضرورة لا على الشاعر ولا على الزاوي، بل على شخصيات مخفية تتحكم من خلال وجهة نظرهما وموقعها الزمكاني في عملية التلقف والقول الشعري. على أن ذلك لا يقلل - في نظرنا - من قيمة التصور المتعارف عليه، والذي وصّلَ تلقفَ القناع بالمعادل للموضوعي للشاعر وبالمد من التلقف العاطفي فقد يتصرف الشاعر على غرار القاص أو الروائي، كان يوظف خطاباً على نحو يتبع له التخيّل خلف هذه الشخصية أو تلك، ويوسّع أيضاً أن يُعَد إلى التناهد فيستدعي شخصية تاريخية أو أسطورية ذيوعاً بأنها تمثل صوت القصيدة، لكن دون أن تكون هذه التقنيّة تقنيّة مسرحية بالضرورة. فقد سبقَت الإشارة إلى أنَّ للتخيّل السردية هو ذلك الصنف المختلط وذلك من خلال السرد باعتباره من طرائق الحكاية غير المباشرة، والحوار باعتباره محاكاة مباشرة (الخطاب المباشر أو الشخصية بصمد الكلام)، ويعدّ في المسرح المحاكاة بواسطة الفعل أي الممثل بصمد أداء الدور.

ولا يخفى أنَّ للتخيّل السردية كان أقرب إلى الشعر العربي من المسرح الذي ظل أبعد الأشكال عن الثقافة العربية لعدة أسباب مرضوعية. حضارية ودينية، هذا فضلاً عما تتطلبه الأدوار المسرحية من الزناج ومسافة تُفصل بين المؤلف وشخصياته، الأمر الذي يصعب الإيفاء به في الخطاب الشعري، إذ يُقصر على الشاعر أن يُشعر كلُّ أثر للصلوات أو الوشائج الضمنية التي حدّت به إلى استدعاء شخصية بجنّتها متمسكاً بها باعتبارها مُثُلَةً قابلية للتلقف. وبما أنَّ اللغة الشعرية لا يمكن بحال أن تكون برونّة أو محايدة فهناك ما تُكتفب عنه اللّغة وما توهي به الصورة الشعرية. فهي كقيلة بأن تشير إلى ما قد يجتهد الشاعر في إخفائه بقلة والقناع. ثم قد يأتي القناع ذاته محملاً بامرات الوجه، أي وجه الشاعر الحقيقي أو المكن أو للمنشود. فهذه الوجهة التي أشار إليها أرسطو في المحاكاة متاحة أيضاً في الخطاب الشعري المختل.

### الرواية العربية ومسألة المرجع

أثارت معنى البعيد في محاضرتها الثانية قضية «الرواية العربية ومسألة المرجع»، وقد انتقدتها بالإحالة على قولة إدوارد سعيد مُثَبِّر التشكيك موضوعية سرديةً بفعلاً اجتماعياً بامتياز. وهي تستجيب مع المرجعية التقديرية التي تُصنّف عنها الناقدة في هذه الملاحظة وفي كتاباتها النقدية عمومًا، إذ إنها استفاضت من أعماله البنيوية ومنظريها. فقضية المرجع في الرواية طُرِحَتْ بإلحاح من قبل النقاد والروائيين على حدّ سواء. ومعروف أنَّ مسألة المرجع قد تطلّبت مسالة الانكسار أو استنساخ الواقع.

قد الواقع، أو المرجع الحيّ كما تسمّيه الناقدة ليس مضموناً يُستوعبه العمل السردية وإنّما هو بنية. وتبجّ ذلك فإنّ العمل السردية «بنية تتعامل مع المرجع وليس مجرد مضمون». وأساس ذلك اعتماد تقنيات تولّد دلالاتٍ تصل عند القراءة على المرجع. فكلمًا يعنى البعيد تُبسّط منطلقها النظري على النحو التالي: «إنَّ

كان المرجع الحيّ أساس كلِّ عمل إبداعيّ فكيف يتشكّل ذلك المرجع في بنية نصّية سردية؟» وقد حاولت الناقدة أن توضح هذه العلاقة المتلازمة بين تحولات الشكل السردية وتحولات المرجع - الواقع اعتماداً على بعض الأملاحات المُصمّلة بنماذج من الرواية العربية الحديثة وتحديداً رواية الحرب في لبنان فأتت أنّ تطلّع روائتي المستجنيات إلى شكل جديد من الكتابة الروائية كان استجابةً لأدوار موضوعية الفرز الواقعي العربيّ المشروح، ممّا كان في الوقت ذاته إسهاماً بقصور التقنيات الروائية السابقة عن معالجة هذه التحولات. وتُفسيّ بذلك التقنيات الروائية الكلاسيكية خلال النصف الأول من القرن العشرين ممثلةً في تيارات الواقعية التسجيلية والواقعية الاجتماعية والواقعية الاشتراكية كما تجسّمت في الأعمال الأولى لنجيب محفوظ والشوقي وحنا مينة.

وقد عبّئت الناقدة بعض أسماء الروائيين الذين سلكوا سبيل التجريب من أمثال صنع الله إبراهيم وإلياس خوري وجمال الخيواني ونجيب محفوظ في أعماله الأخيرة. لقد جرى هؤلاء وأمثالهم ضروريةً استيعاب متغيرات المرحلة والاستجابة لمهوم بدت أكثر تعقيداً. وإنّلك بيّنت الناقدة كيف تراجت البنية السردية التقليدية فتدخلت الحكايات في النصّ السردية الواحد، وتحدّثت تبعاً لذلك زوايا النظر وتداخلت، ولم يُعزّ الزمّن السردية خطياً على النحو اللوحي في الأشكال السابقة. فقد تطلّفت الزمن، وغاب في ثنائيا ذلك البطل، وأصبح للشخصية مفهومٌ يُشكّل من المفهوم المعهود سابقاً. وتُفكّس الناقدة إلى أنَّ انهيار هذه البنية السردية التقليدية وحلول الأشكال السردية المعقدة، للمفتحة على أجناس أخرى، كانا بمثابة اختزال لواقع غايية في التعقيد: واقع متنازع، كلّ شيء فيه يُنذر بالتهديد والانهيار، غاب فيه مفهوم البطولة في بنية العمل السردية. فلم تعد الكتابة الروائية تقول موقفاً أو تُعبّر عن بطولة، بل صارَتْ مشهداً يتشكّل كمرآة دلالية، وهو بذلك ذابِل للقراءة وللتأويل، الأمر الذي يتيح تعدّد المعنى.

لقد أثارت الناقدة في محاضرتها قضيةً مهمّةً: إذ رُغم كلّ التحولات المطردة التي مرّ بها الجنس الروائي، وكُلّ التغييرات للسيطرة على معمار السردية، فإنّه لم يتجرّد من المرجع بل إنّ الرواية النصّ نفسها لا يُمكن أن تكون نصّاً لازماً مكثفاً بنفسه.

ويبدو أنَّ قضية المرجع تتجاوز ما طرحته الناقدة في مصادرتها القائمة على علاقة التلازم بين تحولات الشكل السردية وتحولات المرجع، حيث سرّرت تطلّفت السرد وتوسّعت زمن وانهاز البطل أو تصدّع بنية المعمار الروائي بتصدّع بنية الواقع الخارجيّ أو المرجع، فكأنما وجهة النظر هذه تجرّ إلى تدمير نوع من الانعكاس في مستوى البنية التحتية للواقع والبنية السردية للنصّ الروائي. وهو ما يُضغّب القبول به في كلّ الحالات لأنّه يكتفي بتفسير النصّ الروائي في حدود الإيديولوجية والاجتماعية، بينما نحن نعلم أنَّ الروائيين الجدد في الوطن العربيّ صارت تحركاتهم وهاجس وعموم أخرى إلى جانب المهوم الاجتماعيّة. فمن بينهم من مثّلوا بالمعيار الروائي المطنن من منطق زعمهم في المرجع: فقد حرّكتهم قناعات إبداعية وثقافية مقابل الانسواء، تحت لواء العدالة، فاستندوا ومن

قصدي في اختلاق الحيل الفنية للإيهام بنبد المرجع واختلاق علاقة توتريين النص والمرجع، ومنهم من يربأ من إيديولوجيا التمثيل، أي تمثيل الواقع أو المرجع، بأي شكل من الأشكال، فأتخذوا من الأدب معادلاً للمرجع، مكونين على مسالك التناهن المتعددة والمتنوعة.

وقد يكون للمستجدات الطارئة على الواقع أو المرجع، ممثلة في ضحاكته وتدهوره، دور في الانفعال نحو التجريب. لكن يشعب أن يُعْمَم من ذلك تأمل مسطّر به بين بنية نصية وبنية مجتمعية، لأن الروائيين كشفاً صاروا يميلون إلى تغليب قوانين الكتابة على قوانين الواقع. وهو ما يُعْمَل مسألة الفاضل غير قابلة للتعميم. إذًا ثمة علامات تصيل بطرق مختلفة على المرجع؛ فرغم ولع العديد من الروائيين بالحدائث بصناعة الوهم وإعلان القطعية مع الواقع، فقد وقعدوا فيه مغررين. وهذه المغارقة نفسية بالناقد أو القارئ إلى مواجهة معاناة لا تُسَدَّ عليها للوقوف عند تلك الحد الأدنى من الإيهام بالمرجع... هذا إذ ما يُعْمَد إلى الإسقاط أو التمسك، كإن ينطلق من الواقع أو المرجع الخارجي لينتقل ذلك التناهي أو التماثل مع بنية النص للروائي.

#### يعني العديد والنقد الأدبي

في نطاق محور نقد النقد خُصِّصَت مجموعة من المداخلات قدمها الأساتذة المشاركون في هذا اللقاء العلمي لرصد تجربة يعني العديد في النقد من خلال أعمالها المنشورة وأسهاماتها في المجلات العلمية المختصة.

وقد اتجه الأستاذ رضا بن حميد في مداخلته الموسومة بـ «النقد وأسئلة النص» - قراءة في تجربة يعني العديد النقدية» إلى معاورة تجربة الناقدة، ممرّكاً بآبرز منتقلااتها وإسهامها المعرفية ومحصياتها. فتتوقف عند التصوّل الاجتماعي الذي شهدته في تجربتها من مرحلة النقد الاجتماعي إلى المرحلة الثانية وهي مرحلة الاستفادة من المنهج البنوي. وقد تزامنت المرحلة الأخيرة مع نزوع الناقدة إلى رسم مقوّمات تجربتها الخاصة في النقد.

ففي المرحلة الأولى - مرحلة النقد الاجتماعي أو الإيديولوجي - عملت الناقدة على وصل الظاهرة الأدبية بالاجتماعي وبشكل الوعي، وهو ما تجلّى في كتابها *الدلالة الاجتماعية لحركة الأديب الرومنطقي* في لبنان. وقد اعتبر الأستاذ رضا بن حميد الكتاب المذكور خير ممثّل من مرحلة مفصولة من أدبنا العربي في أساليبها بانطافات حركة التاريخ وتصويرها الرغبة الملّة في التجاوب وتأسيس رؤية جديدة للإبداع. غير أن تنزيل الناقدة للأديب الرومنطقي في إطار مرحلتين متتاليتين، وبما أرفض والمجوز، يحتاج من وجهة نظر الأستاذ بن حميد إلى المراجعة والتبني لأن مثل هذا التقسيم من المفروض أن يستند إلى مقياس زمني وتصنيف للنصوص يُشعر إنجازاً إزاء مقوّمات يتداخل فيها الرفض والعجز إلى حد كبير. وقد لاحظ للباحث من ناحية أخرى أن إلحاح الناقدة على العوامل المجتمعية من شأنه أن يُخسب خصوصية النص الرومنطقي للوصول بالذات (المشرية في تفرغها وتعبيرها عن انفعالاتها وخيالاتها. ولم تُعثر الأستاذ بن حميد الإشارة إلى أن الناقدة قد التّحت على اعتبار العلاقة بين الفني والاجتماعي غير موسومة

بالجمود بل بالأوان من التأثير المتبادل: فلنصّ نبضه المخصوص، صوته، قوله، تعبيره. ولذلك ما تقتصر الناقدة في مسالة الظاهرة الفنية في نصوص الرومنطقيين، فوَقُفَت على مواطن التجديد في الوزن والقافية والصورة الشعرية. وقد رأى بن حميد في اهتمام الناقدة بالخصيصات الفنية والتفكيكية علامة دالة على التحول إلى المرحلة الثانية من تجربتها النقدية. وقد أسست بالافتتاح على الأسانثيات والبنوية. فاهتمت بالاشتغال على النص والباحث في قوانينه الداخلية وفي مجموع العلاقات التي تنسجها عناصره فيما بينها. ويضيف الدارس في هذا الصدد أن الناقدة لم تُبْقِ في حدود الخطاب البنوي بل عملت على وصل «الداخل» بـ «الخارج» أي بالمرجع. وقد استقانت في هذا الصدد من مناهج مختلفة من أهمها أعمال مجايلين باختين وغرياس، مع وعيها المخصوص بمسألة حدود المنهج والعوائق المعرفية التي تواجه الناقدة العربيّة بساغلين اثنين هما: خصوصية النص العربي من ناحية، ومخصوصية الثقافة التي يُعْمَد إليها من ناحية أخرى، وذلك بحكم طبيعة المنهج الوافدة عليه من الغرب وهي مازال قيد التشكّل والتجريب. وانتهى بن حميد في مداخلته إلى إثارة قضية نقد النقد، متطعاً إلى مشروع نقدي جديد يتعامل مع المنهج الأدبيّ بحسن نقديّ ويضع في الاعتبار خصوصية الظاهرة الأدبية مع الإفادة من مكتسبات التراث النقديّ الذي مازال في حاجة إلى الدرس والإضافة.

أمّا الأستاذ نجيب العمامي فقد اهتم بكتاب يعني العديد الموسوم بـ: *الراوي - الموقع والشكل*. ويتركز على تصوّر الناقدة للقراءة المنتجة لمعرفة النص من خلال تفسيره ومحاوَرته ورفض التماهي فيه والخضوع لسلطته ومسلطته. كما تتناول ما أثارته في الكتاب من تساؤلات هي وليدة قراءة لا تُكفّر ما ولّره لها من متعة وإفادة. وقد تعلّقت التساؤلات التي أثارها العمامي بمحورين اثنين هما: العنوان الفرعي للكتاب وعلاقته بالمدوّنة التي اختارتها الكاتبة في قسم القراءات: وسالة المصالح.

١ - فيما يخصّ المحور الأوّل لاحظ العمامي أن العنوان المذكور بحث في السرد الروائي لا يُطبّق على كلّ نصوص المدوّنة، وتحديداً على أوديب ملكا لسورولك «ورائحة الصابون» لإلياس خوري، لأنّ الألف مسرحية والثاني قصصية. وقد ناقش الباحث إصرار الناقدة على إدراج هذين النصين في كتابها، مبيّناً خاصّة الفوارق الانسانية بين الرواية والمسرحية والقصصية.

٢ - أمّا في ما يتعلق بمسالة المصطلح فقد نظر الباحث في أكثر المصطلحات ثواتراً في الكتاب وهي: (١) الموقع والرقية والصوت؛ (ب) المصطلحات المحلية على أعوان السرد.

وبخصوص المحور الأوّل انطلق الباحث من تعريف الناقدة للموقع. وألاحظ ما يميّز به التعريف من وضوح في المستوى النظري، ثمّ يبيّن اللبس الكبير في استعمال المصطلح أثناء التطبيق أو ما أسنّته القراءات. فالواقع يتعلّق أحياناً إلى الرؤية أو التبني فيطابق «الراوي» أو «الرائي» بين نقديّ سرد وممارسة اجتماعية سياسية وهو ما أُلحقت عليه تسمية «ديموقراطية التعبير» من جهة أخرى، ويصبح الموقع في أحيان أخرى مرادفاً للصوت. وقد أشار

الباحث إلى أن هذا الترادف لا يستقيم: فقد تعددت الأصوات أو تفرّقت بالتعدد والموقع واحد. ولكنّ الموقع قد يختلف عن الرؤية والصوت معاً، فيُبدى على موقع خط التماس بين داخل النص وخارجه. وأمل هذا التصور قاذ النافذة من حيث لا ترغب إلى عزل الموقع عن رصمه، أيّ عن البنية الفنية بحكم تمثيله أحد مكوناتها

٣ - وبخصوص المصطلحات المحيطة على أعوان السرد أشار الباحث إلى أن الكتاب بحث في مسألة الراوي، ولكنّ الكتابة استعملت مصطلحات عديدة مرادفة للسرد ومنها «الراوي» و«الكاتب/الراوي» و«الراوي/الكتّاب» و«الراوي» و«الراوي/السيطر» و«البطل/الراوي/الشاهد» و«الكاتب» و«الراوي» و«الكاتب». وقد وردت هذه المصطلحات مترادفة حياً، متميزة حياً آخر. وهو ما حدا بالاعتماد العمامي إلى تناول المصطلحات المذكورة مصطلحاً مصطلحاً، معيّناً ما بينها من فروق تنهت النافذة إلى بعضها وغلّت عن بعضها الآخر

وقد تكلّبت بعض العيد بصدر رعب ملاحظات العمامي وأبدت استعانتها بترجمة كتاب الراوي على ضوء تلك الملاحظات.

واختار الأستاذ رمضان العمري مسالة كتاب يعني العيد: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي. فرصد الأوجار المفهومية المختلفة التي استعملتها النافذة في دراستها لبنية أشكال السرد الروائي، ويؤن أنها لم تكتف بظرفة تيوريوف (قول/حكاية أو خطاب خبر) بل امتدحت أيضاً على أعمال الشكلائين الروس إلى جانب أعمال غريغاس وجينان وجون بويرين وغيرهم. وقد أفادت من ذلك إفادة المفرد الماروف بالروايات الصميمة بين الشكلائية والدلائية السيميائية والإنشائية. ولكن الأستاذ العمري أنّ النافذة قد ست في ذلك كله إلى عدم إغفال الموضع، فبيّنت منذ البداية عدم كفاية المنهج البنوي، الأمر الذي دفعها إلى إعادة النظر في مفهوم «الشكل» وأصله إياه بمعونه كنافذة عربية حتى لا يكون الوصف بارزاً أو لاجترارياً، ويبدت بواسطة التحليل والممارسة النصّية أنّها لم تتحدّد بالمنهج البنوي على حساب القراءة التأويلية المتعاطلة مع معاني النصّ. ويروي الباحث أنّ هذا الموقع ساعد النافذة في أن تقدّم إلى حد ما إضافة هامة للنقد العربي. وقد عرفت كيف تلخّص بصياغة منهجية تظهر بعض الاعتبار إلى السياق العربي والسياسات المرجعي العربي في فترة ظهور الكتاب، دون الوقوع في مبيّات الانبساطية أو التحليل السيكولوجي التي تحيد عن دراسة الأثر إلى دراسة الكاتب. ولم يُقدّر الباحث أن يشير إلى بعض ما اغفلته النافذة. ففكر أنّ صفات في تطبيقاتها - وذلك رغم إشارتها إلى عدم كفاية المنهج البنوي - بعض المخذ العامة التي أوردتها العديد من النقاد أمثال بول ريكور ورولان بارت وغيرهم. إذ يعيب هؤلاء على المنهج البنوي تحت قوانين محتملة نظّم التجديد والإبداع لأنّ كلّ العمليات التي يتخكّل السرد وفقها تبدو وكلّها محدودة ومعروفة مسبقاً - ولو كان الأمر كذلك لتوقف كلّ للبدعي عن الكتابة. فضلاً عن ذلك تظنّ هذه السرد مؤلفة في التعديم، بما لا يتبع تحليلاً شاملاً للنصّ. وهو ما وقع فيه النافذة بمعنى العيد في تناولها لبعض التصووس بالدرس. وأضاف الباحث مؤكّداً أنّ ما يعاب على المنهج البنوي هو اقتصره على وصف النصّ وبناء وإغفال للمستوى

الانمائي فيه، وذلك لأنّ العلاقات التوزيعية والترابطية لا تكلّي وحدها لتحقيق التحليل البنوي. فهي تقدّم وصفاً خطياً مجرداً، والوحدات النصّية لا كتّيب معنى إلاّ متى انمجت في مستوى أعلى

إنّ المخذ المذكورة تُصنّف في الحقيقة على للنهج الدرجة الأولى، ثم على النافذة بدرجة ثانية. والواقع أنّه قلما سبّغ نقاداً من الوقوع في تلك المخذ التي لا تكلّي في نظر الباحث من قيمة أعمال يعني العيد بوصفها علامة نصّية في مسار النقد العربي الحديث.

وفي سياق نقد النافذة تعرض الأستاذ البشير نفرة في مداخلته الموسومة: «من قضايا النقد الأدبي الحديث للأسس المعرفية التي يقوم عليها النقد الحديث، ونظر في حدود الشكلائية والإنشائية، واستخلص أنّ التعامل مع الظاهرة الأدبية بانقضاء المنهج التجريبي يؤدّي إلى استخراج الثوابت أو القوانين ويُخلّف الجزئيات أو الخصوصيات التي تُسمّى الأثر وتدشّن إلى الثقافة التي يعمل سماتها. ويؤن أنّ الاعتماد بما يُزيّط الأثر بعضاً ببعض يُوقّع النافذة في الإسقاط ويحول النقد بعيد نفسه، فيتحوّل النافذة إلى مجرد آلة يُنشر عليها النتية إلى وخيلة الأثر بل وأحياناً إلى الجنس الأدبي الذي يُتّهي إليه. وتتلافى هذه القيود مع طبيعة العمل الإبداعي الذي يُرقّص التقنيّ والثوابت والإزيمات على غرار الرواية الحديثة على سبيل المثال. وأضاف الباحث أنّ قصر اهتمام النافذة على هذه المسألة من شأنه أن يؤثّر سلباً على العمل الإبداعي - وهو ما حصل في الماضي عندما قدّم العرب القطّ على المعنى فساد التقليد على مدى قرون وفقدت الأغراض الشعرية على ما هي عليه. إلى أن ظهرت مدرسة النيران ومدرسة اللهج ومدرسة أدلوي. وتعرض نفرة لأعمال باخزين، والأدبيّة أعمال يعني العيد، خاصة في عنايتها بوضعية المرقع والشكل. واقترح أن يُركّز نقد الطلاب السردية على المستويين السردية والتأويلية التداوليّ وذلك لإحاطة بأهم جوانب الظاهرة الأدبية.

#### تفادي المحطات

إنّ ما يُحسب لهذا المنحى العلمي هو أنّه توسّل إلى تحقيق هدفين اثنين، أولهما تكريم النافذة العربية يعني العيد التي تُعتبر بحق من أبرز رواد الدلالة في الوطن العربي. فقد أسهمت بأعمالها النقدية ووجهها المتصلة في تطوير النقد العربي وتحديثه، مستفيدة من المناهج الغربية وعلى الأخص في حق السرديات. أمّا ثانيهما فهو الرهان على الإضافة العلمية، وهو ما جعل ملتقى «معنى العيد نافذة أدبيّة» لا يُتراق في مطبّ الجاسمات والاحتفالية على حساب القيمة العلمية. وقد تجلّى لك بصورة خاصة فيما أثاره نقد النافذة من جدل ومطارات هامة بين النافذة والأساندة المشاركين في الجلسات العلمية والأساندة الحاضرين والطلبة. فقد أثارت قضايا عديدة أُنجمت إجمالاً نحو مسالة المناهج الصينية في نمطيتها وتصميمها في إدراك فراءة النصّ وديناميته. وهو ما يُستدعي تطوير المناهج، بما هي أداة للمعرفة، لا باعتبارها جهازاً معرفياً مكتلاً يطبق على كلّ للنصوص.

كلية الآداب والعلوم والإنسانية بالقبروان

# الطريق إلى إيثاكا

. محمد القيسي .

## موت عازف الجيتار

عَلَّقْتُ جيتاري على الأشجار .  
نَاصَتْ كُلُّ عَيْنٍ هَاهُنَا ،  
نَاصَتْ عَصَالِيرُ الْحَدَائِقِ ،  
وَالْتَوَالِدُ أَطْرَقَتْ فِي الصَّمْتِ .  
نَاصَتْ نَاصِجَاتُ الصُّوفِ فِي الشَّرَفَاتِ .  
نَامَ الْعَارِظُونَ عَلَى الْخَشْيِ  
وَعَلَى السُّلُوحِ غَلَا الْحَمَامُ .

وَزَعْنَتِي مَا بَيْنَ نَافَذَتَيْنِ ،  
فِي هَذَا الْمَدَى الْأَرْضِي قُدَّامِي ،  
وَمَا اسْتَوْدَعَتْ قَلْبِي ذِمَّةَ الزَّمَانِ حَتَّى  
غَشَّتْ الْأَوَارُ ،  
وَأَرْتَجَفَتْ عَلَى أُنْحَالِهِ .  
الْأَرْضُ الْخَرَامُ .

## حَتَّى أَقُولَ وَصَلْتُ

أَقِيمُ ،  
لَا أَقُولُ فِي مَدِينَةٍ ،  
وَلَا أَقُولُ فِي مَكَانٍ .  
أَقِيمُ فِي بَيْتِ مُؤَجَّرٍ فِي الرِّيحِ ،  
لَيْسَ لِي إِسْمٌ عَلَى بَابٍ ،  
وَلَيْسَ لِي جُنْدَرَانِ .

وَالظِّلُّ نَامَ ،  
وَنَامَ قَنَاصُ الْحَيَاةِ إِلَى فُصُوحِي كَمَا بِهِ .  
أَمَّا الَّذِينَ زَمَرُوا جِغَارَتَهُمْ  
عَلَى طَرَفِ الْمَدِينَةِ ،  
غَاضِبِينَ ،  
فَلَمْ يَنَامُوا .

عَلَّقْتُ جيتاري  
وَوَحَّتْ أَمْشِطُ الْأَحْصَاغِ وَالطَّرْفَاتِ  
أَحْصَى غَيْمٌ مِنْ رُكُطُوا  
وَدَاءَ غَزَالَةٍ ،  
وَتَسَلَّطُوا فِي الرِّيحِ أَجْنَعَةً ،  
وَحَامُوا .

عَلَّقْتُ جيتاري ، إِذْنًا ،  
وَأَقَمْتُ حَيْثُ هُمُ أَقَامُوا .

جَرَسَتْ أَغَانِيهِمْ  
جَوَارِي كُلِّ هَذَا اللَّيْلِ يَمُحُضُ ،  
وَالنَّهَارُ هُمَا يَرُدُّ ،  
وَلَا غَمَامُ .

يَسْتَبْرَأُ بَرَاعَتُهُ ،  
كَمَا يَسُ الْكَلَامُ

أَقِيقُ أَحْيَانًا  
فَلَا أَرَى لِي وَجْهًا  
وَلَا أَرَى جَوَارَانِ .  
رُوحِي تَلُوبُ فِي مَدَى الْعَابَاتِ ،  
حَيْثُ لَا مَسِيرَ لِي  
وَأَسْرَتِي الْأَغْصَانُ .  
أَقِيمُ فِي لَاجِنَا  
وَلَا يَحِينُ لِي أَوَانُ .  
حَتَّى أَقُولَ مَرَّةً :  
هَ أَأَنْتَ قَدْ وَصَلْتَ صِلْعَةً ،  
وَصَارَ فِي الْإِمْكَانِ  
أَنْ تُرِخَ الْحَسَارَةَ الَّتِي تَلَايَاتِ  
فِي بُلْكَ الْأَسْوَدِ ،  
وَالْمُنْجَانِ !

أَقِيمُ ،  
لَا أَقُولُ فِي مَدِينَةٍ ،



ولا أقولُ في مكانٍ.

وأعرفُ ما من سماءٍ

ندى شبايبكها ،

أو نجميء الحدود .

وقد نترامى يتامى

قريباً من النهر ،

نهوي عصافير قلبي

ويهرم حتى السؤال .

لما نحن بعد إذن

يا صاحبي بيت ،

ولم نحن

عنوان .

#### عرق ليمون

لا أنت لي بيت ،

ولا عنوان

إن سكّت اللسان .

على أن قلبي

خفيف الأعالي يثقب .

وأعرفُ أنني نصف ،

وَأَلك نصف

وَأنا النضرنا إلى جهتين ،

فغرب إلف ،

وشرق إلف .

يا أحسّ ضمدي يدهك بالحناء ،

وأرسلني لغربي

عرقاً من الليمون ،

قد يهجو هنا

إن شمه السكران .

#### حزنٌ يوليسيس

أجرتُ بين يديك البلاد الجميدة ،

أجرتُ أشجارها تتعاقب

منفى

وعائلة

في الأباريق ، والمزهريات ،

تعلو

وتعلو .

وسويتُ بين يديك ،

جنانك من لطفة ،

وجنونا يلقى بما

يتدفق في نهر غصرك ،

من سندس ،

وجنداك .

#### غلاف بينيلوب

تأمين وحذك خلف غلاف سميك ،

أسميه نابوتك الحي أنا

وأنا

أسميه بيت الندامة ،

لا يخفق الظن فيه ،

ولا يسوي عند حال .

تأمين وحذك ،

لا نزل بين يديك إذن

لا تكار الأقاليم .

أعرفُ أن البلاد غلاف ،

وأني وألك في الحائض يسمان ،

ندلن أحلامنا

في الرمال .

سويتني خالصاً من سواك ،

فطوبى لئومك ينمو

وَتُطَوَّبِي لَطِيرِ النَّهَارِ يَحْدُ عَلَى

شُرْفَتِي

رَيْشَةً

رَيْشَةً

وَهُوَ يَصْحُو.

أَرْبَعَةُ عَصَائِرُ

تَلْعَبُ فِي الْجَنَّةِ.

أَرْبَعَةُ عَصَائِرُ

كَانَتْ تَلْعَبُ.

أَرْبَعَةُ عَصَائِرُ

لَعَتُ فِي الضَّرَةِ.

أَرْبَعَةُ عَصَائِرُ

كَانَتْ قَبْلَ قَلِيلٍ أَرْبَعَةُ عَصَائِرُ.

أَرْبَعَةُ عَصَائِرُ

تَضَائِلُ نَحْتِ النِّيرَانِ.

أَرْبَعَةُ عَصَائِرُ

لَكُنْتُ بِمَلَأَةِ الْكِتَانِ.

أَرْبَعَةُ عَصَائِرُ

لَنْ تَلْعَبَ بَعْدَ الْآنِ.

أَرْبَعَةُ عَصَائِرُ

عَبَرِ الشَّاهِدِ فِي الْأَكْمَانِ

أُرْ

بَ

خَ

تُ

خَ

صَا

فِيرُ.

#### ادِّعَاءَاتُ هوميروس

لَيْسَ مَا أُنْزِلُ إِلَيْكَ

وَلَا بَيْتِي هَذَا الْبَيْتُ.

مُنْذُ الْفَجْرِ لَمْ أَعِشْ عَلَى النَّوْلِ،

أَوْ الْإِطْقَانِ.

لَمْ أَعِشْ عَلَى الْمِرَاةِ،

لَا أَكْوَانِهَا

أَوْ مَا يَبْقَى بِالطَّلِبِ فِي

هَذِهِ الْخِزَانَاتِ.

وَلَا أَشْهَدُ فِي مِرَاةِ بَيْمِلُوبِ وَجْهِي

مَنْ أَنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ!

لَا أَسْوَأُ طُرُودَةً خَلْفِي أَوْ أَمَامِي

لَيْسَ مِنْ مَجَرَى لُشِي.

لِلْمَاذَا يَدَّعِيهِ الْآنَ هوميروسُ،

وَيُعْطِنِي مِنَ الْأَحْدَاثِ مَا

لَا أَسْتَطِيعُ الزَّعْمَ؟

لَا أَكْتِي بِبُولِيسِيَسَ،

لَمْ أُرْكَبْ سَنَامَ الْبَحْرِ،

مَا شَارَكْتُ فِي حَرْبٍ،

وَلَا نَامَ الْغَزَاةَ عَلَى سُرِيرِي.

كُلُّ مَا فِي الْأَسْرِ أَنِّي

فِي طَرِيقِي نَحْوِ إِيثَاكَ

وَأَنْتِي لَمْ أَهْلِكِيهَا.

#### عصافير بيت لحم

أَرْبَعَةُ عَصَائِرُ تُغْنِي فِي الْمَرْوَعَةِ،

وَتَلْعَبُ بَيْنَ الْأَغْصَانِ.

## فاتنة العشاق التي ولدت على رواق

العماد أول مصطفى طلاس\*

كنتُ في زيارة أطمئنان صبيحة لرفيق السلاح اللواء غازي أبو عتل بعد أن أجرى عملية تبديل أربعة شرابين في مستشفى أمية لقلبه الذي أضناه الهوى وما يراه من أكل الهوى. وخَطَرْتُ صبيةً فاتنةً في الغرفة سحرت قلوب الحاضرين، ومنهم شوقي الدفاق وحُسين بطيخة. ولما لاحظتُ شقيقتها «أمل، أننا ولقينا في كمين الاندهاش قالت: «تجلد واحبس الأنفاس منها، فاخترتُ جنتُ كل الرفاق... وزادت في اسمها 'المى' عطاء، فصارت في البرية كالبراق... ولا تخشى منافسة الصبايا، فأمرى ولدتها على رواق...»

تميس تيسها، وتُفري كل ذواق  
اجواتنا، مثل ماء النُّن بفاق  
هذي الصبيّة، «المى» بذع خلّاق  
رقتُ فناء، ولهايتُ مثل رقتراق  
حُسن القوام، وحس بالبرى الراق  
من اسم «ليساء» في ذاخر وأعراق  
في طلع الحُسن إلهامًا لُشفاق  
يشفُ حُسنُهم عن روح مُشفاق  
ورحتُ أنسمها من غير أوراق  
عند العروبة، لكن بأن إغراق  
هذا التفريق لم يُعرض لصباق  
كي تلتقينا بترهيب وإشراق  
منها المقاتن من عُلق وأخلاق  
في دولة الحُسن إلا حُسن أواق  
الشام

شتاء العام ٢٠٠١

صاغتُ غيداة، في دل وإشراق  
قد اشرفتُ كالسنا في بسمتُ غمرت  
سالتُ عنها، فردتُ أختها عجبًا  
فأمتها حُلتُ فيها على مُهل  
جسات «رؤاها» على حظ وجُها  
وسُمتُ باسم «المى» كي يُقرتها  
يا للجمال إذا فاضتُ مفاتنُ  
يُهدي إليهم من الإحياء شعلنة  
شكرتُ ربي على مُعماء إذ خُطرتُ  
نسبتُها للشبابية التي عُرفتُ  
لأنها فوق وصف السابقين لها  
فقلتُ للنفس: يكفي أنها خُطرتُ  
ليستعد القلب في اللُغيا وما حُلتُ  
أنا العماد، وحُكي ليس يُقصة

## ملحق «الاختلاف الجنسي»

تستعد مجلة الآداب لإصدار ملحق جديد يصدر ثلاث مرات في السنة، ويهتم بسؤال الاختلاف الجنسي. والاختلاف الجنسي كما نفهمه ليس موضوعاً محدداً - مغلّقا، وإنما هو بالضبط سؤال نطرحه لتعالج حدود الأنوثة والذكورة وصفاتهما المتعارف عليهما. بهذا المعنى ينطلق طرحنا من أسئلة أولية متجددة، من سؤال مفتوح ومتكرر لما يزل الإنسان يطرحه على وجوده، أي على صيغة هذا الوجود، ولما يزل السؤال يطرح نفسه على الإنسان، وعلى صيغة وجوده:

ما معنى «أنثى»؟ وما معنى «ذكر»؟

ما معنى أن أكون هذه وتكون ذاك، أو العكس؟

أي ما معنى أن نختلف جنسياً؟

كيف وأين ومتى يكون اختلاف؟

إن سؤال الاختلاف الجنسي هو بلا شك سؤال مستجد على الساحة الثقافية، ويلقى اهتماماً متزايداً، بل ويثير نقاشاً واسعاً على الصعيد العالمي عموماً، وفي العالم العربي خصوصاً. وهي أسباب دفعت الآداب إلى محاولة الإسهام في النقاش الدائر. لكن، إذ يلتقي أو يتقاطع سؤال الاختلاف الجنسي مع طروحات الحدود الجنوسية ومع سؤال الهوية - الجنسية واللغوية، ومع أطروحات الكتابة النسوية وموضوع حقوق المرأة (على اختلاف كل من هذه المجالات وخصوصيته)، فإنه لا يتماهى معها. فالسؤال حول الاختلاف الجنسي هو تساؤل أنطولوجي ما يزال يبلور لغة وفهماً ومفاهيم ليحاور بها صيغة وجودنا كبشر. إنه، باختصار، محاولة لقاربة الإنساني على نحو يتجاوز الفهم الضيق لحدود الأنوثة والذكورة.

هكذا تطمح الآداب إلى أن يكون هذا «الملحق» مساحة معرفية وحوارية تُسهّم في بلورة فهم متجدد للاختلاف الجنسي. كما تأمل المجلة أن تتشكل في هذه المساحة رؤية نقدية لتجليات الاختلاف الجنسي وآثاره في الإبداع العربي؛ ذلك أن الإبداع، من حيث هو لغة يحاور فيها الإنسان وجوده، قد يكون أكثر الأمكنة اختزاناً لأثار الاختلاف الجنسي ومعانيه.

لذا ترى الآداب أن يتركز الملحق على المحاور التالية:

١ - الاختلاف الجنسي باعتباره سؤالاً مطروحاً على المستوى الفكري.

٢ - تجليات الاختلاف الجنسي في الإبداع العربي، أدبياً وفناً.

٣ - الاختلاف الجنسي من منظور المبدعات والمبدعين.

مجلة الآداب  
تيلي الخطيب

# الفهرس العام لمجلة الآداب لعام ٢٠٠١، السنة ٤٩

## ١ - فهرس الكتاب

الاسم	العدد	الصفحة	الاسم	العدد	الصفحة
ابواب (مجلة)	٤/٣	١٣٣	بطولي، باسمه	٦/٥	١٠٥
أبو خليل، أسعد	١٠/٨	٣٢	بلاحي، محمد	٦/٥	٥٩
	١٢/١١	٥	باير، جابسون	١٢/١١	٢٥
أبو شاور، رشاد	٢/١	٨٧	بناني، رشيد	٦/٥	٥١
أبو عبيد، طارق	٦/٥	١٩	بوطيخ، عبد العالي	٦/٥	٥٦
أحمد، إقبال	٨/٧	٥٩	بيضون، عباس	٢/١	٩٥
أحمد، ليلي	٢/١	٩٧	بينكوس، والتر	١٢/١١	٣٦
إدريس، رنا	١٢/١١	٦٨	- د -		
إدريس، سماح	٢/١	٩٨	تشموسكي، نوم	١٠/٨	٦
	٤/٣	٣٢، ٣١، ٣٧	توفيق، جلال	٢/١	١٨، ٤٤، ٥٢
		١١٤، ١٢٠	تيزمي، طيب	١٠/٨	٨٨
		١٢٤	- ج -	٤/٣	٦٦
	٦/٥	٩٦، ٤٥	جبر، جميل	٢/١	٩٣
	٨/٧	٣٣، ٣٠	جبران، خالد	٨/٧	٣٦
	١٠/٨	٥٩، ٤٤	جرجع، خليل	٢/١	٢٤
	١٢/١١	٣٣	الجلاصي، زهرة	١٢/١١	٩٧
		١٨، ١٧، ٢	جنان، رافول مارك	١٠/٨	٢٣
	١٢/١١	١٩	الجوزي، مصطفى	١٢/١١	٦٨
	١٠/٨	٨٥		٦/٥	٨١
إلنبي، بهيجة مصري	١٠/٨	٤٦	- ح -		
أدونيس	١٠/٨	١٨	الحاج إبراهيم، عبد الرحمن	٦/٥	٣٠
ألوود، دايثيد	١٠/٨	٥٣، ٥٠، ٤٦	الحاج، أنسي	١٠/٨	٥٠
الأمير، يسري	١٠/٨	٩٤	الحاج، جورج زكي	٦/٥	١٠٥
الأمين، سلوى الخليل	٢/١	١٠٤	حاجي، ثوما، جوانا	٢/١	٢٤
الأمين، محمد حسن	٦/٥	٣٦	حافظ، ياسين طه	١٠/٨	٨٠
الأنباري، محمد شهاب	١٢/١١	٣٤	حاك، جاتين	١٠/٨	٩٩
انفراهام، لورا	٢/١	٦	حتاتة، شريف	٦/٥	١٢
أومليل، علي	٦/٥	٩٦	حجّار، بسام	٢/١	٦٨
أويان، وين جين			الحجيري، محمد	٤/٣	١١٩
			حداد، أيمن حنا	٤/٣	٣٧
			الحر، لأمع	٢/١	٩٢
			حمزة، من محمد	٦/٥	١٠٢
					٢٨
			- خ -		
باروت، محمد جمال	٤/٣	٧٦، ٥٧	الخالدي، محمد	٨/٧	٧٩
	١٠/٨	٦٠	الخطيب، بسمة عمر	٤/٣	٢٢
البحراوي، سيد	٦/٥	٦٧	الخطيب، ليلي	٨/٧	٢٤
بخفي، سليمان	٦/٥	١٠٥		١٠/٨	١٠٢
برسميان، دايثيد	٨/٧	٥٩		١٠/٨	١٠٣
	١٠/٨	٦		١٢/١١	١٠٦
برغوثي، سهى	٦/٥	٤			
برغوثي، عمر	٦/٥	٢			
	٨/٧	٤٤، ٣٩			
بريكسون، جان	١٠/٨	٤			
بزيع، شوقي	٢/١	٩٦، ٩٣			

الاسم	العدد	الصفحة	الاسم	العدد	الصفحة
الخطيب، عبد الكبير	١٢/١١	٨٦	شمس الدين، محمد علي	٦/٥	١٠٤
خليل، محمد	٦/٥	٥٩		١٠/١	٨٠، ٥٩
خوري، الياس	٤/٣	١٢٥	- ص -		
- د -			صافق، حبيب	٢/١	٩٠
دحيوي، أحمد	٤/٣	٨	صافق، وايد	٢/١	٧٢
درّاج، فيصل	٨/٧	١٤		٨/٧	١١٢
	١٢/١١	٣	صالح، محمود	٦/٥	٩
دولوف، جيل	٨/٧	١٠١	صغير، جاكين	٨/٧	٤٠
دكروب، محمد	٢/١	٩٣	الصميلي، حسن	١٢/١١	٩١
ديب، محمد	١٠/٩	٦٩	الصندوق، ليث	٤/٣	١٨
ديب، محمد	٦/٥	١٠٨	- ط -		
ديب، محمد	١٠/٩	٨٢	طالب، لبناني	٨/٧	١١٩
- ج -			طاهر، بهاء	٨/٧	٩٨
رائد، دايفيد	١٢/١١	٤٢	طاهر، سمير	٨/٧	٢٦
رواني، معين	٨/٧	٣٠		١٠/٩	٨٦
رضوان، عبد الله	٨/٧	٧٦	طرابلسي، فواز	٢/١	٥٢
رعد، وليد	٢/١	٦٤	طلاس، مصطفى	١٢/١١	١٠٥
رفاعية، ياسين	٢/١	٨٩	طنوس، حان نعم	٨/٧	٩٨
الرويثي، عيلة	٤/٣	١١٣	طيار، محمد نجاتي	٤/٣	٥٨
الريماوي، محمود	٤/٣	١١٧	- ع -		
- ز -			العائش اللقوي، محمد	٦/٥	١٨
الزاهي، فريد	١٢/١١	٨٦		٨/٧	٧٩
زعرقي، أكرم	٢/١	٢٠	عبد الصمد، زياد	١٢/١١	٧٠
الزعرور، ثائر زكي	١٠/٩	١٠٩	عبد الله، جوزيف	١٢/١١	٧٥
زوين، صباح	٦/٥	١٠٥	أحمد الله، فادي	٢/١	٤٤
زيادة، رضوان جودت	٤/٣	٩٨		٨/٧	١٠٨
- س -			عبد الواحد، عبد الرزاق	٦/٥	١٨
ستاوتن، سفياني	١٢/١١	٤٠		١٠/٩	٧٨
ستاينبرغ، جاك	١٢/١١	٢٧	عبيد، محمد صابر	٢/١	٧٧
سعيد، محمود	٦/٥	١٥	المتوم، مهي	٨/٧	٧٢
السلطاني، فاضل	٤/٣	١١٥	عدوان، ممدوح	٢/١	٨٦
سلهب، شنان	٢/١	٦٨	عز الدين، قاسم	١٠/٩	٣٣
	١٠/٩	١٠٣		١٢/١١	٧٩
سلم، نايف	٦/٥	٣٦	عطا الله، سمير	٦/٥	١٠٦
سليمان، ايليا	٨/٧	٣٣	الطبروني، الياس	٢/١	٩١
	١٠/٩	١٠٥	عوش، إبراهيم	١٢/١١	١١
السليمان، أحمد	٤/٣	٢	العمامي، محمد نجيب	٢/١	٨٢
	٨/٧	٨٤	عمري، كرميلا ارمانيوس	٦/٥	٣
سويدان، سامي	٦/٥	٧٢	عيد، عبد الرزاق	٢/١	٢
	١٢/١١	٥٤	عيسى، صلاح	٤/٣	١١١
- ش -			- غ -		
الشامي، مرونك	٦/٥	١٠٦	الغصيان، توفريد	٤/٣	٢٨
شايد، كيرستين	٨/٧	١٣	غوانستاتين، ايمي	١٢/١١	٣٢
	١٠/٩	٤٤، ٣٣	شيلز، روبرت	١٢/١١	٢٠
	١٢/١١	٤٧، ٤٥، ١٩	- ف -		
شريل، ريتا	١٠/٩	١١٢	فاخوري، رياض	٢/١	٩٢
شكر، طوني	٢/١	٦٤، ٣٤	فاضل، عهد	٤/٣	١١٤
شليبي، خيرى	٤/٣	١١٢	فالانتاين، دوفلاس	١٢/١١	٣٠

## ٢ - فهرس الموضوعات

العدد	الاسم	الصفحة
١٢/١١	الآداب تولد مرحلتها	٢٢
٤/٣	الآداب المخففة والشحن	٣٧
١٠/٩	الآداب نداء وتاريخ	٢
٦/٥	الآداب نصف قرن في خدمة الأدب	٢٠
	أبسم للصورة (قصّة)	
٨٢	أبعد من الصفر	٨٢
٢٠	أبعد من الصفر	٢٠
١٢/١١	أجهزة أمن المطار تشع ناسمي أودن	٢٩
٢/١	أدخل يا سيدتي، إننا ننتظر في الخارج (مسرحة)	٢٤
١٠/٩	أونيس وشعر	٦٠
٨/٧	أرقام الآداب	١١٣
١٠/٩	إبراهيم وإبراهيم	٤٤
١٢/١١	إبراهيم وإبراهيم	٤٧
١٠/٩	إبراهيم وإبراهيم	١١
٢/١	أزمة مجلة الآداب الطموح والخذلان	٩٨
١٢/١١	استراتيجية ممتدة في تحليل حياة الناس	٣٢
١٢/١١	أسئلة الفرنكفونية (ملف)	٨٥
٦/٥	إشكاليّة تدريس الأدب في الجامعة المغربية	٥٦
٤/٣	إشكاليّة المجتمع المدني في الثقافة السوروية	٦٦
٤/٣	الإصلاح السوري (ملف)	٥٧
٦/٥	أصوات من فلسطين الجديدة (١) (ملف)	٢
٨/٧	أصوات من فلسطين الجديدة (٢) (ملف)	٢٩
٨/٧	الأطفال	١٠٨
٦/٥	أعزف أو لا أعزف	٤
١٠/٩	أفلام شرق أوسطية قبل أن يرتد إليك طرفك	٨٨
	أفهمة الفرنكفونية (ر. فرنكفونية)	
٤/٣	الأمم والانتقال: العرب على نار السلام الحامية	١١
١٢/١١	أميركا ضد أميركا (ملف)	٤٨-١٩
٢/١	أنا الشاهدة ساء محبلي	٤٤
٦/٥	أنا لست بأبيرة صليبية (قصّة)	٢٨
٨/٧	الأنثى للفتوة بمعنى التاريخ: الانقراض في الرواية العربية	١٤
١٠/٩	انطفاء (قصيدة)	٨٥
١٠/٩	إنني أرى: مقدمة لدراسة عن حياة الصور وموتها	١٠٣
١٠/٩	أوهام لا غنى عنها	١٠٥
١٢/١١	أيتيغي أن يُستخدَم التعذيب في الولايات المتحدة؟	٣٨
	- ب -	
٦/٥	باسم آداب لن تموت	١٠٨
١٠/٩	بدأت قصتي بخيط ثوري (قصّة)	١١٤
٢/١	بدائيات عجائبيّة - مسودة	٦٤

العدد	الاسم	الصفحة
١٢/١١	فلنشر، مايكل	٢٢
٤/٣	فنكستين، نورمان	٣٧
١٠/٩	الفواز، أحمد فائز	٢
٦/٥	الفواز، أحمد فائز	٢٠
	- ج -	
١٢/١١	القيسي، محمد	١٠٢
	- ك -	
١٠/٩	الكافسي، زينة	١١٤
١٢/١١	كامل، ديكان	٢١
١٠/٩	كسنتلوتشي، روميو	٩٩
٨/٧	الكعبي، ميرا	٨٢
٨/٧	الكاروي، سعاد	٧٧
١٢/١١	كوكبير، الكزندر	٣٨
٤/٣	الكولاني، شمس الدين	٨٦
	- ل -	
٨/٧	اللامعي، علاء	٨٨
٢/١	ليبفر، عبد الحق	٦
٦/٥	ليبفر، عبد الحق	٥٩
١٢/١١	ليبفر، عبد الحق	٩١
٤/٣	اللفيس، كمال	١١٤
	- م -	
٨/٧	مجدولين، شرف الدين	٩٥
٦/٥	مخل، كميل حنا	٦
٤/٣	مريوس، غريغوار	١٠٦
٢/١	مريّة، ربيع	٢٤
٨/٧	معدل، خالد	٧٨
٦/٥	مفتاح، محمد	٤٦
٤/٣	مقدسي، أسامة	٢١
١٢/١١	مقدسي، أسامة	٤٩
٢/١	منصّي، مي	٩٤
١٠/٩	منصور، سامر	١١٨
١٠/٩	الموسوي، رنا	١٠٥
	- ن -	
٨/٧	ناصر، عبد الستار	٩١
٢/١	النعماني، هدى	٩٤
١٠/٩	نعيم، نديم	٥٣
٦/٥	النقّاش، فريدة	١٤
٦/٥	نقري، إدريس	٥٩
٦/٥	النويمي، ماجدة	٩٣
	- و -	
٤/٣	وازن، عبده	١١٦
٢/١	والكيم، نجاح	٩٠
٤/٣	والكيم، نجاح	١١
٨/٧	الوضعي، عبد الله بن صالح	٧٤
	- ي -	
٤/٣	يوسف، فاروق	١١٨

أبحاث مستقلة	
٢ الضعفاء والغرسة الأميركية.....	٢
٥ خروبيهم ضحكاً: الكتي اعظم.....	٥
١١ قوانين مكافحة الإرهاب الأميركية.....	١١
٤٩ من اللطائف إلى الوطنية اللبنانية: هل انتهت حرب لبنان إلى غير رجعة.....	٤٩
٥٤ التنجية والفخالة في النص النقدى العربى الحديث - السياب ونقاد.....	٥٤
ملف (١): أميركا ضد أميركا.....	
١٩ إعداد سماح إدريس وكيرستن شابد.....	١٩
٢٠ تقديم.....	٢٠
٢١ لماذا نجح بين لاند؟.....	٢١
٢٢ الولايات المتحدة تنظر في كل صور الحرب المباشرة على الفضائيات.....	٢٢
٢٤ المعارضون يمتدحون الجامعات أقلّ تحملاً للاختلاف بعد اعتداءات ١١ أيلول.....	٢٤
٢٤ برنامج بيل ماهر يواجه المنع.....	٢٤
٢٤ دفاعاً عن الحرية الأكاديمية في الولايات المتحدة.....	٢٤
٢٥ ...والرسوم الوزنية غير مستحبة أحياناً.....	٢٥
٢٦ ...والموسيقى تراقب أيضاً.....	٢٦
٢٧ الولايات المتحدة تحلق مع طلاب من الشرق الأوسط.....	٢٧
٢٩ أجهزة أمن المطار تمنع نائسي أوبن.....	٢٩
٣٠ لأمم الوطن.....	٣٠
٣٢ استراتيجيات متشددة في تعطيل حياة الناس.....	٣٢
٣٤ المحاكم العسكرية تؤمن عدالة منظمة.....	٣٤
٣٦ صحت ٤ مشبهين بطرح مضلة.....	٣٦
٣٨ أبنغي ان يُستخدم التنقيب في الولايات المتحدة ولكنه يُستخدم هنا أصلاً.....	٣٨
٤٠ المسافرين يشعرون بالهياج ضدّهم.....	٤٠
٤٢ رجال من الشرق الأوسط يطالبون بالمقابلة.....	٤٢
٤٣ العربى الذي يعيش في حوك.....	٤٣
٤٤ مجتمع منفتح ومتعدّد رسائل عبر الانترنت.....	٤٤
٤٧ أرقام الأدب.....	٤٧
٤٨ إعداد ك.ش.....	٤٨
مصادر الأدب.....	
ملف (٢): العرب في مواجهة العولمة - التحركات المنظمة الأولى	
٦٧ تقديم.....	٦٧
٦٨ مؤثر الدوحة: كل شيء إلى التنمية.....	٦٨
٧٠ المنتدى العالمى حول منظمة التجارة العالمية: من بيروت إلى الدوحة.....	٧٠
٧٥ قراءة لتجربة مناهضة العولمة الليبرالية في لبنان.....	٧٥
٧٩ حركة مناهضة العولمة الليبرالية في المنطقة العربية: أسباب جديداً وبطيئة لها على عاتقها.....	٧٩
ملف (٣): أسئلة الفرنكفونية	
٨٥ تقديم.....	٨٥
٨٦ الفرنكفونية واللغات الأدبية المحلية.....	٨٦
٩١ حوار مع حسن الصميلي حول الفرنكفونية.....	٩١
أبواب متفرقة	
٩٧ نشاطات: ملهى يبنى العيد نافذة أدبية.....	٩٧
١٠٥ فسمحة قصيرة: فائقة العشاق التي وكّدت على رواق.....	١٠٥
١٠٧ الفهرس العام لعام ٢٠٠١.....	١٠٧



سهيل إدريس

# ذكريات الأدب والحب

الجزء الأول

دار الآداب

الإحصائيات الأخيرة لمعرض اكسبو بيروت (٢-١٨ تشرين الثاني ٢٠٠١)

المجلات:

١- مجلة الآداب، تصدر عن دار الآداب



شكراً للقارئ